

الصراط المستقيم

لماذا علم الحكمة الإسلامية



د. رواء محمود حسين

الصراف المستقيم

لماذا علم الحكمة الإسلامية

تأليف

د. رواء محمود حسين



الصراط المستقيم لماذا علم الحكمة الإسلامية

د. رواء محمود حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

(الفاتحة : 1 - 7)

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى مشايخي الدكتور عبد السميع الأنيس والدكتور عبد الحكيم الأنيس

إلى زوجتي وأبنائي جنة وَعَبَد الحكيم

إلى الحكماء المسلمين

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }، [

آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 - 71].

أما بعد¹:

¹ تنتظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الأردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 7/ 208، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار



فهذا كتاب جديد في سلسلة أصول (علم الحكمة الإسلامية)، هذا العلم الذي يدعو إلى العبودية الخالصة سبحانه وتعالى، وتوحيده، وتنزيهه عن أي ند أو شريك، والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن خلال التوحيد والنبوة يسالك الإنسان الصراط المستقيم الذي أراده الله تعالى للإنسان.

وفي هذا الكتاب الموسوم: " الصراط المستقيم: لماذا علم الحكمة الإسلامية " نحاول الإجابة على سؤال مهم: وهو لماذا تم إكتشاف علم الحكمة الإسلامية، وما الغاية منه، وما هي أهميته، ومن أجل صياغة جواب مفصل على السؤال المطروح: لماذا علم الحكمة الإسلامية؟ فقد تمت الإجابة عليه من خلال قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، أي غاية تقديم الجواب على سؤال: لماذا علم الحكمة الإسلامية، فقد تضمن الكتاب الأبواب والفصول الآتية:

الباب الأول: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }، وقد إختارنا الآية الكريمة عنواناً لهذا الباب، وقد ضم هذا الباب الفصول الآتية:

الفصل الأول: مفهوم الصراط المستقيم، وفيه: بحثنا مفهوم الصراط المستقيم في اللغة والإصطلاح.

المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 - 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان " الصراف المستقيم " في الحكمة القرآنية" وقد عدنا في هذا الفصل إلى كتاب الله تعالى، لبحث ودراسة مفهوم الهداية إلى الصراف المستقيم، ولتجديد الإعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى ودينه القويم.

وكان الفصل الثالث الموسوم: "الصراف المستقيم في الحكمة النبوية، عودة إلى معلم الكتاب والحكمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودعوة إلى إتباع الحكمة النبوية.

الباب الثاني من الكتاب كان بعنوان: " لماذا علم الحكمة الإسلامية، في النظر الموصل إلى الصراف المستقيم". وقد ضم الفصول الآتية:

الفصل الأول: أفلا يتدبرون: الوحي والفهم، وبيننا فيه الطريقة لفهم الوحي، وأكدنا على ضرورة الإستمساك بالوحي والإلتزام بتعاليمه ومنهجه.

الفصل الثاني من هذا الباب بعنوان: "أفلا يعقلون، وجوب النظر العقلي"، وقد تضمن البحث في مفهوم العقل، والدعوة إلى الإجتهد و بيان مشكل التقليد.

الفصل الثالث تضمن إجابة لسؤال ما الحقيقة في ضوء علم الحكمة الإسلامية، وقد توزع الجواب على المحاور الآتية: الحقيقة، في ضوء الحكمة القرآنية، الحقيقة في ضوء الحكمة النبوية. الحقيقة من خلال حكمة الصحابة.

أما عنوان الباب الثالث من الكتاب، فهو: " لماذا علم الحكمة الإسلامية: في العمل الموصل إلى الصراف المستقيم، ويشمل:

الفصل الأول، والموسوم: " العمل الصالح في علم الحكمة الإسلامية "، ويضم بحثاً في مفهوم العمل الصالح، ونماذج منها التي أشار إليها الدين.



الفصل الثاني: وهو بعنوان: " أمة وسطاً: في الوسطية الدينية مفهوماً وتطبيقاً"، بحثنا فيه مفهوم الوسطية، وأشرنا فيه إلى تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في الدين.

الفصل الثالث: والموسوم ب: " سمحاً: في السماحة الدينية"، بحثنا فيه عن التسامح في الإسلام، وقدمنا العديد من الأدلة والأمثلة التي تقدم مفهوم التسامح في الإسلام بشكل عملي وتطبيقي أيضاً.

الفصل الرابع: وهو بعنوان: " من أجل الآخرة"، ويمثل هذا الفصل بحثاً في الهدف النهائي لعلم الحكمة الإسلامية، وهو الوصول إلى رضا الله سبحانه، والفوز بالدار الآخرة.

ونحن إذ نكتب مقدمة هذا الكتاب نتوجه بالدعاء إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ } [الشعراء: 88 - 89].

رواء محمود حسين

23 / رمضان / 1438 هـ

18 / 6 / 2017 م

تمهيد

في علم الحكمة الإسلامية

وهكذا تستفتح المجالس ببسم الله الرحمن الرحيم. لنطرد به العويّ الرحيم، ونخرج به من زمرة الغافلين، ونهتدي به إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، فنقول إذ ذاك بسم الله الرحمن الرحيم، اسم عزيز، بسم الله كلمة السلامة، بسم الله كلمة الكرامة، بسم الله إذا مرّ على القلوب المريضة شفاها، وإذا نظّر إليها بعين العناية بلغها مناها، اسم بذكره يستأنس المستوحشون، بسم الله الرحمن الرحيم أخذ بالألباب وأحيا القلوب، كاسات هذا الإسم دائرة، فأين القلوب الحاضرة، عجباً لبقاء هذه النفوس عند دوران هذه الكؤوس، عجباً كيف تبقى الأرواح في الأشباح عند نكر الملك الفتحاح، لولا استتار الحقيقة بستر لطيف عن العباد، لم تثبت عند نكره الأرواح في الأجساد، لمن لا تليق به الأشياء والأنداد، هذه كؤوس بسم الله تُدار من يشرب؟ هذه خدأة الذكر تُغني فأين من يطرب؟ هذه حمائم الاشتياق تتوح فأين من قلبه بالفراق مجروح؟ من لم يتطيّب بعرف هذا الوادي فلا طيب له في هذا النادي.²

علم الحكمة الإسلامية هذا العلم الذي تم إستتباطه من قول الله سبحانه: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

² جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "المنثور"، بدون بيانات أخرى،



الألباب ﴿٢٦٩﴾ [البقرة: 269]، لتبدأ بعدها البحوث في مجال إكتشافه ووضع ضوابطه وأصوله وقواعده بإذن الله تعالى.³

الحكمة في اللغة:

(و) الحكمة: (العلم) بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية. ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية، وهذه هي الحكمة الإلهية، وقوله تعالى: {ولقد آتينا لقمن الحكمة} فالمراد به حجة العقل على وفق أحكام الشريعة، وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفته وفعل الخيرات.

وتطلق الحكمة أيضاً على طاعة الله، والفقه في الدين، والعمل به، والفهم، والخشية، والورع، والإصابة، والتفكر في أمر الله واتباعه.

(و) قد وردت الحكمة بمعنى (الحلم) وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، فإن كان هذا صحيحاً فهو قريب من معنى العدل.

³ كانت الرسالة الأولى أو الكتاب الأول كتابنا بعنوان: " العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية، ط1، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 1434 هـ - 2013 م. على الرابط الآتي:

<http://www.nashiri.net/ebooks.html>

والرسالة الثانية أو الكتاب الثاني، كتابنا بعنوان: "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2014. على الرابط الآتي: <http://www.nashiri.net/ebooks.html>

(و) قوله تعالى: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } ﴿آل عمران: ٤٨﴾ ، وقوله تعالى: { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } (البقرة: 251). فالحكمة في كل ذلك بمعنى (النبوة) والرسالة.

(و) الحكمة تأتي أيضاً بمعنى (القرآن) والتوراة (والإنجيل) لتضمن كل منها الحكمة المنطوق بها، وهي أسرار علوم الشريعة والطريقة والمسكوت عنها، وهي علم أسرار الحقيقة الإلهية.

وقوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } ﴿البقرة: ٢٦٩﴾ فالمراد به تأويل القرآن، وإصابة القول فيه. 4

(وأحكمه) إحكامًا: (أتقنه) ومنه قولهم للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب (فاستحكم) ؛ صار محكماً. وقوله تعالى: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ }، (هود: 1)، أي: بالأمر والنهي والحلال والحرام { ثُمَّ فُصِّلَتْ } ، (هود: 1)، أي: بالوعد والوعيد. (و) أحكمه: (منعه عن الفساد) ، ومنه سميت حكمة اللجام، (كحكمه حكماً. (و) أحكمه (عن الأمر: رجعه) ، قال جرير:

(أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا)

أي: ردهم وكفوهم وامنعوهم من التعرض لي. وفي الصحاح: حكمت السفية وأحكمته: إذا أخذت على يده، ومنه قول جرير.

⁴ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي (المتوفى: 1205هـ): "تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون بيانات أخرى، 31 / 513.



ومعنى الإحكام حينئذ الإحراز، (فحكم) أي: رجع، عن ابن الأعرابي. قال الأزهري: جعل ابن الأعرابي حكم لازماً، كما يقال: رجعت فرجع، ونقصته فنقص، وما سمعت ((حكم)) بمعنى رجع لغيره، وهو الثقة المأمون.

(و) أحكمه: (منعه مما يريد كحكمه) حكماً (وحكمه) تحكيماً، لغات ثلاث، اقتصر الجوهرى على الأخيرة، قال الأزهري: وروينا عن إبراهيم النخعي أنه قال: ((حكم اليتيم كما تحكم ولدك)) أي: امنعه من الفساد وأصلحه كما تصلح ولدك، وكما تمنعه من الفساد. قال: وكل من منعه من شيء فقد حكمته وأحكمته، قال: ونرى أن حكمة الدابة سميت بهذا المعنى؛ لأنها تمنع الدابة من كثير من الجهل.⁵

قال الأزهري: وقول أبي سعيد الضرير ليس بالمرضي. وفي حديث ابن عباس: ((كان الرجل يرث امرأة ذات قرابة فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله عن ذلك ونهى عنه)) أي: منع منه.

وروى شمر عن أبي سعيد الضرير أنه قال في قول النخعي المذكور: إن معناه حكمه في ماله وملاكه إذا صلح كما تحكم ولدك في ملكه، ولا يكون حكم بمعنى أحكم؛ لأنهما ضدان.

(و) أحكم (الفرس): جعل للجامه حكمةً كحكمه) حكماً.

(والحكمة محركة: ما أحاط بحنكي الفرس) ، وفي الصحاح: حكمة اللجام: ما أحاط بالحنك (من لجامه، وفيها العذاران) سميت بذلك لأنها تمنعه عن الجري الشديد،

⁵ الزبيدي: نفسه، 31 / 513 - 514.

والجمع حكم. وقال ابن شميل الحكمة: حلقة تكون في فم الفرس. قال الجوهري:
وكانت العرب تتخذها من القد والأبق لأن

قصدهم الشجاعة لا الزينة. وأنشد لزهير:

(القائد الخيل منكوبًا دوابرها ... قد أحكمت حكمت القد والأبقا) ⁶

(و) من المجاز: الحكمة (من الإنسان: مقدم وجهه) وقيل: أسفل وجهه،
مستعار من موضع حكمة اللجام. (و) من المجاز: حكمة الإنسان: (رأسه، وشأنه
وأمره) يقال: رفع الله حكمته، أي: رأسه وشأنه وأمره، وهو كناية عن الإعزاز، لأن من
صفة الذليل أن ينكس رأسه. (و) الحكمة (من الضائنة: ذقنها) ، وفي الصحاح:
حكمة الشاة: ذقنها.

(و) الحكمة: (القدر والمنزلة) ومنه حديث عمر: ((إن العبد إذا تواضع رفع الله
حكمته)) أي: قدره ومنزلته، ويقال: له عندنا حكمة، أي: قدر، وفلان عالي الحكمة،
وهو مجاز. (وسورة محكمة) أي: (غير منسوخة. والآيات المحكمات) هي: {قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم عليكم} إلى آخر السورة. (أو) هي: (التي أحكمت فلا يحتاج سامعها
إلى تأويلها لبيانها كأقاصيص الأنبياء). وفي حديث ابن عباس: "قرأت المحكم على
عهد رسول الله "يريد المفصل من القرآن لأنه لم ينسخ منه شيء. وقيل: هو ما لم يكن
متشابهًا؛ لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره.

(و) المحكم، (كمحدث في شعر طرفة) بن العبد إذ يقول:

(ليت المحكم والموعوظ صوتكما ... تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا)

⁶ الزبيدي: نفسه، 31 / 514 - 515.



هو (الشيخ المجرب) المنسوب إلى الحكمة.⁷

الحكمة في الإصطلاح:

تعرف الحكمة من ناحية العموم بالتعريف الذي تعرف به الفلسفة، أو بعبارة أخرى، الحكمة في تعريفها عند المفكرين والفلاسفة المسلمين تشبه إلى حد كبير تعريف الفلسفة، لا بل إنهم يذهبون إلى تعميم المفهوم والتعريف على المنطق أيضاً.

يقول التهانوي: "الحكمة علم متعلق بجميع أحوال الموجودات العينية المكملّة للنفس بحسب ما يمكن، أو بعضها المعتدّ به تصورياً أو تصديقاً محتاجاً إلى التنبيه، أو نظرياً على وجه تكون الموجودات وأحوالها على ذلك الوجه في الواقع لا بالوضع، والاعتبار بقدر الطاقة البشرية من أوساط الناس، فيصير مآل هذا التعريف، وما قيل إن الحكمة علم بأعيان الموجودات وأحوالها على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية واحداً. وإذا قلنا بعدم شموله للتصورات حذفنا عن هذا الحاصل القيد الذي به يلزم الشمول. ومنهم من ترك قيد الأحوال لشمول العلم التصوّر والتصديق، وترك قيد نفس الأمر لأن التقييد به مستدرك، فقال: الحكمة علم بأعيان الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية".⁸

⁷ الزبيدي: نفسه، 31 / 516.

⁸ محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م، 1 / 49.

وذهبوا أيضاً أن "الحكمة علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية. والمراد (بأعيان الموجودات) الموجودات العينية إلى الخارجية (بالبشر) البشر الذي يكون من أوساط الناس لا في غاية العلو ولا في غاية السفلى و (على ما هي عليه) على وجه يكون أحوال الأعيان على ذلك الوجه من الوجوب والإمكان والامتناع والتحيز والجسمية وغيرها من القدم والحدوث. قيل إن بعض الحكماء قائلون بأن العالم قديم وبعضهم بأنه حادث وكلاهما حكيم وليس كلا منهما مطابقاً لما في نفس الأمر بل واحد منهما مطابق له فيلزم أن لا يكون أحدهما حكيماً وكلاهما حكيم. والجواب أن المراد علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بزعمه بقدر الطاقة البشرية وموضوعها على هذا التعريف الموجودات الخارجية فيخرج المنطق حينئذ عن الحكمة لأنه باحث عن أحوال الموجودات الذهنية لأنه يبحث فيه عن المنقولات الثانية وهي التي لا يحاذيها شيء في الخارج".⁹

ومنهم من فسّر الحكمة بالكمال الحاصل للنفس الخارج من القوة إلى الفعل بحسب القوانين، أي النظرية والعملية، ولا حاجة إلى التقييد بالخارج من القوة إلى الفعل لأنه معتبر في الكمال. ومنهم من فسّرها بما يكون تكماً للنفس الناطقة كمالاً معتداً به. وقيل هي خروج النفس إلى كمالها الممكن في جانبي العلم والعمل، أما في جانب العلم فبأن تكون متصورة للموجودات كما هي ومصدقة بالقضايا كما هي، وأما في جانب العمل فبأن تحصل لها الملكة التامة على الأفعال المتوسطة بين الإفراط والتفريط. والمراد بالخروج ما يخرج به النفس، إذ الخروج ليس بحكمة. قيل الحكمة

⁹ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري (المتوفى: ق 12هـ): "دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون"، تعريب: حسن فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، 2 / 32.



ليست ما تخرج به النفس إلى كمالها بل هي الكمال الحاصل الخ ونتيجة التعريفات الثلاثة واحدة. والمنطق على هذه التعاريف من الحكمة أيضاً.¹⁰

وعرفوا الحكمة بما به " خروج النفس إلى كمالها الممكن في جانبي العلم والعمل. أما في جانب العلم فبأن يكون متصوراً للموجودات كما هي ومصداقاً للقضايا كما هي. وأما في جانب العمل فإن يحصل له الملكة التامة على الأفعال المتوسطة بين الإفراط والتفريط جعل المنطق من الحكمة بل جعل العمل أيضاً منها. وكذا من ترك الأعيان في تعريفها جعله من أقسام الحكمة النظرية إذ لا يبحث فيه إلا من المعقولات الثانية التي ليس وجودها بقدرتنا واختيارنا. وأيضاً الحكمة هي هيئة القوة العقلية العملية المتوسطة بين الجزيرة التي هي إفراط هذه القوة والبلادة التي هي تفريطها".¹¹

ويربط التهانوي الحكمة بالمنطق، فيذكر أن " موضوع الحكمة على القولين أي القول بأن المنطق منها والقول بأنه ليس منها، فليس شيئاً واحداً هو الموجود مطلقاً أو الموجود الخارجي، بل موضوعها أشياء متعدّدة متشاركة في أمر عرضي هو الوجود المطلق أو الخارجي، وإلا لم يجز أن يبحث في الحكمة عن الأحوال المختصة بأنواع الموجود إذ البحث عن العارض لأمر أخصّ الذي هو من الأعراض الغريبة غير جائز. فإذا لم يكن موضوعها شيئاً واحداً فالأحسن أن تقيّد الأحوال المشتركة فيها بقيود مخصّصة لها بواحد واحد من تلك الأشياء لئلا تكون تلك الأحوال من الأعراض

¹⁰ محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ):

"موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، 1 / 49.

¹¹ القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ): "دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات

الفنون"، 2 / 32.

العامّة الغريبة، كتنقيد الوجود الذي يحمل على الواجب بكونه مبدأً لغيره ليكون مختصاً بالواجب وهكذا. والغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلّها على قدر ما يمكن للإنسان أن يقف عليه ويعمل بمقتضاه ليفوز بسعادة الدارين".¹²

الحكمة في القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم كتاب الحكمة الإسلامية، والأساس الذي تستمد منه القيم الإسلامية، وهو الطراط المستقيم، والقسطاس القويم الذي يعتمد عليه العقل المسلم في فهم الأشياء. قدم القرآن الكريم شبكة هائلة مترابطة من المفاهيم المتعلقة بالأبعاد الكبرى: التوحيد والنبوة والمعاد، وعلوم الفقه والأحكام والتاريخ والقصص والمستقبلات وغيرها، ولذلك فهو المصدر الأول لعلم الحكمة الإسلامية.¹³

وقد وردت كلمة (حكمة) في كتاب الله تعالى، من ذلك على سبيل المثال:

قال سبحانه: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو

¹² محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، 1 / 49.

¹³ د. رواء محمود حسين: "الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم (PDF)", موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2014/9/9 ميلادي - 1435/11/14 هجري، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/library/0/75741/#ixzz4oEe2ejUk>



عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ { [البقرة: 127 - 129].

وقال تعالى: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ } [البقرة: 151].

وقال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ } (البقرة: 269).

وقال سبحانه: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ } [آل عمران: 164].

وقال تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۗ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۗ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ } [النساء: 113].

وقال سبحانه: { اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ } [النحل: 125].

وقال تعالى: { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ } [النساء: 39].

وقال جل شأنه: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۗ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ } [لقمان: 12].

وقال تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولِي ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ } [الزخرف: 63 - 64].

وقال سبحانه: { حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ } [القمر: 5].

وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ } [الجمعة: 2].

14

يقول القرطبي في سياق تفسيره لقول الله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ } (البقرة: 269). أي يعطيها لمن يشاء من عباده. ويبين اختلاف العلماء في الحكمة هنا، فقال ابن عباس: "هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره". فقال السدي: "هي النبوة". وقال قتادة ومجاهد: "الحكمة هي الفقه في القرآن". وقال مجاهد: "الإصابة في القول والفعل". وقال ابن زيد: "الحكمة العقل في الدين". وقال مالك بن أنس: "الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له". وروى عنه ابن القاسم أنه قال: ، الحكمة التفكير في أمر الله والاتباع له". وقال أيضًا: "الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به. وقال الربيع بن أنس: الحكمة الخشية. وقال إبراهيم النخعي: الحكمة الفهم في القرآن"، وقاله زيد بن أسلم. وقال الحسن:

¹⁴ ينظر: د. رواء محمود حسين: "حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، الألوكة، تاريخ الإضافة،

2014/9/9 ميلادي - 1435/11/14 هجري، على الرابط الآتي: .

[/http://www.alukah.net/sharia/0/75741](http://www.alukah.net/sharia/0/75741)



"الحكمة الورع". يقول القرطبي: وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي والربيع والحسن قريب بعضها من بعض، لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقيل للعلم حكمة، لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم. وفي البخاري: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" وقال هنا: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" وكرر ذكر الحكمة ولم يضمها اعتناءً بها، وتبنيهاً على شرفها وفضلها حسب ما تقدم بيانه عند قوله تعالى: "فبدل الذين ظلموا قولاً".¹⁵

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره: الْمُرَادُ مِنَ الْحِكْمَةِ إِمَّا الْعِلْمُ وَإِمَّا فِعْلُ الصَّوَابِ. يُرْوَى عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ قَالَ: تَفْسِيرُ الْحِكْمَةِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ بِعِظَتِكَ بِهِ } [البقرة: 231] يَعْنِي مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ، وَفِي سُورَةِ النَّسَاءِ: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ }، يَعْنِي الْمَوَاعِظَ، وَمِثْلُهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَتَأْنِيهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا }، { مَرْيَمَ: 12 } وَفِي سُورَةِ لُقْمَانَ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لُقْمَانَ: 12] يَعْنِي الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ، وَفِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ } [الأنعام: 89]، وَتَأْنِيهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى التُّبُوَّةِ، جَاءَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: 54] يَعْنِي التُّبُوَّةَ، وَفِي

¹⁵ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، 3/ 330.

سورة ص: { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ } [ص: 20] يَغْنِي الثُّبُوءَ، وَفِي سُورَةِ
الْبَقَرَةِ: { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ }، [البقرة: 251] وَرَابِعُهَا: الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ
الْأَسْرَارِ، جَاءَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ } [النحل: 125] وَفِي
هَذِهِ الْآيَةِ: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }، وَيُضِيفُ الرَّازِي: وَجَمِيعُ هَذِهِ
الْوُجُوهِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ تَرْجِعُ إِلَى الْعِلْمِ، ثُمَّ تَأْمَلُ أَيُّهَا الْمَسْكِينُ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَا أُعْطِيَ إِلَّا
الْقَلِيلَ مِنَ الْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 85] وَسَمَّى
الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا قَلِيلًا، فَقَالَ: { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ } [النساء: 77]، وَانظُرْ كَمْ مِقْدَارُ هَذَا
الْقَلِيلِ حَتَّى تَعْرِفَ عَظَمَةَ ذَلِكَ الْكَثِيرِ، وَالْبُرْهَانُ الْعَقْلِيُّ أَيْضًا يُطَابِقُهُ لِأَنَّ الدُّنْيَا مُتَّاهِيَةٌ
الْمِقْدَارِ، مُتَّاهِيَةٌ الْمُدَّةِ، وَالْعُلُومُ لَا نِهَائَةَ لِمَرَاتِبِهَا وَعَدَدِهَا وَمُدَّةَ بَقَائِهَا، وَالسَّعَادَةُ
الْحَاصِلَةُ مِنْهَا، وَذَلِكَ يَبِينُ فَضِيلَةَ الْعِلْمِ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى فِعْلِ الصَّوَابِ فَقِيلَ فِي
حَدِّهَا: إِنَّهَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ".¹⁶

¹⁶ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، بدون تاريخ، 58/7.



الحكمة في السنة النبوية:

وورد ذكر الحكمة في السنة النبوية، ولا نبالغ إذا قلنا أن السنة النبوية كلها حكمة، وهي بالفعل كذلك¹⁷:

عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشعر حكمة»¹⁸.

وفي حديث الإسراء والمعراج روى البخاري، قال: حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، ح وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام، قالوا: حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان - وذكر: يعني رجلاً بين الرجلين -، فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مرق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً¹⁹

قال النووي: " في تفسير الحكمة أقوال مضطربة، صفا لنا منها أن الحكمة العلم المشتغل على المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك. وقد تطلق الحكمة على القرآن،

¹⁷ ينظر: د. رواء محمود حسين: " مدخل إلى علم الحكمة النبوية"، موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/5/31 ميلادي - 1436/8/12 هجري، على الرابط الآتي: [/http://www.alukah.net/sharia/0/87226](http://www.alukah.net/sharia/0/87226)

¹⁸ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ): " سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ، 2 / 1235.

¹⁹ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 4 / 109

وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط، وقال بعضهم: أصح ما قيل في الحكمة أنها وضع الشيء في محله، أو الفهم في كتاب الله. فعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان، وقد لا توجد. وعلى الأول فقد يتلازمان، لأن الإيمان يدل على الحكمة. وقال ابن أبي جمرة فيه: إن الحكمة ليس بعد الإيمان أجل منها، ولذلك قرنت معه، ويؤيده قوله تعالى {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} [البقرة: 269]".²⁰

ومن حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نبدأ بها كتابنا هذا، قوله عليه الصلاة والسلام:

عن عَلْقَمَةَ بِنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمُنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».²¹

و "علم الحكمة النبوية معني بالدرجة الأساس بالكشف عن معاني الحكمة الكامنة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: في قوله وفعله وتقريره، وكل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام؛ أي إن علم الحكمة النبوية يُعنى بدراسة كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل بعثته الشريفة، مروراً بولادته ونبوته وحياته ووفاته عليه الصلاة والسلام، وصولاً إلى العصر الحاضر في تتبع كل ما يتعلق

²⁰ محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1354هـ): "كوثر المعاني الدراري في كشف

خبايا صحيح البخاري"، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م، 6/301.

²¹ صحيح البخاري، 1 / 6.



بالسنة النبوية، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها؛ فكل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم هو مادة لعلم الحكمة النبوية...²²

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيد الناس يوم القيامة: قال البخاري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعَ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرُونَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى

²²د. رواء محمود حسين: "مدخل إلى علم الحكمة النبوية"، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/sharia/0/87226/#ixzz4oGodUdVR>

ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنِّي قد كنتُ كذبتُ ثلاث كذبات - فذكرهنَّ أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضَّك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنِّي قد قتلت نفسًا لم أُمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطقُ فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عزَّ وجلَّ، ثمَّ يفتح الله عليَّ من محامدِه وحسنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثمَّ يُقال: يا مُحمَّد، ارفع رأسك، سلَّ تُعْطَه، واشفع تُشَفِّع، فأرفع رأسي، فأقول: أمّتي يا رب، أمّتي يا رب، فيقال: يا مُحمَّد، أدخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ لَاحِسابِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمَيْر - أو كما بين مكة وبُصْرَى".²³

²³ ينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، (6 / 84)، حديث (4712)، وانظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري:



مفهوم علم الحكمة الإسلامية:

قال الكفوي: " الحكمة: هي العدل والعلم والحكم والنبوة والقرآن والإنجيل: ووضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده وأفعال الله كذلك، لأنه يتصرف بمقتضى الملك فيفعل ما يشاء، وافق غرض العباد أم لا".²⁴

وقال زين الدين الحدادي: "الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل، فالحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات بها، والحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم ولا عكس، فإن الحكم له أن يقضي على شيء بشيء فيقول: هو كذا أو ليس بكذا، ومنه حديث "إن من الشعر

"المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ، (1 / 184)، الرقم (194). أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ): "مستخرج أبي عوانة"، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م، 1/147، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ): "السنة"، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 هـ، 2/379، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنده العبدي (المتوفى: 395هـ): "الإيمان"، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406هـ، 2/847، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، 4/622، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ): "مسند أبي داود الطيالسي"، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، 4/430، وانظر: د. رواء محمود حسين: "سيد الناس يوم القيامة"، تاريخ الإضافة: 2015/11/25 ميلادي - 1437/2/12 هجري، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/sharia/0/95047/#ixzz4oGq0nAlz>

²⁴أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ): "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ، ص 382.

لحكما" أي قضية صادقة، كذا قرره الراغب. وقال ابن الكمال: الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي ويقال الحكمة أيضاً هيئة القوة العقلية العلمية".²⁵

وذكر إسماعيل الخلوتي الحنفي في سياق قصة لقمان أنه لم يكن نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة وهي إصابة الحق باللسان وإصابة الفكر بالجنان وإصابة الحركة بالأركان، إن تكلم تكلم بحكمة وإن تفكر تفكر بحكمة وإن تحرك تحرك بحكمة. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام. ومن الإنسان معرفة الموجودات على ما هي عليه وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في هذه الآية. قال الإمام الغزالي رحمه الله: "من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله لم يستحق أن يسمى حكيماً لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجل من الله ومن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف المنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها ومن عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره فإنه قلما يتعرف للجزئيات بل يكون كلامه جميلاً ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس إسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم...."²⁶

²⁵ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "التوقيف على مهمات التعاريف"، ص 145.

²⁶ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 73/7-74.



وينقل الخلوتي عن صاحب " التأويلات النجمية " رأيه أن الحكمة موهبة للأولياء كما أن الوحي منحة للأنبياء وكما أن النبوة ليست كسبية بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء فكذلك الحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء إياه طريق تحصيلها بل بإيتاء الله تعالى له. إن القلب مهبط المعرفة من إحياء الحق تعالى كذلك مهبط الحكمة بإيتاء الحق تعالى كما قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ } (البقرة: 269). وقال سبحانه: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ } [لقمان: 12]، فثبت أن الحكمة من المواهب لا من المكاسب لأنها من الأقوال لا من المقامات والمعقولات التي سمتها الحكماء حكمة ليست بحكمة فإنها من نتائج الفكر السليم من شوب آفة الوهم والخيال وذلك يكون للمؤمن وغيره وقلما يسلم من الشوائب ولهذا وقع الإختلاف في أدلتهم وعقائدهم ومن يحفظ الحكمة التي أوتيت لبعض الحكماء الحقيقية لم تكن هي حكمة بالنسبة إليه لأنه لم يؤت الحكمة ولم يكن هو حكيماً.²⁷

ونقل الخلوتي عن صاحب "عرائس البيان " رأيه في أن الحكمة ثلاث: حكمة القرآن وهي حقائقه، وحكمة الإيمان وهي المعرفة، وحكمة البرهان وهي إدراك لطائف صنع الحق في الأفعال وأصل الحكمة إدراك خطاب الحق بوصف الإلهام". قال شاه شجاع: "ثلاث من علامات الحكمة: إنزال النفس من الناس منزلتها، وإنزال الناس من النفس منزلتهم، ووعظهم على قدر عقولهم فيقوم بنفع حاضر"، وقيل: "الحكمة هو النور الفارق بين الإلهام والوسواس ويتولد هذا النور في القلب من الفكر والعبرة وهما

²⁷إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: " روح البيان"، 74/7.

ميراث الحزن والجوع"، وقال: حكيم: "قوت الأجساد المشارب والمطاعم وقوت العقل الحكمة والعلم".²⁸

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الكلمة الحكمة ضالة الحكيم، فحيث وجدها فهو أحق بها" (الكلمة الحكمة) أي ذات الحكمة المشتملة عليها، جعلت الكلمة نفس الحكمة مبالغة، فهو من باب رجل عدل، وروي "الكلمة الحكمة" على طريق الإسناد المجازي فإن الحكيم قائلها، والمراد بها الجملة المفيدة معنى دقيقاً، وروي "كلمة الحكمة" بالإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة. (ضالة الحكيم) أي مطلوبه، والضالة في الأصل الضائعة من الحيوان وغيره، و"الحكيم" هو المتقن للأمر الذي له فيها غور. (فهو أحق بها) أي بقبولها، يعني أن الحكيم يطلب الحكمة فإذا وجدها فهو أحق باتباعها والعمل بها، أو المعنى: أن الناس متفاوتون في فهم المعاني واستتباط الحقائق المحتجبة، فينبغي أن لا ينكر من قصر فهمه عن إدراك دقائق الآيات والأحاديث على من رزقه، ولا ينازعه كما لا ينازع صاحب الضالة في ضالته إذا وجدها، أو كما أن صاحب الضالة أخذ ضالته ممن وجدها لا يحل له منعها، كذا العالم لا يحل له المنع عن السائل إذا رأى فيه استعداداً لفهمه، ففيه أنه لا يجوز منح غير الحكيم، فإنها ليست ضالته، أو المراد أن كلمة الحكمة ربما يتكلم بها من ليس لها بأهل ثم وقعت إلى أهلها فهو أحق بها من الذي قالها من غير التفات إلى خسارة من تكلم بها، كالضالة إذا وجد صاحبها أخذها من واجدها وإن كان خسيساً ولا ينظر إلى خساسته. ووقع في الترمذي وابن ماجه "ضالة المؤمن" بدل قوله: "ضالة الحكيم"، قال السندي: أي مطلوبة له بأشد ما يتصور في الطلب

²⁸إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: "روح البيان"، 74/7.



كما يطلب المؤمن رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وإبراهيم بن الفضل الراوي يضعف في الحديث.²⁹

وذكر ابن القيم أن الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة. ومقترنة بالكتاب. فالمفردة: فسرت بالنبوة، وفسرت بعلم القرآن. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه. ومقدمه ومؤخره. وحلاله وحرامه. وأمثاله. وقال النخعي: هي معاني الأشياء وفهمها. وقال الحسن: الورع في دين الله. كأنه فسرها بثمرتها ومقتضاها. وقال الضحاك: هي القرآن والفهم فيه. وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه. وفي رواية أخرى عنه: هي الإصابة في القول والفعل. وأما الحكمة المقرونة بالكتاب: فهي السنة. وكذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة. وقيل: هي القضاء بالوحي. وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر. وأحسن ما قيل في الحكمة. قول مجاهد، ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به. والإصابة في القول والعمل. وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه، في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان. والحكمة حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء. ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمرًا. قدرًا وشرعًا. والعلمية كما قال صاحب "المنازل" وهي وضع الشيء في موضعه.³⁰

²⁹ أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري (المتوفى: 1414هـ): "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م، 1/321-320.

³⁰ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م، 2/448.

ويتأمل ابن القيم في الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم والملة الحنيفية والسنة المحمدية التي لا تتال العبارة كمالها ولا يدرك الوصف حسنها ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم فوقها. وحسب العقول الكاملة الفاضلة إن أدركت حسنها وشهدت بفضلها فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة والمحتج له والدعوى والبرهان ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها لكفى بها برهاناً وآية وشاهداً على أنها من عند الله وكلها شاهدة له بكمال العلم وكمال الحكمة وسعة الرحمة والبر والإحسان والإحاطة بالغيب والشهادة والعلم بالمبديء والعواقب وأنها من اعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم لها وجعلهم من أهلها، قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ } (ال عمران: 164). وقال معرفاً لعباده ومذكراً لهم عظيم نعمته عليهم مستدعياً منهم شكره على أن جعلهم من أهلها: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } الآية، وتأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام إيذاناً في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل ولا شيء خارجاً عن الحكمة بوجه بل هو الكامل في حسنه وجلالته ووصف النعمة بالتمام إيذاناً بدوامها واتصالها وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار. ³¹

وقد عرفنا سابقاً علم الحكمة الإسلامية بالقول: " أصل علم الحكمة الإسلامية ما قال الله سبحانه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وما جاء به الأنبياء

³¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ، 1/ 301-302.



والمرسلون من ربهم صلوات الله وسلامه عليهم، وكل من أقتفى هذا الطريق (الصراف المستقيم) فهو بالضرورة مقتف للحكمة الإسلامية، متبع لها، وعامل بها"، وأضفنا " وعلم الحكمة الإسلامية المقصود في هذا المدخل هو العلم الوارد في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة من الخلفاء الراشدين وأهل بيت النبوة وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين".³²

علم الحكمة الإسلامية دليل إلى الله سبحانه وتعالى من خلال فهم كتابه الكريم، وتطبيقه على الوجه القرآني الدقيق، وهو مرشد إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته، في كلماته وسنته وأعماله عليه الصلاة والسلام، وهذا العلم، أي علم الحكمة الإسلامية، مهتم أيضاً بتاريخ أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وأجمعين، وسائر على الطريق الذي سار عليه أصحاب الأنبياء، وخصوصاً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهله الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وغاية علم الحكمة الإسلامية النهائية رضاء الله سبحانه وتعالى والفوز في الدار الآخرة. إنه بالأحرى منهج تجديد، من أجل إعادة توجيه العقل الإنساني الوجهة التي فيها صلاحه ونجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

³² ينظر: د. رواء محمود حسين: " العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية، ص 31.

الباب الأول

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ



الفصل الأول

مفهوم الصراط المستقيم

المبحث الأول

الصراف المستقيم لغة

أولاً: الصراف لغة:

الصراف والصراف والصراف: الطريق، قال الله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }.

33

الصراف: من السبيل ما لا التواء فيه ولا إعوجاج بل على جهة القصد، فهو أخص من السبيل الأخص من الطريق. وفائدة وصفه في الفاتحة بالمستقيم أن الصراف يطلق على ما فيه صعود أو هبوط، والمستقيم ما لا ميل فيه إلى جهة من الجهات الأربع.³⁴

الصراف والصراف والصراف: الطريق. قال الشاعر:

أكر على الحرورين مهري * وأحملهم على وضح الصراف .

³³ رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (المتوفى: 650هـ): " العباب الزاخر واللباب الفاخر"، بدون بيانات أخرى، 1 / 276.

³⁴ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): " التوقيف على مهمات التعاريف"، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، 1 / 215.



وقوله في الدعاء اهْدِنِي أَي بَيْنَ لِي وَدَلِّنِي عَلَيْهِ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ، (أَي ثَبَّتْنَا وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ هُوَ يَهْدِينِي السَّبِيلَ أَي يَدَانِي عَلَى غَرَضِي بِطَرِيقِ الْأَرْضِ وَالْمُرَادُ طَرِيقَ الْآخِرَةِ وَهَدَايَةَ الْجَنَّةِ .³⁵

ويقال: استرطط الطعام: إذا ابتلعه. وقول الله جل وعز: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (الفاتحة: 6) ، كتبت بالصاد، والأصل السين، ومعناه: ثبتنا على المنهاج الواضح. وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط

إذا اعوج الموارد مستقيم³⁶

ثانياً: المستقيم:

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } : أَي ثَبَّتْنَا عَلَى الْهَدَى وَقَالَ بَعْضُهُمْ: زَدْنَا هَدَى وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُنْهَاجَ الْوَاضِحَ.³⁷

استقام يستقيم، استقم، استقامةً، فهو مستقيم

استقام العود: استوى "استقام الطريق - { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } " ° استقام ميزان النهار: انتصف.

³⁵ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): " مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ، 2 / 267.

³⁶ محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 12 / 232.

³⁷ محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي"، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، بدون تاريخ، 1 / 67.

استقام الإنسان: اعتدل في سلوكه وكانت أخلاقه فاضلة " { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ } (فصلت: 30)، { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ } (الأحقاف: 13)، { قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ } (يونس: 89)، إمضيا واستمرا" استقام على الطريق: اهتدى. إستقام الشعر: اتزن³⁸.

الفرق بين المستقيم والصحيح والصواب أن كل مستقيم صحيح وصواب وليس كل صواب صحيح مستقيماً، والمستقيم من الصواب والصحيح ما كان مؤلفاً ومنظوماً على سنن لا يحتاج معه إلى غيره، ولهذا قال المتكلمون هذا جواب مستقيم إذا كان مؤلفاً على سنن يغني عن غيره وكان مقتضياً لسؤال السائل ولا يقولون للجواب إذا كان كلمة نحو لا ونعم مستقيم، وتقول العرب هذه كلمة صحيحة وصواب ولا يقولون كلمة مستقيمة ولكن كلام مستقيم لأن الكلمة لا تكون مؤلفة والكلام مؤلف. أما الفرق بين المستقيم والصواب فهو أن الصواب إطلاق الإستقامة على الحسن والصدق والمستقيم هو الجازي على سنن فنقول للكلام إذا كان جارياً على سنن لا تفاوت فيه أنه مستقيم وإن كان قبيحاً ولا يقال له صواب إلا إذا كان حسناً، وقال سيبويه مستقيم حسن ومستقيم قبيح ومستقيم صدق ومستقيم كذب قلنا ولا يقال صواب قبيح .³⁹

³⁸ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: " معجم اللغة العربية المعاصرة"، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 3 / 1358.

³⁹ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ): "الفروق اللغوية"، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، بدون تاريخ، ص 54.



جاء في مادة [ضلال] عبادي كلکم "ضال" إلا من هديته. ضلال إلا من هداه الله سبحانه وتعالى، فينافي حديث: كل مولود يولد على الفطرة، إلا أن يراد بالأول ما كانوا عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، أو أنهم لو تركوه وما في طباعهم من إثارة الشهوات لضلوا - وهذا أظهر. عبادي! خطاب مع الثقلين خاصة، لاختصاص التكليف وتعاقب التقوى والفجور بهم، ولذا فصل المخاطبين بالإنس والجن، ويحتمل كونه عامًا لذوي العلم من الملائكة والثقلين ويكون نكر الملائكة مطويًا في "جنكم" لشمول الاجتئان لهم، ولا يقتضي صدور الفجور عنهم ولا إمكانه لأنه كلام على الفرض؛ ويمكن أن يكون الخطاب عامًا ولا يدخل الملائكة في الجن، لأن الإضافة في "جنكم" يقتضي المغايرة فلا يكون تفصيلاً بل إخراجًا للقبيلتين اللذين يصح اتصاف كل منهما بالتقوى والفجور، ثم إن الضلال العدول عن الطريق المستقيم سهواً أو عمدًا يسيرًا أو كثيرًا، والطريق المستقيم واحد وللعدول عنه جهات، فمصيبين من وجه، وضالين من وجوه، فإن جوانب الطريق كلها ضلال. وفيه: أسألك من صالح ما تؤتى الناس من المال والأهل والولد غير "الضال والمضل"، بالجر بدلًا من كل أحد، والضال يحتمل كونه للنسبة أي غير ذي ضال، ومن في "من صالح" زائدة أو للتبعيض.⁴⁰

ذلك الدين القيم: أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق. وقوله تعالى: { فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿٣﴾ } (البينة: 3)، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل

⁴⁰ جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتنى الكجراتي (المتوفى: 986هـ): "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار"، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م، 5 / 516.

على استواء وبرهان. وقوله تعالى: { وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ } (البينة: 5)، أي دين الأمة القيمة بالحق، ويجوز أن يكون دين الملة المستقيمة .⁴¹

⁴¹ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ): " لسان العرب، : دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 12 / 502.



المبحث الثاني

الصراط المستقيم إصطلاحاً ومفهوماً

إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً. وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والسفر والإقامة، والنكاح والمسكن، والإجماع والافتراق، والركوب وغير ذلك.⁴²

ويجب على المرید أن يسلك الصِّراطِ المُستَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَيَتَّبِعْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسَّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ، وَهَذَا هُوَ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَرَضِيَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

⁴² تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م، 1 / 92.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ { [سورة الأنعام: 153].⁴³

وهناك علاقة بين الدعاء بالهداية للصرات المستقيم وبين التوكل. فالتوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لا يناضل عن نفسه، وقالوا المتوكل يطلب بتوكله أمراً من الأمور والعارف يشهد الأمور بفروغه منها فلا يطلب شيئاً، فيقال أما الأول فإن التوكل أعم من التوكل في مصالح الدنيا فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وإرادته وهذا أهم الأمور إليه ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ } (الفاتحة: 5)، وقوله في سورة هود والشورى: { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }، كما في قوله هود: { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ { هود: 123 }، فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع لأن هذين يجمعان الدين كله.⁴⁴

والصرات المستقيم أيضاً هو طاعة الله ورسوله وهو دين الإسلام التام وهو اتباع القرآن، وهو طريق العبودية وهو طريق الخوف والرجاء ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: " الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره"، لعلمه أنه لا يفعل خيراً ولا يجتنب شراً إلا بإعانة الله له وأنه لا بد أن يفعل ما يوجب الاستغفار. وفي الصحيح سيد الاستغفار أن يقول العبد: " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي

⁴³ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الإستقامة"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403 هـ، 1 / 386.

⁴⁴ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " التحفة العراقية في الأعمال القلبية"، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ، ص 43.



وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعَتْ أَبْوَاءُ لَكَ
 بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبْوَاءُ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ". فَقَوْلُهُ: " أَبْوَاءُ
 بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ" يَتَنَاوَلُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَقَوْلُهُ: " أَبْوَاءُ بِذُنُوبِي" يَبِينُ
 إِفْرَارَهُ بِالذُّنُوبِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ مِنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ شُكْرُ يَغْفِرُ الْكَبِيرَ
 وَيَشْكُرُ الْيَسِيرَ. فَقَوْلُهُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ " يَتَنَاوَلُ ذَلِكَ فَمَنْ قَصَرَ
 فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِحَسَبِ تَقْصِيرِهِ، وَالْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا
 لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } (النساء: 66)، الْآيَةُ وَقَالَ { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ
 ﴿١٧﴾ } (محمد: 17)، وَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ الْعَمَلَ بِعِلْمِهِ عَاقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَضِلَّهُ عَنِ
 الْهُدَى وَأَنْ لَا يَعْرِفَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (الصف: 5)، وَقَالَ { وَتَقَلَّبُ أَلْبَابَهُمْ فَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ
 يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَىٰ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ } (الأنعام: 110)، وَدَلَّ {
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ } (البقرة: 10).⁴⁵

ويقول ابن حزم أمرنا عز وجل أن نقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ } اهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
 ﴿٧﴾ } (الفاتحة: 5). فنص تعالى على أمرنا بطلب العون منه وهذا نص قولنا
 والحمد لله رب العالمين فلو لم يكن ها هنا عون خاص من آتاه الله إياه اهتدى، ومن
 حرمه إياه وخذله ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لأن الناس كلهم كانوا يكونون

⁴⁵ محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعلبي (المتوفى: 778هـ): " مختصر الفتاوى
 المصرية لابن تيمية"، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب
 العلمية، ص 111.

معانين منعماً عليهم مهديين وهذا بخلاف النص المذكور، وقال تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} (الأنعام: 88)، فأخبر تعالى أن عنده هدى يهدي به من يشاء من عباده فيكون مهتدياً وهذا تخصيص ظاهر. وقال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} (الأنعام: 125). وإن الله تعالى قد نص قائلنا أن من أراد هذا شرح صدره للإسلام فآمن بلا شك وإن من أراد ضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره وأحرجه حتى يكون كمريد الصعود إلى السماء فهذا لا يؤمن البتة ولا يستطيع وهو في ظاهره مستطيع بصحة جوارحه. وقال تعالى {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة: 7)، فنص تعالى على أنه ختم على قلوبهم وإن على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم إلا الذي ختم على قلوبهم عز وجل وهذا هو الخذلان، ونعوذ بالله منه وهذا نص على أنهم لا يستطيعون الإيمان ما دام ذلك الختم على قلوبهم والغشاوة على أبصارهم وأسماعهم فلو أزالها تعالى لآمنوا ألا أن يعجزوا ربهم عز وجل عن إزالة ذلك فهذا خروج عن الإسلام. وقال تعالى {وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} ﴿٨٣﴾ (النساء: 83)، فنص تعالى كما ترى على أنه من لم يتفضل عليه ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة فصح أن التوفيق به يكون الإيمان وإن الخذلان به يكون الضلال والعصيان وهو اتباع الشيطان، ومعنى قوله تعالى: {إِلَّا قَلِيلًا} على ظاهره وهو



استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة الله تعالى لهم أي لاتبتم الشيطان إلا قليلا لم يرحمهم الله فاتبعوا الشيطان إذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه⁴⁶ .

ولذلك يجب في كل ركعة من الصلاة سورة الفاتحة المشتملة على قوله تعالى { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ } (الفاتحة: 6)، فإنه أعز الأمور وأعصاها على الطالب ولو كلف ذلك في خلق واحد لطال العناء فيه فكيف وقد كلفنا ذلك في جميع الأخلاق مع خروجها عن الحصر، ولا مخلص عن هذه المخاطر إلا بتوفيق الله ورحمته، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: " الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعالمون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم". وقال عليه السلام: " شيبتي سورة هود وأخواتها"، وأراد به قوله تعالى { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } (هود: 112)، فان الإمتداد على الصراط المستقيم في طلب الوسط بين هذه الأطراف شديد وهو أدق من الشعر وأحد من السيف كما وصف من حال الصراط في الدار الآخرة ومن استقام على الصراط في الدنيا استقام عليه في الآخرة بل يكون في الآخرة مستقيماً إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه.⁴⁷

وورد إطلاق الصراط المستقيم في القرآن على هذا الدين في قوله عز وجل: {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام: 161)، والهداية إلى الإسلام لا تقصر على ابتداء اتباعه

⁴⁶ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): " الفصل في الملل والأهواء والنحل"، مكتبة الخانجي - القاهرة، 3 / 25.

⁴⁷ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): " معارج القدس في مدراج معرفة النفس"، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1975م، ص 88.

وتقلده، بل هي مستمرة باستمرار تشريعاته وأحكامه بالنص وبالاستنباط. فيكون المراد عند الإمام من الصراف المستقيم: المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل، بأن يوفقه تعالى إلى الحق، وإلى التمييز بينه وبين الضلال، على مقادير استعداد النفوس، وسعة مجال العقول النيرة والأفعال الصالحة، بحيث لا يعترهم زيغ ولا شبهات في دينهم. وختم قوله هذا بالتأكيد والاستدلال. قال: وهذا أولى ليكون الدعاء طلب تحصيل ما ليس بحاصل وقت الطلب، وأن المرء بحاجة إلى هذه الهداية في جميع شؤونه كلها، حتى في الدوام على ما هو متلبس به من الخير للوقاية من التقصير فيه أو الزيغ عنه. المستقيم اسم فاعل من استقام مطاوع قومته فاستقام. والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج. وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً وهو الجادة، لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضل سالكه ولا يتردد ولا يتحير. وفي هذا مقارنة للفظ مستعمل في حقيقته ومجازه. قال ابن عباس: إن الصراف المستقيم دين الحق، ونقل عنه: أنه ملة الإسلام. فكلامه يفسر بعضه بعضاً. ونفى الشيخ أن يكون المراد أنهم لقنوا الدعاء بطلب الهداية إلى دين مضى، وإن كانت الأديان الإلهية كلها صراطاً مستقيمة. فقد سألوا الهداية لهذا الجنس في ضمن فرد، وهو الفرد المنحصر في الاستقامة، لأن الاستقامة لا تتعدد. قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾. وقد يوجه هذا التفسير بحصول الهداية إلى الإسلام، وإنما علمهم الله هذا الدعاء لإظهار منته. وهدهم سبحانه بما سبق من القرآن قبل نزول الفاتحة، ويهديهم بما لحق من القرآن والإرشاد النبوي بعد ذلك.⁴⁸

⁴⁸ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): "مقاصد الشريعة الإسلامية"، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، 1 / 491.



ويرد مفهوم الصراف المستقيم في مناقشة كمال ابن الهمام للعبارة القائلة: "وقيل المدعي من يتمسك بغير الظاهر والمدعى عليه من يتمسك بالظاهر"، فيرد على من يقول بأن: من يكون مستحقاً بقوله من يتجدد ويحدث استحقاقه بقوله مع أن استحقاق المدعى عليه لا يتجدد ولا يحدث بقوله بل يكون باقياً على ما كان عليه قبل الدعوى. ويؤكد أن هذه مناقشة لفظية يمكن دفعها أيضاً بأن يقال: المراد بمن يكون مستحقاً بقوله من يكون ثابتاً على الاستحقاق بقوله على أن يكون مستحقاً مجازاً ثابتاً على الاستحقاق بقريضة قوله كذي اليد، ونظير هذا ما ذكره المفسرون في قوله تعالى {هُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6] من أن معناه ثبتنا على هدى الصراف المستقيم؛ فالذي يلزم حينئذ من صيغة الفعل في تعريف المدعى عليه بما ذكر أن يتجدد الثبات على الاستحقاق لا أن يتجدد نفس الاستحقاق ولا محذور فيه. وأجاب بعض الفضلاء عما ذكره صاحب العناية بوجه آخر حيث قال: قد مر في الدرس السابق أن لدوام الأمور المستمرة الغير اللازمة حكم الابتداء، مع أن في العدول من أن يقول من يستحق بقوله إلى قوله من يكون مستحقاً بقوله إيماءً إلى دفع هذا الكلام؛ لأن معناه من يكون استحقاقه دائماً لدلالة الاسم على الدوام والثبات.⁴⁹

يتضمن الصراف المستقيم: علومًا، وإرادةً، وأعمالًا، وتروكًا ظاهرةً وباطنةً تجري عليه كل وقت، فتفاصيل الصراف المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها، وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه، وما يعلمه قد يقدر عليه، وقد لا يقدر عليه، وهو الصراف المستقيم وإن عجز عنه، وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلًا وتهاونًا، أو لقيام مانع وغير ذلك، وما تريده قد يفعله وقد لا يفعله، وما يفعله قد يقوم

⁴⁹ كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: 861هـ): "فتح القدير"، دار الفكر،

فيه بشروط الإخلاص وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه، وهذا كله واقع سار في الخلق، فمستقل ومستكثر. والله سبحانه على صراط مستقيم في قضائه وقدره، ونهيه وأمره، فيهدي من يشاء إلى صراط مستقيم بفضله ورحمته، وجعله الهداية حيث تصلح، ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته، لعدم صلاحية المحل، وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إليه، فهو على صراط مستقيم. ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة، تتضمن أفراداً لا تنحصر. ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته، إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس شيء أحوج منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع له منها.⁵⁰

ولما كان طلب الهداية من الله سبحانه إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف الأمور: علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء، ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد والترمذي. أحدهما: حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال «سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو، ويقول: اللهم إني أسألك بأني

⁵⁰ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، 1/ 122.



أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» قال الترمذي: حديث صحيح. فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد وهو كما قال ابن عباس: "العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته"، وفي رواية عنه: "هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد"، وقال أبو وائل: "هو السيد الذي انتهى سؤدده"، وقال سعيد بن جبير: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله، وبنفي التشبيه والتمثيل عنه بقوله "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" [الإخلاص: 4] " وهذه هو المعتمد في التوسل بالإيمان بذلك، والشهادة به هو الاسم الأعظم .⁵¹

والثاني: حديث أنس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال: لقد سألت الله باسمه الأعظم» فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته. وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسل بالحمد، والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة. ونظير هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل، رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد

⁵¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل

إياك نعبد وإياك نستعين"، 1 / 47.

حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، ولك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت» فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له، ثم سأله المغفرة.⁵²

أخبر سبحانه أنه على صراط مستقيم، وهذا نظير قول رسوله شعيب: {إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} [هود: 56] فقله: {ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها} [هود: 56] نظير قوله: «ناصيتي بيدك» وقوله: {إني توكلت على الله ربي وربكم} ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} [هود: 56] نظير قوله: «عدل في قضاؤك». فالأول ملكه، والثاني حمده، وهو سبحانه له الملك وله الحمد، وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالعدل، ولا يفعل إلا ما هو مصلحة ورحمة وحكمة وعدل؛ فهو على الحق في أقواله وأفعاله؛ فلا يقضي على العبد بما يكون ظالماً له به، ولا يأخذه بغير ذنبه، ولا ينقصه من حسناته شيئاً، ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولم يتسبب إليها شيئاً، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه، ويثني به عليه، ويكون له فيه العواقب الحميدة، والغايات المطلوبة، فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله. وضرب الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه أيضاً فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء ألبتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجةً، والله سبحانه حي قادر متكلم، يأمر بالعدل، وهو

⁵² ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 1 / 47 - 48.



صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل - وهو الحق - يتضمن أنه سبحانه عالم به، معلم له، راض به، أمر لعباده به، محب لأهله، لا يأمر بسواه، بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه، وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور، وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني، وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما، كما في الحديث الصحيح: «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك» فقضاؤه هو أمره الكوني. فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلا يأمر إلا بحق وعدل، وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل، وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم .⁵³

وقد قال تعالى: { مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام: 39] وإذا كان سبحانه هو الذي جعل رسله وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق بأن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله، وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره؛ فصراف الله تعالى الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله .⁵⁴

قال الله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ } [الأحزاب: 21] وقال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران: 31] وقال تعالى: { وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف: 158] وقال

⁵³ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م، 1 / 125.

⁵⁴ ابن قيم الجوزية: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، 1411هـ - 1991م، 1 / 12

تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153]. وهذا الصراف المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراف الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، لكن الجور قد يكون جوراً عظيماً عن الصراف، وقد يكون يسيراً، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله وهذا كالطريق المحسوس، فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جوراً فاحشاً، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل. فمن المستحق للعقوبة. ومنهم المغفور له. ومنهم المأجور أجراً واحداً، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفریطهم.⁵⁵

ويريد الشيطان أن يصرف الناس عن الصراف المستقيم. قال الشيخ أبو محمد المقدسى فى كتابه ذم الوسواس: "الحمد لله الذى هدانا بنعمه، وشرفنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبرسالته، ووفقنا للاقتداء به والتمسك بسنته، ومن علينا باتباعه الذى جعله علماً على محبته ومغفرته وسبباً لكتابة رحمته وحصول هدايته، فقال سبحانه: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: 31] ، وقال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} إلى قوله: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} [الأعراف: 156-157] ثم قال: {فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: 158]

⁵⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان"، المحقق: محمد حامد الفقى، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، 1/ 130 - 131.



. أما بعد: فإن الله سبحانه جعل الشيطان عدوا للإنسان، يقعد له الصراف المستقيم، ويأتيه من كل جهة وسبيل، كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16-17]. وحذرنا الله عز وجل من متابعتة، وأمرنا بمعاداته ومخالفتة، فقال سبحانه: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر: 6] وقال: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ} [الأعراف: 27] وأخبرنا بما صنع بأبويننا تحذيرا لنا من طاعته، وقطعا للعذر في متابعتة، وأمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع صراطه المستقيم ونهانا عن اتباع السبل، فقال سبحانه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153]. وسبيل الله وصرافه المستقيم هو الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصحابته بدليل قوله عز وجل: {يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يس: 1-4] وقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 67] وقال: {إِنَّكَ لَنْتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]، فمن اتبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم، وهو ممن يحبه الله ويغفر له ذنوبه، ومن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان.⁵⁶

⁵⁶ عبدالله بن أحمد بن محمد موفق الدين (ابن قدامة المقدسي) (ت 620 هـ): "مخطوطة ذم الوسواس وأهله، مصدر المخطوط: المكتبة الظاهرية (2702)، تاريخ الإضافة: 2014/8/19 ميلادي - 1435/10/22 هجري، الناسخ: مجهول، تاريخ النسخ: مجهول. عدد اللقطات (الأوراق): 12 ورقة. ملاحظات: مشتراه من شامل الشاهين سنة 1418 هـ. رابط الموضوع: <http://www.alukah.net/library/0/74883/#ixzz4hr8H2BnL>. ونقل المقدمة ابن قيم الجوزية في كتابه: "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، 1/ 132 - 133.

إن هذا «الصراف المستقيم» هو دعوة الرسل جميعاً، وهو الهدف الذي يسعى إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم عليه فيصدهم عنه، وذكرنا أيضاً أن الله - عز وجل - على صراف مستقيم، ومعنى كون الله تعالى على صراف مستقيم أنه سبحانه على طريق مستقيم في قضائه وقدره وأمره ونهيه، يهدي من يشاء إليه بفضلته ورحمته، ويصرف عنه من يشاء بعدله وحكمته. يقول الله تعالى على لسان هود عليه السلام: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } (هود: 6)، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعت إليه الرسل من التزام هذا الصراف، ووصفه ربه بقوله: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } (الشورى: 52-53). إذن فإن الثبات على الصراف المستقيم هو محور الاختلاف بين الخير والشر، بين ما تدعو إليه الرسل وما يسعى إليه الشيطان الرجيم . 57

وللطريق أسماء كثيرة منها الصراف المستقيم والسبيل والمنهاج والمحجة والمنسك، وجاء من اشتقاق هذا اللفظ أربعة أسماء: شارع، ومشرفة، وشرعة، وشرعية؛ وهو اسم لأوسعها وأوعبها لجميع الطرق، فالشرعية اسم من أسماء الطريق، وهو اسم الطريق الواضح المستقيم الواسع، وهو وصف لطريق جامع لجوامع المحاج كلها، كأنه طريق يستوعب ويجمع سائر الطرق، فالشرعية تشتمل على اثنتي عشرة خصلة هي جامعة لأوصاف الإيمان؛ أول ذلك الشهادتان وهي الفطرة، والصلوات الخمس وهي الملة، والزكاة وهي الطهارة، والصيام وهو الجنة، والحج وهو الكمال، والأمر بالمعروف

⁵⁷ عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: "نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم"، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، المقدمة 72 .



وهو الحجة، والنهي عن المنكر وهو الوقاية، والجماعة وهي الألفة، والاستقامة وهي العصمة، وأكل الحلال وهو الورع، والحبّ والبغض في الله وهو الوثيقة، وقد روينا بعض هذه الخصال عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جاء نحوها عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. 58

يقول ابن الجوزي:

بأي عين تراني يا من بارزني وعصاني، بأي وجه تلقاني، يا من نسي عظمة
شأنني خاب المحبوبون عني وهلك المبعدون مني:
يا من يحدث نفسه ... بدخول جنات النعيم
إن كنت متقيًا فأنت ... على الصراط المستقيم
لا ترجون سلامةً ... من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين ... وظن خيرًا بالكريم
واذكر وقوفك خائفًا ... والناس في أمر عظيم
إما إلى ذل الشقاوة ... أو إلى العز المقيم
فاجعل ثقاك وقايةً ... في الحشر من نار السموم

⁵⁸ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ): "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد"، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م، 2 / 236.

واغنم حياتك واجتهد ... وأنب إلى الرب الرحيم⁵⁹

وملاك ذلك كله صدق الإفتقار إلى الله تعالى والضراعة إليه في أن يوفقه لذلك ويعينه عليه، فمن أعطي ذلك فليفرح به وليشكر الله تعالى عليه، وكم من شخص مبتلى برؤية نفسه واعتماده على عقله وحده، وليستعمل حينئذ حسن الأدب في اتهام نفسه في صحيح الافتقار والضراعة للذين ذكرناهما، والاجتناب لجميع مناهي الشرع التي يتعرض لها بسبب ذلك، وإن كان في عمل من أعمال البر كتعليم القرآن أو غيره فليحتسب مع ذلك ثوابه، وليترفق في تعليمه ما أمكنه، ولا يجفو على متعلم ولا يظلمه، وليراقب ربه في ذلك، وكذلك إن سمع بمثل هذه النصيحة أو رآها مكتوبة فليشكر ربه على ذلك وليفرح بها، وكم من شخص مصحوب بالغفلة والسهو، أو مستصح لا يجد ناصحا، وليستعمل حينئذ حسن الأدب في أمثالها والوقوف على حدودها وبذلها لأهلها.⁶⁰

⁵⁹ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "التبصرة لابن الجوزي"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 2 / 43.

⁶⁰ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بزروق (المتوفى: 899هـ): "عدة المرید الصادق"، المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م، ص 198 .



الفصل الثاني

الصراط المستقيم

في الحكمة القرآنية

المبحث الأول

الهداية إلى الصراط المستقيم

ورد ذكر (الصراط المستقيم) في كتاب الله تعالى في مواضع عدة:

قال تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ﴿الفاتحة: ٦﴾.

وقال سبحانه: { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿البقرة: ١٤٢﴾.

وقال تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

وقال جل شأنه على لسان نبيه عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: { وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۗ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } ﴿آل عمران: ٥١﴾.



وقال تعالى: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿آل عمران: ١٠١﴾.

وقال سبحانه: { وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } ﴿النساء: ٦٨﴾.

وقال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } ﴿النساء: ١٧٥﴾.

وقال سبحانه: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿المائدة: ١٦﴾.

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿الأنعام: ٣٩﴾.

وقال سبحانه: { وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ﴿الأنعام: ٨٧﴾.

والقرآن الكريم يأمر بالصراف المستقيم ويمدحه ويثني على أهله. ففي سورة الفاتحة، قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }، وقال تعالى: { وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } ﴿١٢٦﴾ [الأنعام: 126]، وقال سبحانه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾) [الأنعام: 153]، وقال تعالى في موسى وهارون { وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ } [الصافات: 118]، وقال عن إبليس: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۗ وَلَا

تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ { [الأعراف: 16، 17]، وقال سبحانه: { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ } [سبأ: 20]، وهؤلاء المتبعون لإبليس من أكابر متبعيه، وأنه قعدهم على صراط الله المستقيم فصدّهم عنه حتى كفروا بربهم، وأمنوا أن نفوسهم هي معبودهم وإلههم. وقال تعالى في حق رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ } [سورة الشورى: 52 - 53].⁶¹

في قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }:

وفيما يأتي نركز البحث على قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }

﴿الفاتحة: ٦﴾.

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن عباس، قال: قال جبريل لمحمد: " قل، يا محمد، اهدنا الصراط المستقيم ". يقول: ألهما الطريق الهادي. وإلهامه إياه ذلك، هو توفيقه له. ومعناه نظير معنى قوله: { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، في أنه مسألة العبد ربّه التوفيق للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه، فيما يستقبل من عمره، دون ما قد مضى من أعماله، وتقضى فيما سلف من عمره.

⁶¹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): " مجموعة الرسائل والمسائل"،

علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بدون تاريخ، 4 / 90.



كما في قوله: { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، مسألةً منه رَبِّهِ المعونةَ على أداء ما قد كَلَّفَهُ من طاعته، فيمّا بقي من عُمره. ومعنى كلام الله سبحانه: اللهم إياك نعبُدُ وحدَكَ لا شريك لك، مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووقِّفنا لما وقَّفت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج. والعربُ تقول: هديتُ فلانًا الطريقَ، وهديتُهُ للطريقَ، وهديتُهُ إلى الطريقَ، إذا أرشدته إليه وسدّته له. وبكل ذلك جاء القرآن، قال الله جلّ ثناؤه: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } [سورة الأعراف: 43] ، وقال في موضع آخر: { اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [سورة النحل: 121] ، وقال: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } .⁶²

وأشار ابن كثير إلى اختلاف أقوال المُفسِّرين من السلف والخلف في تفسير الصِّرَاطِ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيءٍ واحدٍ، وهو المُتَابَعَةُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَرُوِيَ أَنَّهُ كَتَابُ اللهِ، فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللهِ". وَعَنْ عَلِيِّ مَرْفُوعًا: "وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ". وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. كِتَابُ اللهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْلَامُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جَبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قُلْ: يَا مُحَمَّدُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. يَقُولُ: اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِي، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ. وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } قَالَ: ذَلِكَ الْإِسْلَامُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ

⁶² محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 1/ 167، 169.

المُسْتَقِيمَ} قَالُوا: هُوَ الْإِسْلَامُ. عَنْ جَابِرٍ: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} قَالَ: الْإِسْلَامُ، قَالَ: هُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} قَالَ هُوَ دِينُ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَالَ: هُوَ الْإِسْلَامُ.⁶³

قال أبو جعفر الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن "الصراف المستقيم"، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وقوله سبحانه: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}: وَقَفْنَا لِلثَبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَقَّعْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ، وَتَصَدَّقَ الرَّسُولُ، وَالتَّمَسَّكَ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْإِنْجَارَ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتَّبَعَ مِنْهَجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَاجَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَكَلَّ عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَكُلَّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.⁶⁴

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تُعْوِجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجَهُ. فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ،

⁶³ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): " تفسير القرآن العظيم"، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 1 / 137 - 138.

⁶⁴ الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 1 / 170 - 171.



وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَعَظَّ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ. " وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ،
وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ جَمِيعًا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ
حُجْرٍ عَنْ بَقِيَّةَ، عَنْ بُجَيْرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ
النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، بِهِ . 65

ويقول القرطبي في قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } اهْدِنَا دُعَاءَ وَرَغْبَةً
مِنَ الْمَرْبُوبِ إِلَى الرَّبِّ، وَالْمَعْنَى: دُلَّنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَرْشِدْنَا إِلَيْهِ، وَأَرِنَا طَرِيقَ
هَدَايَتِكَ الْمَوْصِلَةَ إِلَى أُنْسِكَ وَقُرْبِكَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ " اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ": هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ. وَقَالَ عَاصِمُ الْأَحْوَلُ
عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: " الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَاهُ مِنْ
بَعْدِهِ. قَالَ عَاصِمٌ فَقُلْتُ لِلْحَسَنِ: إِنَّ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: " الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَاهُ، قَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: فَجَعَلَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَزَّ عِظَمَ الدُّعَاءِ وَجُمَلَتَهُ مَوْضُوعًا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، نَصَفَهَا فِيهِ مَجْمَعُ النَّبَاءِ،
وَنَصَفَهَا فِيهِ مَجْمَعُ الْحَاجَاتِ، وَجَعَلَ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي
يَدْعُو بِهِ [الدَّاعِي] لِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ تَكَلَّمَ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَأَنْتَ تَدْعُو بِدُعَاءٍ هُوَ
كَلَامُهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ). وَقِيلَ:
الْأَصْلُ فِيهِ الْإِمَالَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ }، [الأعراف: 156] أَي مَلْنَا،
وَخَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَرَضِهِ يَتَهَادَى بَيْنَ اثْنَيْنِ، أَي يَتَمَايَلُ. وَمِنْهُ الْهُدْيَةُ، لِأَنَّهَا تُمَالُ
مِنْ مَلِكٍ إِلَى مَلِكٍ. وَمِنْهُ الْهُدْيُ لِلْحَيَوَانِ الَّذِي يُسَاقُ إِلَى الْحَرَمِ، فَالْمَعْنَى مِلُّ بِقُلُوبِنَا

65 ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم "، 1 / 138.

إِلَى الْحَقِّ. وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: "الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ" طَرِيقُ الْحَجِّ، وَهَذَا خَاصٌّ وَالْعُمُومُ أَوْلَى. وَقِيلَ الْمَعْنَى: أَرْشَدْنَا بِاسْتِعْمَالِ السُّنَنِ فِي آدَاءِ فَرَائِضِكَ. ⁶⁶

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } قَالَ: "هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ"، قَالَ عَاصِمٌ: فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلْحَسَنِ، فَقَالَ: "صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَنَصَحَ." ويقول ابن كثير: "وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ، فَإِنَّ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَدْ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَمَنْ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَقَدْ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ، وَمَنْ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ".

67

وقد أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ { [سورة الفاتحة: (6) - (7)]. ⁶⁸

والهدى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَتَّوَلُّ التَّعْرِيفَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مَفْصَلًا، وَيَتَّوَلُّ التَّعْرِيفَ بِمَا يَدْخُلُ فِي أَوَامِرِهِ الْكَلِيَّاتِ، وَيَتَّوَلُّ الْعَمَلَ بِعِلْمِهِ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ لَا يَحْصُلُ بِهِ الْإِهْتِدَاءُ إِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، وَلِهَذَا قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

⁶⁶ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، 1 / 147.

⁶⁷ ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، 1 / 139.

⁶⁸ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)", المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز - جدة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م، ص 388.



بعد صلح الحُدَيْبِيَّةِ أُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ } (الفتح: 1 - 2). وَقَالَ فِي حَقِّ مُوسَى وَهَارُونَ فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ: { وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ } (الصافات: 117-118). فالذين صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ كَانَ مِنْ اعْظَمِ أَسْبَابِ ذَلِكَ دَعَاؤُهُمْ اللَّهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِحَاجَتِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ دَائِمًا فِي أَنْ يَهْدِيَهُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَبَدَّوْا هَذَا الدُّعَاءَ وَالِافْتِقَارَ صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ: " لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ طَرِيقٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ "، وَمَا حَصَلَ فِيهِ الْهُدَى فِي الْمَاضِي فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حُصُولِ الْهُدَى فِيهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا حَقِيقَةٌ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ ثَبَتْنَا وَاهْدِنَا لُزُومَ الصِّرَاطِ، لَكِنْ هَذَا كُلُّهُ هَدَى مِنْهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ لَمْ يَحْصَلْ بَعْدَ وَلَا يَكُونُ مَهْتَدِيًّا حَتَّى يَعْمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ وَقَدْ لَا يَحْصَلُ الْعِلْمُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بَلْ يَزُولُ عَنِ الْقَلْبِ وَإِنْ حَصَلَ فَقَدْ لَا يَحْصَلُ الْعَمَلُ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُضْطَرُونَ إِلَى هَذَا الدُّعَاءِ وَلِهَذَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ أَحْجُجَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، وَإِذَا حَصَلَ الْهُدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ حَصَلَ النَّصْرُ وَالرِّزْقُ وَسَائِرُ مَا تَطْلُبُ النُّفُوسُ مِنَ السَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ⁶⁹

إِنَّ الْحَسَنَةَ مِنَ اللَّهِ الْجَزَاءَ وَالْعَمَلَ سَأَلَهُ أَنْ يَعِينَهُ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنَاتِ، بِقَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاحة: 5] ، وبِقَوْلِهِ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاحة:

⁶⁹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "أمراض القلب وشفؤها"، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ، ص 11 - 12.

[6] ، وقوله: { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } [آل عمران: 8] ونحو ذلك. أما السيئة فمن نفس الإنسان بذنوبه، بعد أن ذكر: أن الجميع من عند الله تنبيهاً على الاستغفار والتوبة، والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله، والدعاء بذلك في الصباح والمساء، وعند المنام، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق، أفضل الأمة، إذ علمه أن يقول: " اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترب على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم ". فيستغفر مما مضى، ويستعيز مما يستقبل، فيكون من حزب السعداء. ⁷⁰

ولا يستغني أحد من المكلفين عن سؤال الله تعالى بل السؤال عليه فرض في صلاته بقوله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) } [الفاتحة 6-7]، وهذا دعاء واجب على كل مسلم في كل صلاة لا صلاة إلا به وعند جمهور العلماء أنه رُكْنٌ في الصلاة لا تصح إلا به وهو قول مالك والشافعي وأحمد والمشهور عند أبي يوسف وعند بعضهم هو واجب وتاركه مسيء وإن لم يوجبوا عليه الإعادة كما ذهب إليه أبو حنيفة ومحمد. ⁷¹

⁷⁰ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " الحسنه والسيئه"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 43.

⁷¹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " الرد على الشاذلي في حزيه، وما صنفه في آداب الطريق"، المحقق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الأولى 1429هـ، ص 50.



والصرّاط المستقيم: " هو الإسلام واتباع القرآن أو طاعة الله ورسوله والعلم
النافع والعمل الصالح ".⁷²

يقول الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن: مالك، وحدثنا إسحاق، قال: حدثنا
مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، أنه سمع أبا السائب، مولى هشام بن
زهرة، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صلى
صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، هي خداج، هي خداج، غير تمام "، فقلت:
يا أبا هريرة، إني أحياناً أكون وراء الإمام، قال: فغمز ذراعي، وقال: اقرأ بها يا فارسي
في نفسك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله عز وجل:
قسمت الصلاة بيني، وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما
سأل "، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرءوا: يقول العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ } [الفاتحة: 2] ، يقول الله عز وجل حمدني عبدي، يقول العبد: {
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ } [الفاتحة: 1] ، يقول الله عز وجل: أتى علي عبدي، يقول
العبد: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ } ، يقول الله عز وجل: مجدني عبدي، يقول العبد: {
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ } [الفاتحة: 5] ، يقول الله عز وجل: هذه الآية بيني
وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ

⁷² تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني
الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " الرد على المنطقيين"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 51.

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ { [الفاتحة: 7] ، فهؤلاء لعبيدي ولعبيدي ما سأل⁷³ . "

وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم."

وفي جامع الترمذي عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم ير اختلاقاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة

⁷³ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 16/25 - 26.



الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ" وقال: هذا حديث حسن صحيح .

74

ويبين ابن القيم أن في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} فيها عشرون مسألة: أحدها: ما فائدة البدل في الدعاء والداعي مخاطب لمن لا يحتاج إلى البيان والبدل القصد به بيان الإسم الأول، الثانية: ما فائدة تعريف {الصراف المستقيم} باللام وهلا أخبر عنه بمجرد اللفظ دونها كما قال: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} (الشورى: 52)، الثالثة: ما معنى {الصراف} ومن أي شيء اشتقاقه ولم جاء على وزن فعال ولم ذكر في أكثر المواضع في القرآن الكريم بهذا اللفظ وفي سورة الأحقاف ذكر بلفظ الطريق فقال: {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾} (الأحقاف: 30)، الرابعة: ما الحكمة في إضافته إلى قوله تعالى: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} بهذا اللفظ ولم يذكرهم بخصوصهم فيقول صراف النبيين والصديقين فلم عدل إلى لفظ المبهم دون المفسر، الخامسة: ما الحكمة في التعبير عنهم بلفظ الذي مع صلتها دون أن يقال المنعم عليهم وهو أخصر كما قال: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} وما الفرق، السادسة: لم فرق بين المنعم عليهم والمغضوب عليهم فقال في أهل النعمة الذين أنعمت وفي أهل الغضب المغضوب بحذف الفاعل، السابعة: لم قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فعدى الفعل بنفسه ولم يعده بإلى كما قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} (الشورى: 52)، وقال تعالى: {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾} (الأنعام: 87)، الثامنة: أن قوله تعالى: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} يقتضي أن نعمته مختصة

⁷⁴ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : 1377هـ): " معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول"، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة : الأولى ، 1410 هـ - 1990 م، 3 / 1216 .

بالأولين دون المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا حجة لمن ذهب إلى أنه لا نعمة له على غير المؤمن فهل هذا استدلال صحيح أم لا، التاسعة: أن يقال لم وصفهم بلفظ غير وهلا قال تعالى لا المغضوب عليهم كما قال: { وَلَا الضَّالِّينَ }، وهذا كما تقول مررت بزید لا عمرو وبالعقل لا الأحمق، العاشرة: كيف جرت غير صفة على الموصوف وهي لا تتعرف بالإضافة وليس المحل محل عطف بيان إذ بابه الإعلام ولا محل لذلك إذ المقصود في باب البدل هو الثاني والأول توطئة وفي باب الصفات المقصود الأول والثاني بيان وهذا شأن هذا الموضع فإن المقصود ذكر المنعم عليهم ووصفهم بمغايرتهم معنى الغضب والضلال، الحادية عشرة: إذا ثبت ذلك في البدل فالصراط المستقيم مقصود الإخبار عنه بذلك وليس في نية الطرح فكيف جاء صراط الذين أنعمت عليهم بدلا منه وما فائدة البدل هنا. ⁷⁵

الفائدة الثانية عشرة: لم قدم المغضوب عليهم في اللفظ على الضالين، الثالثة عشرة: لم أتى في أهل الغضب بصيغة مفعول المأخوذة من فعل ولم يأت في أهل الضلال بذلك فيقال المضلين بل أتى فيهم بصيغة فاعل المأخوذة من فعل، الرابعة عشرة: ما فائدة العطف ب لا هنا ولو قيل: المغضوب عليهم والضالين لم يختل الكلام وكان أوجز، الخامسة عشرة: إذ قد عطف بها فيأتي العطف بها مع الواو للمنفى نحو ما قام زيد ولا عمرو وكقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ} إلى قوله تعالى: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} وأما بدون الواو فبابها الإيجاب نحو مررت بزید لا عمرو، السادسة عشرة: هل الهداية هنا هداية التعريف والبيان أو هداية التوفيق والإلهام،

⁷⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، 2 / 10.



السابعة عشرة: كل مؤمن مأمور بهذا الدعاء أمرا لازما لا يقوم غيره مقامه ولا بد منه وهذا إنما نسأله في الصلاة بعد هدايته فما وجه السؤال لأمر حاصل وكيف يطلب تحصيل الحاصل، الثامنة عشرة: ما فائدة الإتيان بضمير الجمع في اهدنا والداعي يسأل ربه لنفسه في الصلاة وخارجها ولا يليق به ضمير الجمع ولهذا يقول: "رب اغفر لي وارحمني وتب علي" العشرون: ما حقيقة الصراط المستقيم الذي يتصوره العد وقت سؤاله فهذه أربع مسائل حقها أن تقدم أولا ولكن جر الكلام إليها بعد ترتيب المسائل الست عشرة الجواب بعون الله وتعليمه أنه لا علم لأحد من عباده إلا ما علمه ولا قوة له إلا بإعانتة سبحانه. ⁷⁶

فأما تضمن الفاتحة على الحمد فلأن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يحصوها سواه، ولهذا ذم الله تعالى الأوثان، وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر، فقال تعالى حكايةً عن خليله إبراهيم عليه السلام في حاجته لأبيه { وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا } ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } ﴿٤٢﴾ { [مريم: 42-43] فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة

⁷⁶ ابن قيم الجوزية: "بدائع الفوائد، 2 / 11 - 11.

والمثابة لقال له آزر: وأنت إلهك بهذه المثابة، فكيف تتكر علي؟ لكن كان مع شركه أعرف بالله منهم، وكذلك أهل قريش كانوا مع شركهم مقرين بصفات الصانع سبحانه وعلوه على خلقه، وقال تعالى { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۗ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ } [الأعراف: 148] فلو كان إله الخلق سبحانه كذلك لم يكن في هذا إنكار عليهم، واستدلال على بطلان الإلهية بذلك.⁷⁷

ويبين ابن القيم أن سورة الفاتحة قد اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. التوحيد نوعان: نوع في العلم والإعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدى الإرادى، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضاً نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع. فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان: مجمل، ومفصل. أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه، وأما المفصل: فنذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات.⁷⁸

كذلك حمد الله سبحانه لنفسه على عدم اتخاذ الولد المتضمن لكمال صمديته وغناه وملكه، وتعبيد كل شيء له، فاتخاذ الولد ينافي ذلك، كما قال تعالى {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّن

⁷⁷ ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 1 / 49.

⁷⁸ ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 1 / 48 - 49.



سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ [يونس: 68] . وحمد الله تعالى نفسه على عدم الشريك، المتضمن تفرده بالربوبية والإلهية، وتوحده بصفات الكمال التي لا يوصف بها غيره، فيكون شريكاً له، فلو عدما لكان كل موجود أكمل منه، لأن الموجود أكمل من المعدوم، ولهذا لا يحمد نفسه سبحانه بعدم إلا إذا كان متضمناً لثبوت كمال، كما حمد نفسه بكونه لا يموت لتضمنه كمال حياته، وحمد نفسه بكونه لا تأخذه سنة ولا نوم، لتضمن ذلك كمال قيوميته، وحمد نفسه بأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، لكمال علمه وإحاطته، وحمد نفسه بأنه لا يظلم أحداً، لكمال عدله وإحسانه، وحمد نفسه بأنه لا تتركه الأبصار، لكمال عظمته، يرى ولا يدرك، كما أنه يعلم ولا يحاط به علمًا، فمجرد نفي الرؤية ليس بكمال؛ لأن العدم لا يرى، فليس في كون الشيء لا يرى كمال البتة، وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤيةً ولا إدراكًا، لعظمته في نفسه، وتعالیه عن إدراك المخلوق له، وكذلك حمد نفسه بعدم الغفلة والنسيان، لكمال علمه. فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده، ولتضمنه كمال ثبوت ضده. ولذلك علمنا أن حقيقة الحمد تابعة لثبوت أوصاف الكمال، وأن نفيها نفي لحمده، ونفي الحمد مستلزم لثبوت ضده.⁷⁹

وأم القرآن، لأن المقصود منه تقرير أمور الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ف { الْحَمْدُ لِلَّهِ } إلى { الرَّحِيمِ }، يدل على الإلهيات، و { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: 4] يدل على المعاد و { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5] يدل على نفي الجبر والقدر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله تعالى، و

⁷⁹ ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 1 / 51.

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6] إلى آخرها يدل على الثواب، وتسمى الشفاء، والشفافية، والسؤال، والدعاء، وقال الحسن: أودع الله تعالى فيها معاني القرآن كما أودع فيها معنى الكتب السابقة، وهي أفضل سورة، قاله ابن شهاب، وغيره، وهي مكية، وقال مجاهد: مدنية، وخطئ في ذلك، وقيل: نزلت مرتين فهي مكية مدنية (وفيها إحدى عشرة تشديدة) بغير خلاف، وهذا على المذهب، وعلى أن البسمة آية منها، فيصير فيها أربعة عشرة تشديدة، لأن فيها ثلاثة، ويلزمه أن يأتي بقراءتها مرتبةً مشددةً غير ملحون فيها لحنًا يحيل المعنى، مثل كسر كاف (إياك) أو ضم تاء (أنعمت) أو فتح همزة الوصل في (اهدنا).⁸⁰

⁸⁰ إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ): "المبدع في شرح المقنع"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، 1 / 368.



المبحث الثاني

تجديد الإعتصام

الإختلاف والهداية:

في قوله تعالى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (البقرة: 213).

يقول السمرقندي: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً. قال الزجاج: الأمة على وجوه منها القرن من الناس، كما يقال: مضت أمم أي قرون، والأمة: الدين وهو الذي قال هاهنا: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، أي على دين واحد وعلى ملة واحدة، والأمة: الرجل الذي لا نظير له. ومنه قول الله تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } [النحل: 120]، وقيل: كان الناس كلهم على دين الإسلام، جميع من كان مع نوح في السفينة ثم تفرقوا. فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ. وقال بعضهم: كان الناس كلهم غير مؤمنين في عهد نوح وعهد إبراهيم - عليهما السلام - فبعث الله للناس النبيين إبراهيم وإسماعيل، ولوطاً وموسى ومن بعدهم مُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمُنذِرِينَ بِالنَّارِ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ { وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ }، يقول: بالعدل { لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ }، أي يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من

أمر الدين. { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ }، أي في الدين. إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ، يعني أعطوا الكتاب، { مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ }، أي البيان من الله. بَغِيًّا بَيْنَهُمْ، يعني اختلفوا فيه حسداً بينهم. { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ }، أي هداهم ووفقهم حتى أبصروا الحق من الباطل { بِإِذْنِهِ } بتوفيقه، ويقال: برحمته. { وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، يعني الإسلام }. وقال بعضهم: أي يوفق مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ⁸¹

العبادة:

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ۖ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [آل عمران: 51].

قال: قال مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ: { وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا } ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ۖ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ { (آل عمران: 51)، تبرئاً مما يقولون فيه، واحتجاجاً لربه عليهم. عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ، عن ابن

⁸¹ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ): "بحر العلوم"، بدون بيانات أخرى،



عباس قوله فاعبدوا أي: وخذوا. وبه قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ أَي: هَذَا
الهُدَى قَدْ حَمَلْتُمْ عَلَيْهِ وَجِئْتُمْ بِهِ. 82

يُنَاجِي الْمُؤْمِنَ رَبَّهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ بِقَوْلِهِ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } كَمَا فِي
قَوْلِهِ فِي سُورَةِ هُودٍ { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ } (هود: 123)، وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ
هُودٍ وَالشُّورَى: { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }، فِي سُورَةِ هُودٍ: { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۗ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ
عَنْهُ ۗ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
﴿٨٨﴾ } (هود: 88)، وَفِي سُورَةِ الشُّورَى: { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ
اللَّهِ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ } (الشورى: 10)، فَهُوَ قَدْ جَمَعَ
بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ فِي عِدَّةٍ مَّوَاضِعٍ لِأَنَّ هَذَيْنِ يَجْمَعَانِ الدِّينَ كُلَّهُ، وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ
مِنَ السَّلَفِ إِنْ اللَّهُ جَمَعَ الْكُتُبَ الْمُنزَلَةَ فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ فِي الْمَفْصَلِ وَجَمَعَ
عِلْمَ الْمَفْصَلِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَجَمَعَ عِلْمَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ } . وَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ الْجَامِعَتَانِ اللَّتَانِ لِلرَّبِّ وَالْعَبْدِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ
الَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ:
"يُقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ نِصْفَهَا لِي وَنِصْفَهَا لِعَبْدِي
وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " يَقُولُ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللَّهُ حَمْدِي عَبْدِي يَقُولُ الْعَبْدُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ يَقُولُ اللَّهُ أَتَيْتَنِي عَلَىٰ عَبْدِي

⁸² أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ):
" تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية
السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ، 2 / 658.

يَقُولُ الْعَبْدُ مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ يَقُولُ اللَّهُ مَجْدُنِي عَبْدِي يَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
يَقُولُ اللَّهُ فَهَذِهِ آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ يَقُولُ الْعَبْدُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ يَقُولُ اللَّهُ
فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ".⁸³

وَالْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ لَهَا الْعِبَادَ مِنْ جِهَةٍ أَمَرَ اللَّهُ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ
كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الذَّارِيَاتِ: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } وَبِهَا أُرْسِلَ
الرُّسُلُ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الذَّلِّ وَنَهَائِيهِ وَكَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ وَنَهَائِيهِ
فَالْحُبُّ الْخَلِيَّ عَنِ الذَّلِّ وَالذَّلُّ الْخَلِيَّ عَنِ حُبِّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ مَا يَجْمَعُ
كَمَالَ الْأَمْرَيْنِ. فَالربُّ سُبْحَانَهُ لَهُ نِصْفُ النَّتَاءِ وَالْخَيْرِ وَالْعَبْدُ لَهُ نِصْفُ الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ
وَهَاتَانِ جَامِعَتَانِ مَا لِلربِّ سُبْحَانَهُ وَمَا لِلْعَبْدِ ف { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }. وَفِي
الصَّحِيحَيْنِ عَنِ مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " كُنْتُ رَدِيفًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: يَا مَعَاذِ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ اعْلَمَ، قَالَ:
حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ
مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ". وَلِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مَنْفَعَتَهَا لِلْعَبْدِ
وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهَا فَهِيَ لَهُ مِنْ جِهَةٍ مَحَبَّتِهِ لَهَا وَرِضَاهُ بِهَا".⁸⁴

إِنَّ الْإِيمَانَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ. وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ
وَيَنْقُصُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَالْحَسَنَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ فَكُلَّمَا زَادَ الْإِنْسَانُ عَمَلًا

⁸³ ابن تيمية: " أمراض القلوب وشفائها"، ص 43.

⁸⁴ ابن تيمية: " التحفة العراقية في الأعمال القلبية"، ص 44.



للخير ازْدَادَ إِيْمَانَهُ. هَذَا هُوَ الْإِيْمَانُ الْحَقِيقِيُّ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }، بل نعم الدُّنْيَا نِعْمَةً الدِّينِ. ⁸⁵

ولا بد في عبادة الله سبحانه من أصلين: أحدهما: إخلاص الدين له تعالى، والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله عليهم الصلاة والسلام، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: " اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا". وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} (الملك: 2)، قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة. ⁸⁶

الإعتصام:

قوله تعالى: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (آل عمران: 101).

يقول البغوي: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ }، يَعْنِي: وَلِمَ تَكْفُرُونَ؟ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ، [أي]: الْقُرْآنُ، وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ قَتَادَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ

⁸⁵ البعلي: " مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية "، ص 267.

⁸⁶ ابن تيمية: " التدمرية "، ص 233.

عَلَمَانَ بَيِّنَانٍ: كِتَابُ اللَّهِ وَنَبِيُّ اللَّهِ، أَمَا نَبِيُّ اللَّهِ فَقَدْ مَضَى، وَأَمَا كِتَابُ اللَّهِ فَأَبْقَاهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً. عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ حَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ النَّقْلَيْنِ أَوْلَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَخُذُوا بِهِ» ، فَحَثَّ [عَلَيْهِ] وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. «قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ، أَيُّ: يَمْتَتِعْ بِاللَّهِ وَيَسْتَمْسِكْ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ أَيُّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَأَصْلُ الْعِصْمَةِ: الْمَنْعُ، فَكُلُّ مَانِعٍ شَيْئًا فَهُوَ عَاصِمٌ لَهُ. 87

عقد الشاطبي في كتابه: " الإعتصام " كتاباً أسماه: " فِي بَيَانِ مَعْنَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي انْحَرَفَتْ عَنْهُ سَبِيلُ أَهْلِ الْإِبْتِدَاعِ فَضَلَّتْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ الْبَيَانِ "، وأشار فيه: أنه قد وقع الاختلاف في تعيينه وبيانه، حتى أشكلت المسألة على كل من نظَرَ فيها، حتى قال مَنْ قَالَ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي الْعُقَلِيَّاتِ أَوْ النَّقَلِيَّاتِ مُصِيبٌ. فعدد الأقوال (إذاً) فِي تَعْيِينِ هَذَا الْمَطْلَبِ عَلَى عَدَدِ الْفِرْقِ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِخْتِلَافِ، إِذْ لَا (تَكَادُ) تَجِدُ فِي الشَّرِيعَةِ مَسْأَلَةً يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ (فِيهَا) عَلَى بَعْضِ وَسَبْعِينَ قَوْلًا إِلَّا هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ. ووجه ثان: أن الطريق المُسْتَقِيمَ لَوْ تَعَيَّنَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَقَعْ اخْتِلَافٌ أَصْلًا، لِأَنَّ الْإِخْتِلَافَ مَعَ تَعْيِينِ مَحَلِّهِ مُحَالٌ، وَالْفَرَضُ أَنَّ الْخِلَافَ لَيْسَ بِقَصْدِ الْعِنَادِ. وَجَهٌ ثَالِثٌ: أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْبِدْعَ لَا تَقَعُ مِنْ

⁸⁷ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ): " معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 1 / 478 - 479.



رَاسِخٍ فِي الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا تَقَعُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَدْلَتِهَا،
وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ فُلَانًا رَاسِخٌ فِي الْعِلْمِ وَفُلَانًا غَيْرُ رَاسِخٍ، فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ
خَالَفَ وَأَنْحَازَ (إِلَى فِرْقَةٍ) يَزْعَمُ أَنَّهُ الرَّاسِخُ، (وغيره) قَاصِرُ النَّظَرِ (لَمْ تَرَسِخْ قَدَمَهُ فِي
الْعِلْمِ)، فَإِنَّ فُرُضَ عَلَى ذَلِكَ الْمَطْلَبِ عِلْمًا وَقَعَ النَّزَاعُ إِمَّا فِي الْعِلْمَةِ، وَإِمَّا فِي
مَنَاطِهَا. 88

ويرى الشاطبي أن الإحداث في الشريعة يقع إما من جهة الجهل وإما من جهة
تحسين الظن (بالعقل)، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق وهذا الحصر
بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة، وقد مر في ذلك ما يؤخذ منه شواهد المسألة، إلا
أن الجهات الثلاث قد تنفرد وقد تجتمع، (وإذا) اجتمعت فقد تجتمع منها (اثنان) وقد
تجتمع (الثلاث) فأما جهة الجهل فتارة تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد، وتارة
تتعلق بالمقاصد، وأما جهة تحسين الظن (بالعقل) فتارة يُشْرِكُ فِي التَّشْرِيعِ مَعَ الشَّرْعِ،
وتارة يُقَدِّمُ عَلَيْهِ، وَهَذَانِ النَّوْعَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ، وَأَمَّا جِهَةُ اتِّبَاعِ الْهَوَى، فَمِنْ
شَأْنِهِ أَنْ يَغْلِبَ الْفَهْمَ حَتَّى (يَغَالِبَ) صَاحِبَهُ الْأَدْلَةَ أَوْ يَسْتَدِدُّ إِلَى غَيْرِ دَلِيلٍ وَهَذَانِ
النَّوْعَانِ (أَيْضًا) يَرْجِعَانِ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ، فَالْجَمِيعُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ؛ وَهِيَ: الْجَهْلُ بِأَدْوَاتِ
الْفَهْمِ، وَالْجَهْلُ بِالْمَقَاصِدِ، وَتَحْسِينُ الظَّنِّ بِالْعَقْلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى. 89

88 إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ): "الإعتصام"، تحقيق
ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د.
هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ -
2008 م، 3 / 250.

89 الشاطبي: "الإعتصام"، 3 / 252 - 253.

سبل السلام:

قوله سبحانه: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (المائدة: 16).

يقول الرازي في تفسير الآية الكريمة: " يَهْدِي بِهِ اللَّهُ أَي بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مَنْ كَانَ مَطْلُوبُهُ مِنْ طَلَبِ الدِّينِ اتِّبَاعَ الدِّينِ الَّذِي يَرْتَضِيهِ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مَطْلُوبُهُ مِنْ دِينِهِ تَقْرِيرَ مَا أَلْفَهُ وَنَشَأَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ مِنْ أَسْلَافِهِ مَعَ تَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مُتَّبِعِ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى ".⁹⁰

والسَّلَام في هذه الآية يحتمل أن يكون اسماً من أسماء الله تعالى، فالمعنى طرق الله تعالى التي أمر بها عباده وشرعها لهم، ويحتمل أن يكون مصدراً كالسلامة فالمعنى طرق النجاة والسلامة من النار.⁹¹

⁹⁰ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 11 / 327.

⁹¹ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، 2 / 171 .



الفصل الثالث

الصراط المستقيم

في الحكمة النبوية

المبحث الأول

معلم الكتاب والحكمة

(صلى الله عليه وسلم)

دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

حين كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان قواعد البيت كان من ضمن دعائهما عليهما السلام أن يبعث الله سبحانه في أمتهما رسولاً منهم يتلوا عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة. قص علينا القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ } [البقرة: 127 - 129].

قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}: يُعَلِّمُهُمُ الْخَيْرَ فَيَفْعَلُوهُ، وَالشَّرَّ فَيَنْتَقُوهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ وَاسْتَكْتَرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا سَخَطَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ. 92

92 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): " تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 1 / 445.



المخرج من الفتن:

وقد دلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطريق الذي يكون مخرجاً من الفتن التي نواجهها، وهذا الطريق كتاب الله تعالى.

عن عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ سَتَكُونُ فِتْنٌ فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: " كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ. هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارِ قِصَمِ اللهِ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَرَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَتَقَضَى عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".⁹³

طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم:

ومن الأمور التي عملنا إياها معلم الكتاب والحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطيع الله تعالى، وأن نطيعه عليه الصلاة والسلام.

يبين الإمام الشافعي أن الله جعل رسوله صلى الله عليه وسلم علماً لدينه، بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قرّن من الإيمان برسوله مع الإيمان به. فقال تبارك وتعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

⁹³ ابن تيمية: "الاستقامة"، 1 / 20.

وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ { [النور: 62]. فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ورسوله. فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله: لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن برسوله معه. ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله. وقال جل ثناؤه: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا، وَيُزَكِّيكُمْ، وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ { [البقرة: 151]. وقال: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ. إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ { [البقرة: 129]. وقال: { وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ { [البقرة: 231]. وقال: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { [آل عمران: 164]. وقال: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا { [النساء: 113]. فذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، وقال أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن القرآن ذُكِرَ وأُتْبِعَتْهُ الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُزْ - والله أعلم - أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحتمَّ على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرض، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله. صلى الله عليه وسلم، لما تبين من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به. وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مُبَيَّنَّةٌ عن الله معنى ما أراد، دليلاً



على خاصّه وعامّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله صلى الله عليه وسلم.⁹⁴

ضرورة الشرع:

وتكمن أهمية الشرع بالنسبة للإنسان أنه مضطر إلى شرع في حياته الدنيا، فإنه لا بدّ له من حركة تتحقق بها منفعتة، وحركة يدفع بها مضرتة، والشرع هو الذي يميّز بين الأفعال التي تنفعه، والأفعال التي تضره، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن للبشر أن يعيشوا بلا شرع يميّزون به بين ما يفعلونه ويتركونه.⁹⁵

وأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحرام ما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والدين ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله. قال الله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: 153]. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطأ وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال " هذه سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه " ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }.

⁹⁴ الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " الرسالة "، المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م، ص 73.

⁹⁵ ابن تيمية: "التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع"، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة، 1421هـ / 2000م، ص 213.

ذِكْرُكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: 153]، وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى، كالبحيرة والسائبة، واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله، فقال تعالى: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾، ومنه أشياء عبادات كالشرك والفواحش، مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك.⁹⁶

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ودين الله ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهو الصراف المستقيم، وهو طريق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكرم الخلق على الله بعد النبيين، خير القرون، وأفضل الأمة، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} فرضي عن السابقين الأولين رضاً مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولأن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً". وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: "هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

⁹⁶ ابن تيمية: "مجموعة الرسائل والمسائل"، 5 / 81 - 82.



فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ". وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم مُسْتَقِيمًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقي 97

أما دعوته صلى الله عليه وسلم إلى هذا الصراط المستقيم في قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ } (الشورى: 52). فهي - كما يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى: كل علم أو عمل أو حقيقة، أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته، فهو من الصراط المستقيم وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال. فما ثم خروج عن هذه الطرق الثلاث: طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به، وطريق أهل الغضب { الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ }، وهي طريق من عرف الحق وعانده. وطريق أهل الضلال: وهي طريق من أضله الله عنه. ولهذا قال عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - «الصراف المستقيم: هو الإسلام» وقال عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - «هو القرآن» وفيه حديث مرفوع في الترمذي وغيره، وقال سهل بن عبد الله «طريق السنة والجماعة» وقال بكر بن عبد الله المزني «طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم». ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًا وعملاً وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم. لقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم التزام الصراط المستقيم والخروج عنه، أي ذلك الصراع بين طاعة الرحمن وطاعة

97 ابن تيمية: " التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع"، ص 238.

الشيطان فيما يرويّه ابن مسعود- رضي الله عنه- (وقد تقدم)، قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله. فالسبيل المستقيم أو الصراط المستقيم هو ما تدعو له الرسل. وتهدى الناس إليه، أما السبل الأخرى التي ينحرف إليها البعض فليست إلا سبلاً شيطانية نشأت بعد أن قعد لهم إبليس على هذا «صراط الله المستقيم». 98

التفسير النبوي لسورة الفاتحة:

قال سعيد بن منصور: حدثنا سعيد، قال: نا عبد الله بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج غير تمام". قلت له: يا أبا هريرة، إنني أكون أحياناً وراء إمام؟ فغمز ذراعي، وقال: يا فارسي، اقرأها في نفسك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: قسمت السورة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، يقول العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، فيقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبد: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ، فيقول الله: أتتى علي عبدي، ويقول العبد: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ، فيقول الله عز وجل: مجدني عبدي، فهذا لي ولعبدي ما سأل، وهذه الآية بيني وبين عبدي، يقول العبد: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ

98 عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: "نصرة النعيم في مكارم

أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم"، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، المقدمة 72



وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ، وهذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {99.

وقد ذكر أئمة الحديث الرواية المتقدمة في العديد من كتب الحديث، نذكر منهم على سبيل المثال:

قال الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن: مالك، وحدثنا إسحاق، قال: حدثنا مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، أنه سمع أبا السائب، مولى هشام بن زهرة، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، هي خداج، هي خداج، غير تمام "، فقلت: يا أبا هريرة، إني أحياناً أكون وراء الإمام، قال: فغمز ذراعي، وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفسك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني، وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل "، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرءوا: يقول العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: 2] ، يقول الله عز وجل حمدني عبدي، يقول العبد: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الفاتحة: 3] ، يقول الله عز وجل: أثنى علي عبدي، يقول العبد: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، يقول الله عز وجل: مجدني عبدي، يقول العبد: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] ، يقول الله عز وجل: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول

⁹⁹ أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ): "التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققاً، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 2 / 505 - 506.

العبد: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] ، فهؤلاء لعبدي ولعبي ما سألت¹⁰⁰ "

وقال ابن حبان: أخبرنا الحسين بن مودود أبو عروبة، حدثنا يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا ابن ثوبان، عن الحسن بن الحر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج، فهي خداج غير تمام». قال:، فقال رجل: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام، قال: فغمز ذراعي ثم، قال: يا فارسي، اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبادي نصفين، فنصفها لعبدي ونصفها لي، ولعبي ما سألت، إذا، قال العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: 2] ، قال الله: حمدني عبدي، وإذا، قال: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الفاتحة: 1] يقول الله: أتى علي عبدي، وإذا قال: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: مجدي عبدي، وهذه بيني وبين عبدي، يقول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] ، وما بقي فلعبدي، ولعبي ما سألت، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7] ، فهذا لعبدي، ولعبي ما سألت¹⁰¹ .

¹⁰⁰ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 16 / 25 - 26 .

¹⁰¹ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م، 3 / 54 - 55.



وقال ابن ماجه: حدثنا أبو مروان محمد بن عثمان العثماني، حدثنا عبد العزيز ابن أبي حازم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي شطرين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اقرأوا: يقول العبد: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فيقول الله عز وجل: حمدني عبدي، ولعبدي ما سأل. فيقول: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } فيقول: أثنى علي عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } فيقول الله: مجدني عبدي، فهذا لي، وهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين. يقول العبد: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } يعني فهذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، وآخر السورة لعبدي، يقول العبد: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ { فهذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. ¹⁰²

وقال البيهقي: أخبرنا أبو طاهر الفقيه ، أنا أبو حامد بن بلال ، ثنا يحيى بن الربيع المكي ، ثنا سفيان ، حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال: حمدني عبدي ، وإذا قال: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ، قال: أثنى علي عبدي ، وإذا قال: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قال: مجدني عبدي أو قال: فوض إلي عبدي وإذا قال: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5] قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وإذا قال: { اهْدِنَا

¹⁰² ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): "سنن ابن ماجه ت الأرنبوط"، المحقق: شعيب الأرنبوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 4 / 701 - 702.

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ { [الفتحة: 7] قال: هذه لك " رواه مسلم في الصحيح عن إسحاق بن إبراهيم عن سفيان قال الحلبي في معنى الرحمن: إنه المزيج للعلل، وذلك أنه لما أراد من الجن والإنس أن يعبدوه . يعني لما أراد أن يأمر من شاء منهم بعبادته . عرفهم وجوه العبادات وبين لهم حدودها وشروطها ، وخلق لهم مدارك ومشاعر، وقوى وجوارح، فخاطبهم وكلفهم وبشرهم وأنذرهم، وأمهلهم وحملهم دون ما تتسع له بنيتهم، فصارت العلل مزاحةً، وحجج العصاة والمقصرين منقطعة وقال في معنى «الرحيم» : إنه المثير على العمل فلا يضيع لعامل عملاً ، ولا يهدر لساع سعيًا ، وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله وقال أبو سليمان الخطابي فيما أخبرت عنه: اختلف الناس في تفسير «الرحمن» ومعناه وهل هو مشتق من الرحمة أم لا؟ فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق لأنه لو كان مشتقًا من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم فجاز أن يقال: الله رحمن بعباده كما يقال: رحيم بعباده ، ولأنه لو كان مشتقًا من الرحمة لأنكرته العرب حين سمعوه إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم: وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: 60] وزعم بعضهم أنه اسم عبراني، وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة مبني على المبالغة، ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها، ولذلك لا يثنى ولا يجمع، كما يثنى الرحيم ويجمع، وبناء فعلا في كلامهم بناء المبالغة يقال لشديد الامتلاء ملآن ولشديد الشبع شبعان¹⁰³ .

¹⁰³ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "الأسماء والصفات للبيهقي"، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م، 1 / 134.



القول الثابت:

إن الله عز وجل هو المعطي بمنه وفضله من يشاء من عباده الإيمان وهو محبيه إليه ومزينه في قلبه وشارح صدره له وهاديه إلى الصراط المستقيم ومثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. قال الله عز وجل: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾} [الروم: 56] وقال: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾} {يونس: 100} وقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} {الشورى: 52} وقال: {وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾} {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾} {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾} {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾} {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾} {الزمر 54 - 57} وقال: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾} [البقرة: 213] وقال: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾} [التوبة: 118] وقال: {وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

﴿٧٤﴾ { [الإسراء: 74] وقال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ } [الحجرات: 7] وقال: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ قَوْلٍ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ } [الزمر: 22] وسأل الكليم ربه فقال: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ } {طه: 25] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ } [الضحى: 6 - 7]، وقال: {يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۗ قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ } [الحجرات: 17] وقال: {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ } {إبراهيم: 27] وقال {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ } [الأنعام: 125] الآية .¹⁰⁴

¹⁰⁴ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، "القضاء والقدر"، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، ص 262 - 263.



المبحث الثاني

إتباع الحكمة النبوية

أصول السنة:

يقول أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل:

"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والافتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الإتيان وترك الهوى. ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها الإيمان بالقدر خير وشره، والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها. ومن لم يعرف تفسير الحديث وبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعليه الإيمان به والتسليم مثل حديث الصادق المصدوق ومثل ما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤية كلها. وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحداً وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدل فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن

مَكْرُوهٌ وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ لَا يَكُونُ صَاحِبَهُ وَإِنْ أَصَابَ بِكَلَامِهِ السَّنَةَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ حَتَّى يَدَعَ
الْجِدَالَ وَيُؤْمِنُ بِالْآثَارِ " . 105

علامة الحب:

علامة حب الله عز وجل لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾} [آل عمران: 31]. به،
وقيل هي اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص
به، وقال في الكواكب: يحتمل أن يراد بالترجمة محبة الله للعبد فهو المحب أو محبته
لله فهو المحبوب أو المحبة بين العباد في ذات الله بحيث لا يشوبها شيء من الرياء،
والآية مساعدة للأولين إذ اتباع الرسول علامة للأولى لأنها مسببة للاتباع وللثانية
لأنها سببية له. محبة العبد لله إثارة طاعته على غير ذلك ومحبة الله للعبد أن يرضى
عنه ويحمده على فعله، وعن الحسن فيما أخرجه ابن أبي حاتم قال: كان قوم يزعمون
أنهم يحبون الله فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فأنزل هذه الآية فمن
ادعى محبته تعالى وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله

¹⁰⁵ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "أصول السنة"، دار المنار

- الخرج - السعودية، الطبعة: الأولى، 1411هـ، ص 15 - 21.



يكذبه، وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وتذكره ودوام الإنس . 106

عن أبي وائل قال: قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه -: جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «المرء مع من أحب». و (عن أبي وائل) شقيق أنه (قال: قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه- جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرجل هو أبو ذر رواه أحمد من حديثه أو أبو موسى كما قال في المقدمة، فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ في العمل والفضل، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "المرء" رجل أو امرأة (مع من أحب) في الجنة مع رفع الحجب حتى تحصل الرؤية والمشاهدة وكل في درجته. 107

يقول الإمام الشافعي: "ولا يسع مسلماً أن يشك في أن الفرض اتباع قول النبي وطرح كل ما خالفه". 108

¹⁰⁶ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ): "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ، 9 / 102.

¹⁰⁷ القسطلاني: "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، 9 / 102.

¹⁰⁸ الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): "اختلاف الحديث (مطبوع ملحقاً بالأمر للشافعي)"، دار المعرفة - بيروت، 1410هـ/1990م، 8 / 598.

أسئلة الإتياع:

ويتبين اتباع الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في الأسئلة التي كانت توجه له صلى الله عليه وسلم . وقد روي من غير وجه أن هذه الآية قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَمَّا لِلَّهِ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ } (المائدة: 101). نزلت لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحج، وقالوا: أفي كل عام؟ وفي " الصحيحين " عن أنس قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: من أبي؟ فقال: " فلان " فنزلت هذه الآية { لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ } [المائدة: 101] ». وفيهما أيضًا عن قتادة، عن أنس قال: «سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه في المسألة، فغضب، فصعد المنبر، فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته، فقام رجل كان إذا لاحى الرجال دعي إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: " أبوك حذافة " ثم أنشأ عمر، فقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، نعوذ بالله من الفتن». وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ } [المائدة: 101] . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم». . رواه البخاري ومسلم. بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فدعوه» .



وخرجه الدارقطني من وجه آخر مختصرًا، وقال فيه: فنزل قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم} [المائدة: 101] (المائدة: 101) .¹⁰⁹

وروي أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم} [المائدة: 101] قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس، فقال: يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل، فقال يا رسول الله، أفي كل عام؟ فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا، فقال: والذي نفسي بيده، لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، وإذن لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإذا أمرتكم بشيء، فافعلوا، وإذا نهيتكم عن شيء، فانتهاوا عنه، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم} [المائدة: 101] وفي "صحيح البخاري" عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله هذه الآية {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء} [المائدة: 101] . وخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" من حديث أبي هريرة، قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمًا وجهه، حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل، فقال: أين أنا؟ فقال "في النار" فقام إليه آخر فقال: من أبي؟ قال: "أبوك حذافة" فقام عمر فقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إمامًا، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، والله أعلم من آبائنا، قال: فسكن غضبه،

¹⁰⁹ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م، 1 / 238 - 239.

ونزلت هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ }
[المائدة: 101¹¹⁰].

دللت هذه الأحاديث على نهي المسلمين عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه، كالسؤال عن الحج: هل يجب كل عام أم لا؟ وفي " الصحيح " عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته». «ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللعان كره المسائل وعابها حتى ابتلي السائل عنه قبل وقوعه بذلك في أهله»، «وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». ودلت هذه الأحاديث على النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه ما يسوء السائل جوابه مثل سؤال السائل؛ هل هو في النار أو في الجنة، وهل أبوه ما ينسب إليه أو غيره، وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم. وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت، كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب، وقال عكرمة وغيره: إن الآية نزلت في ذلك. ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح.

111

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه، يتألفهم بذلك، فأما المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، فنهوا عن المسألة، وفي " المسند " «عن أبي أمامة

¹¹⁰ ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1 / 239 - 240.

¹¹¹ ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1 / 240.



قال: كان الله قد أنزل: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم} [المائدة: 101] قال: فكنا قد كرهننا كثيراً من مسأله واتفقنا ذلك حين أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قال: فأتينا أعرابياً، فرشونا برداً، ثم قلنا له: سل النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثاً». . وفي "مسند أبي يعلى" عن البراء بن عازب، قال: إن كان لتأتي علي السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فأتهدب منه، وإن كنا لنتمنى الأعراب . وكما في "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان، قال: أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه أيضاً «عن أنس، قال: نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع». . وفي "مسند البزار"، عن ابن عباس قال: ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سأله إلا عن اثنتي عشرة مسألة، كلها في القرآن: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} [البقرة: 219] {البقرة: 219} ، {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ} [البقرة: 217] {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى} [البقرة: 22]، وذكر الحديث .¹¹²

وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة. فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع، وقد لا تقع، فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبط عن الجد في متابعة الأمر. وقد «سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر، فقال له: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله»، فقال له الرجل: رأيت إن غلبت عليه؟ رأيت إن زوحت؟ فقال له ابن عمر: اجعل "أرأيت" باليمن، رأيت رسول الله

¹¹² ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1 / 240 - 241.

يستلمه ويقبله خرجه الترمذي ومراد ابن عمر أن لا يكون لك هم إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا حاجة إلا فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه؛ فإنه قد يفتر العزم على التصميم عن المتابعة، فإن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل، لا للمرء والجدال. فيتعين على المسلم فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسائل؛ فيحيل على القرآن، كما «سأله عمر عن الكلاله، " فقال يكفيك آية الصيف» . وأشار صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى أن في الاشتغال بامثال أمره، واجتناب نهيه شغلاً عن المسائل، «فقال: إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم» ، فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية، بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، وتكون همته مصروفةً بالكلية إلى ذلك؛ لا إلى غيره . 113

عن ابن عباس قال رأيت عمر قبل الحجر ثلاثاً ثم قال إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ذلك قال الطبري إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع

113 ابن رجب: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1 / 244.



ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان وقال المهلب حديث عمر هذا يرد على من قال إن الحجر يمين الله في الأرض يصفح بها عباده ومعاذ الله أن يكون لله جارحة وإنما شرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصةً ترجع إلى ذاته وفيه بيان السنن بالقول والفعل وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاد أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك وسيأتي بقية الكلام على التقبيل والاستلام بعد تسعة أبواب. وقال الخطابي معنى أنه يمين الله في الأرض أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه وقال المحب الطبري معناه أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه فلما كان الحاج أول ما يقدم يسن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى¹¹⁴.

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الإيمان، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». (باب) بالتتوين (حب الرسول) نبينا محمد (-

¹¹⁴ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 3 / 462 - 463.

صلى الله عليه وسلم - من الإيمان). محبة إجلال. والأولى وهي محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - محبة إحسان، وقد ينتهي المحب في المحبة إلى أن يؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه فضلاً عن ولده. 115

" فيجب على طالب العلم أن يعزم عزمًا جازمًا على تقديم قول الله وقول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَأَسَاسُهُ الَّذِي يَبْنِي عَلَيْهِ: الْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْاجْتِهَادُ فِي مَعْرِفَةِ مَرَادِهِ، وَاتِّبَاعُهُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. فَمَتَى وَفَقَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ فَقَدْ وَفَّقَ لِلْخَيْرِ، وَصَارَ خَطْوُهُ مَعْفُورًا عَنْهُ؛ لِأَنَّ قَصْدَهُ الْعَامَ اتِّبَاعَ الشَّرْعِ، فَالْخَطَأُ مَعذُورٌ فِيهِ إِذَا فَعَلَ مَسْتَطَاعَهُ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ وَالْاجْتِهَادِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ. وَهَذَا هُوَ الْمَتَوَاضِعُ لِلْحَقِّ ". 116

وإن النبي صلى الله عليه وسلم يهدي المؤمنين إلى صراط مستقيم. أخبر الله عز وجل: أن الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وهو الصراط المستقيم، فأوجب على الخلق: الإنس والجن قبوله، وأخبر عن الجن لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله عز وجل أن يبلغهم ، عرفوا أنه الحق ، فأمنوا وصدقوا واتبعوه ، فقال جل ذكره: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ

115 القسطلاني: "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، 1 / 96 - 97.

116 أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ): "بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار"، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002م، ص 166



طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ
 مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ
 مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ { [الأحقاف: 29 - 32] ، الآية ثم
 قال عز وجل: {وَأَنَّكَ أَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾} [المؤمنون: 73] ، وقال
 عز وجل: {وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} [الفتح: 13] وقال
 عز وجل: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾} [التغابن: 8] ، وقال عز وجل: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۗ
 فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَالرَّسُولُ
 يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾} [الحديد: 7 - 8] . ثم
 أخبر عز وجل: أنه يظهر نبيه صلى الله عليه وسلم على كل دين خالفه ، فقال جل
 وعز: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾} [التوبة: 33] ، ثم أخبر الله عز وجل: أنه لا يتم لأحد الإيمان
 بالله عز وجل وحده ، حتى يؤمن بالله ورسوله ، ثم أخبر أنه من لم يؤمن بالله
 ورسوله: لم يصح له الإيمان ، فقال جل ذكره: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ
 وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 62] الآية .¹¹⁷

¹¹⁷ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (المتوفى: 360هـ): "الشرعية"، المحقق: الدكتور عبد الله

بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م، 3 / 1389

وقال ابن بطة: حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر، قال: حدثنا أبو حاتم الرازي، قال: حدثنا أبو سلمة، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا عاصم الأحول قال: دخلنا على أبي العالية الرياحي فقال: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراف المستقيم، فإن الصراف المستقيم الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراف المستقيم يميناً، ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة، والبغضاء، فردها مراراً".¹¹⁸

¹¹⁸ أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الغُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ): "الإبانة الكبرى"، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الرياض، الكتاب الرابع/ نسخ - مكتبة أحمد الخضري، مقابلة - مكتبة يا باغي الخير أقبل، 1 / 338 .

ج 1، 2: حقه: رضا بن نعيان معطي - الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994 م .

ج 3، 4: حقه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي - الطبعة: الأولى، 1415 هـ .

ج 5: حقه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الثانية، 1418 هـ .

ج 6: حقه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الأولى، 1415 هـ .

ج 7: حقه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر - الطبعة: الأولى، 1418 هـ .

ج 8، 9: حقه: د حمد بن عبد المحسن التويجري - الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م .

وانظر حديث أبي العالية أيضاً عند: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ): "السنة"، المحقق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ، ص 13.



الباب الثاني

لماذا علم الحكمة الإسلامية

في النظر الموصل إلى الصراط المستقيم

الفصل الأول

أفلا يتدبرون

الوحي والفهم



المبحث الأول

الطريقة لفهم الوحي

أفلا يتدبرون القرآن:

يقول الله سبحانه: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } ﴿النساء: ٨٢﴾.

ويقول سبحانه: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } ﴿محمد: ٢٤﴾.

وفي قوله سبحانه: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (النساء: 82). يقول الخازن: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ } يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات. أصل التدبر النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل. قال ابن عباس: أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي وأن أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء إن الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد لله والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي عجز الخلائق عن

الإتيان بمثلها في أسلوبه. الثاني سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }، قال ابن عباس يعني تفاوتاً وتناقضاً وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في إخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافاً كثيراً لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. الثالث إخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الأخبار عن أحوال الأولين وأخبارهم وما يأتي في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى. وإذا كان كذلك ثبت أنه من عند الله وأنه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب أنه كلام الله عز وجل وأن ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم أنه من عند قادر على ما لا يقدر غيره عالم بما لا يعلمه سواه. 119

{ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ } أي لا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر فيتضح لهم الحق والاستفهام للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على محذوف تقديره

¹¹⁹ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): "لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 1 / 402.



أَيَغْلُونَ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ { أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } أقفال القلوب استعارة بالكناية شبه القلوب بالخزائن واثبت لها ما يناسب الخزائن من الأقفال على وجه التخيل وأضاف الأقفال إلى القلوب للدلالة على انها أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة وهذا الكلام كناية عن عدم الاستعداد ونفى قابلية القلوب للإيعاظ بالكلية فلا يفهمون مواضع القرآن وإن تدبروا فرضاً. روى البغوي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } فقال شاب من اهل اليمن: بل على قلوب افعالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به.. وتكثير قلوب لأن المراد قلوب بعض منهم أو للإشهار بأنها لإبهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها كأنها مبهم مكنوزة . 120

{ أفلا يتدبرون } " بقلوب منفتحة منسرحة ليهتدوا إلى كل خير {القرآن} أي: يجهدوا أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير، الفارق بين الحق والباطل، حتى لا يجسروا على المعاصي" ... 121

¹²⁰ المظهري، محمد ثناء الله: "التفسير المظهري"، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: 1412 هـ، 8 / 435.

¹²¹ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ): "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير"، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: 1285 هـ، 4 / 31.

المنافقون وما يبيّتونهُ، مختلفاً: بعضه حق وبعضه باطل. لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. 124

العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن - المنزل عليهم - لفظاً ومعنى؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد فإنه قد علم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي. فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه؛ فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه؛ بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود إذا اللفظ إنما يراد للمعنى. فالله سبحانه وتعالى قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه في غير موضع كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص : 29). وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} (المؤمنون: 68)، وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: 82)، وقد بذل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جهدهم في التدبر في كتاب الله سبحانه وتطبيقه، فالدين لم يعرف إلا بتبليغ رسول الله

124 محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق:

محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 3 / 233.

صلى الله عليه وسلم فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم "تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك". وقال: "ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به وما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به". وقال أبو زر: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا. إذا تبين هذا: فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى: من "أسماء الله وصفاته" مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: لقد "حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا". وقد قام عبد الله بن عمر - وهو من أصاغر الصحابة - في تعلم البقرة ثماني سنين وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة .¹²⁵

¹²⁵ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): "مجموع الفتاوى"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 5 / 156 - 157.



وقال الحسن البصري ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا نزلت وماذا عنى بها وقد قال تعالى { أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ } وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم وقال { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (الزخرف : 83).¹²⁶

الشواهد الثلاثة التي دعا الله سبحانه عباده إلى تبيينها والاستشهاد بها وقبول الحق الذي تشهد به وترتيب حكم هذه الشهادة عليها، من التوحيد والإقرار والإيمان. قال الله تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: 46] وقال { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ } [المؤمنون: 68] وقال { أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: 24] وقال { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44] وقال { قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: 101] وقال { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ } [الروم: 8]، والقرآن مملوء من هذا. فإذا استفاق شاهد السمع والبصر والفكر، ووجد القلب حلاوة المعرفة والإيمان: خرج من جملة النيام الغافلين. قوله " أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق " يعني: أن ذلك الوجد العارض قد يبقى على واجده أثراً من أحكامه بعد مفارقتة. وقد لا يبقى.

¹²⁶ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية"، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، 1404، 2 / 227.

والظاهر: أنه لا بد أن يبقى أثرًا، لكن قد يخفى وينغمر بما يعقبه بعده، ويخلفه من أصداده. 127

وقال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: 24].

فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر، قال بعضهم: "الكلام في القرآن على ضربين:

أحدهما: يكون برواية؛ فليس يعتبر فيها إلا النقل.

والآخر: يقع بفهم؛ فليس يكون إلا بلسان من الحق إظهار حكمة على لسان العبد" وهذا الكلام يشير إلى معنى كلام علي.

وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر هو المفهوم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، فإن كان مراد من أطلق هذه العبارة ما فسر؛ فصحيح ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك؛ فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلومًا عند الصحابة ومن بعدهم؛ فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى لأنها أصل يحكم به على تفسير الكتاب، فلا يكون ظنيًا، وما استدل به إنما غايته إذا صح سنده أن ينتظم في سلك المراسيل، وإذا تقرر هذا؛ فلنرجع إلى بيانهما على التفسير المذكور بحول الله. 128

¹²⁷ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3 / 72.

¹²⁸ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ): "الموافقات"، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م، 4 / 210.



النص:

النَّصُّ: "(كُلُّ) مَا يَتَنَاوَلُ عَيْنًا مَخْصُوصَةً بِحُكْمٍ ظَاهِرٍ الْمَعْنَى بَيْنِ الْمُرَادِ وَمَا يَتَنَاوَلُهُ الْعُمُومُ فَهُوَ نَصٌّ أَيْضًا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّخْصِ الْمَعْيَنِ إِذَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ وَبَيْنَ حُكْمِهِ وَبَيْنَ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْعُمُومُ. إِذْ كَانَ الْعُمُومُ اسْمًا لَجَمِيعِ مَا تَنَاوَلَهُ وَانطَوَى تَحْتَهُ. وَالْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ مَا نُصَّ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ. وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَصَّ عَلَى تَحْرِيمِ الْأُمِّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ } إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا { [النساء: 23]. وَكُلُّ إِنَّمَا نَصَّ عَلَى حُكْمِهِ بِعُمُومٍ لَفْظٍ يَنْتَظِمُ مَا شَمَلَهُ الْإِسْمُ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ إِلَى عَيْنٍ مَخْصُوصَةٍ، وَلَيْسَ جَوَازُ دُخُولِ الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى لَفْظِ الْعُمُومِ وَجَوَازُ تَخْصِيصِهِ بِمَانِعٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ نَصًّا إِذَا لَمْ نَقُمْ دَلَالَةُ التَّخْصِيصِ. كَمَا أَنَّ الْعَدَدَ الَّذِي يَتَنَاوَلُهُ اسْمُ الْعَشْرَةِ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ بِذِكْرِ الْعَشْرَةِ مَعَ جَوَازِ دُخُولِ الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَيْهَا، وَلِأَنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ يَجُوزُ إِدْخَالُ الشَّرْطِ عَلَيْهِ وَتَعْلِيْقُهُ بِحَالٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ نَصًّا إِذَا عَرِيَ مِنْ شَرْطٍ أَوْ ذِكْرٍ حَالٍ. ¹²⁹

فَالْمَعْفُولُ عِنْدَهُمْ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْعُمُومِ: أَنَّهُ اللَّفْظُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ قَدْ عَلِقَ بِهِ حُكْمٌ يُمَكِّنُ اسْتِعْمَالَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَمَا تَنَاوَلَهُ لَفْظُهُ غَيْرُ مُفْتَقِرٍ إِلَى بَيَانٍ مِنْ

¹²⁹ أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ): "الفصول في الأصول"، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994م، 1 / 59 - 60.

غَيْرِهِ. وَأَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ اللَّفْظُ الَّذِي يُمَكِّنُ اسْتِعْمَالَ حُكْمِهِ عِنْدَ وُرُودِهِ، وَيَكُونُ مَوْقُوفًا عَلَى بَيَانٍ مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ. أَحَدُهُمَا: مَا يَكُونُ إِجْمَالَهُ فِي نَفْسِ اللَّفْظِ بِأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ فِي نَفْسِهِ مُبْهَمًا غَيْرَ مَعْلُومِ الْمُرَادِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ. وَالْقِسْمُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مِمَّا يُمَكِّنُ اسْتِعْمَالَهُ لَوْ خَلَيْنَا وَمَا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُهُ إِلَّا أَنَّهُ يَصِيرُ فِي مَعْنَى الْمُجْمَلِ بِمَا يَقْتَرِنُ إِلَيْهِ مِمَّا يُوجِبُ إِجْمَالَهُ مِنْ لَفْظٍ أَوْ دَلَالَةٍ. وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ يَرَى أَنَّ فِي اللَّفْظِ الْمُحْتَمَلِ لِضُرُوبٍ (مِنْ) التَّأْوِيلِ أَنَّ مَا قَامَتْ لَهُ الدَّلَالَةُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَانِي أَنَّهُ (هُوَ) الْمُرَادُ جَازٍ لَهُ أَنْ يَقُولَ (إِنَّ) هَذَا نَصٌّ عِنْدِي، وَكَذَلِكَ إِذَا رَوَى ذَلِكَ التَّأْوِيلَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَائِزٌ أَنْ يُقَالَ إِنَّ ذَلِكَ نَصٌّ الْكِتَابِ لِبَيَانِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُرَادَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ. وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: { فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا } [الإسراء: 33] يَحْتَمِلُ السُّلْطَانَ الْمَعْنَايَ الْمُخْتَلَفَةَ. 130

ومن المجمال أن يرد لفظ عموم يمكن استعماله على ظاهره فيما انتظمه معناه لو اقتصر عليه. فتعلقه بمعنى يوجب إجماله ووقوعه على ورود البيان فيهومثله قوله تعالى {وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ} [النساء: 24] فلو خَلَيْنَا وظاهره وجب استعماله على عموميه فلما قرن إليه قوله تعالى {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} [النساء: 24] احتمل أن يريد أن يجعل كونه على صفة الأفعال شرطاً للإباحة، فإن كان كذلك فاللفظ مجمل لأن الإباحة معلقة بشرط حصول الإحصان بالنكاح والإحصان لفظ مجمل فصارت الإباحة مجملة مُتَقَرَّةً إِلَى الْبَيَانِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى {مُحْصِنِينَ} [النساء: 24] الْإِخْبَارَ بِحُصُولِ الْإِحْصَانِ بِالنِّكَاحِ فَيَصِيرُ حِينَئِذٍ عَقْدُ النِّكَاحِ شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِحْصَانِ وَلَا يَكُونُ لَفْظُ الْإِبَاحَةِ مُجْمَلًا، وَ (مِنْ)

130 الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 64 - 65.



نَحْوِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [البقرة: 222]. فَهَذِهِ
 الْإِبَاحَةُ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا حَتَّى يَثْبُتَ أَنَّهَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. وَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُحِلَّتْ لَكُمْ
 الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج: 30] فَصَارَ اللَّفْظُ (بِهِ) مُجْمَلًا إِذَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ {إِلَّا مَا
 يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج: 30] (مِمَّا) قَدْ حَصَلَ تَحْرِيمُهُ الْأَنَ وَأُبَيِّنُهُ لَكُمْ فِي الثَّانِي. (قَدْ
 يَجُوزُ أَنْ) يُرِيدَ بِقَوْلِهِ {إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الحج: 30]. إِلَّا مَا يَتَّبَعُ لَكُمْ مِمَّا قَدْ
 حَصَلَ تَحْرِيمُهُ الْأَنَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ إِلَّا مَا سَنُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ. وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْوَجْهَ
 الثَّانِي لَمْ يَصِرْ لَفْظُ الْإِبَاحَةِ بِهِ مُجْمَلًا، (وَأَنَّمَا يَصِيرُ مُجْمَلًا) إِذَا كَانَ الْمُرَادُ الْوَجْهَ
 الْأَوَّلَ. 131

فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ (بِهِ) الْوَجُوبَ اسْتَحَالَ اعْتِقَادُ الْعُمُومِ فِيهِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مَعَ وُرُودِ
 اللَّفْظِ امْتِنَاعُ اسْتِيعَابِ جَمِيعِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَابِ لِأَنَّهُ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ خَيْرٍ وَاجِبًا،
 وَيَسْتَحِيلُ أَيْضًا مِنْهُ فِعْلٌ كُلٌّ مَا يُسَمَّى خَيْرًا لِأَنَّهُ لَا يُحِيطُ بِهِ وَلَا يَتَأْتَى لَهُ فِعْلُهُ. فَصَارَ
 حِينَئِذٍ كَقَوْلِهِ أَفْعَلُوا بَعْضَ الْخَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْوَجُوبِ، وَذَلِكَ الْبَعْضُ غَيْرُ مَعْلُومٍ مِنْ
 اللَّفْظِ فَحُكْمُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الدَّلِيلِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْوَجْهِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ صُومُوا لَمَّا لَمْ يَجُزْ
 أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْإِمْسَاكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ صَارَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ امْسِكُوا عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ.
 وَمِمَّا يُضَاهِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَا تَحْتَ الْإِسْمِ مَعْلُومَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ مُرَادَ الْمُخَاطَبِ فِيهِ
 الْبَعْضُ مِنْهُ غَيْرَ مُعَيَّنٍ فِي اللَّفْظِ يُعْلَمُ ذَلِكَ مَعَ وُرُودِ اللَّفْظِ لِاسْتِحَالَةِ اعْتِقَادِ الْعُمُومِ فِيهِ،
 فَيَصِيرُ اللَّفْظُ مُجْمَلًا مُحْتَاجًا إِلَى الْبَيَانِ. وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ}
 [الحج: 77] لَيْسَ يَخْلُو قَوْلُهُ: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ} [الحج: 77] مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ
 الْوَجُوبَ أَوْ النَّدْبَ. فَالَلَّفْظُ مُجْمَلٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْبَيَانِ. هَذَا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِاللَّفْظِ

الإيجاب. فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ} [الحج: 77]. النَّذْبَ صَحَّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسَ كُلَّهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَخْتَارُهُ، فَيَصِيرُ تَقْدِيرُهُ أَفْعَلُوا مِنَ الْخَيْرِ مَا شِئْتُمْ فَإِنَّكُمْ مَذْذُوبُونَ إِلَيْهِ وَمُتَأَبُونَ عَلَيْهِ. 132

وَكُلُّ لَفْظٍ مُجْمَلٍ قَامَتْ الدَّلَالَةُ عَلَى مَعْنَى قَدْ أُرِيدَ بِهِ صَحَّ الإِخْتِجَاجُ بِعُمُومِ الْمَعْنَى الَّتِي قَامَتْ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهَا مُرَادٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [التوبة: 103]. إِذَا قَامَتْ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهَا (قَدْ أُرِيدَ) الْعُشْرُ أَوْ زَكَاةَ الْمَالِ صَحَّ الإِخْتِجَاجُ بِعُمُومِهِ فِي إِجَابِ الْعُشْرِ وَالزَّكَاةِ فِي سَائِرِ الْأَمْوَالِ إِلَّا مَا قَامَ دَلِيلُهُ. وَقَدْ يَنْتَظِمُ آيَةٌ وَاحِدَةٌ الْعُمُومُ وَالْمُجْمَلُ مَعًا فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ، فَلَا يَمْنَعُ مَا فِيهَا مِنَ الإِجْمَالِ الإِخْتِجَاجُ بِعُمُومِ مَا هُوَ (عَامٌّ فِيهَا) مَتَى اخْتَلَفْنَا فِي حُكْمٍ قَدْ تَنَاولَهُ الْعُمُومُ. وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [التوبة: 103]. هُوَ مُجْمَلٌ فِي الصَّدَقَةِ عُمُومٌ فِي الْأَمْوَالِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [البقرة: 267]. وَلَا يَخْلُو (الْبَعْضُ) مِنْ أَنْ يُحْصَلَ مَعْلُومًا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ لِذِلَّةِ الْحَالِ عَلَيْهِ وَيَكُونُ حُكْمُهُ مَوْفُوفًا عَلَى الْبَيَانِ، وَدَلَالَةُ الْحَالِ الْمُوجِبَةِ لِكَوْنِ الْمَعْنَى مَعْلُومًا ظَاهِرَةً فِي الْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ} [الحشر: 20]. فَإِنَّمَا نَفَى الْمَسَاوَاةَ بَيْنَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [فاطر: 19] مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ نَفْيَ الْمَسَاوَاةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَسَاوَاةَ فِي مَعْنَى الْبَصْرِ (وَإِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ بِهِ فَشَبَّهَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ بِالْأَعْمَى وَالْمُؤْمِنَ



بِالْبَصِيرِ) فَلَا يَصِحُّ الْإِحْتِجَاجُ بِهِ فِي نَفْيِ الْمَسَاوَةِ بَيْنَهُمَا فِي الشَّهَادَةِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ. 133

ما الفهم؟

ونجد النبي صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص على دقة العبارة وتحري ذلك عند نقلها، إذ يقول: «من يُقُلْ عليَّ ما لم أقل .. فليتبوأ مقعده من النار». لنرى بعد ذلك التنوع في تقسيم حديثه صلى الله عليه وسلم مراعاةً لهذه الناحية، واقتراباً من العبارة اليقينية التي نطق بها سيد الوجود عليه الصلاة والسلام. ويحضر عمر بن الخطاب، إذ يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في القرآن والسنة، فتعرّف الأمثال والأشباه، ثم قس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها فيما ترى). ويقول الجاحظ: (وقال الله تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}، لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان اللسان أبين .. كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة .. كان أحمد. " 134

ولا ينبغي أن نحد الحقيقة المشتركة بأنها ما سبق إلى الفهم معناها أو ما يقوم مقامه لأن للسائل أن يقول يقوم مقامها في ماذا فان قلنا في كونها حقيقة كنا قد فسرنا

133 الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 72 - 73.

134 محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنبائي الأزهرى، المعروف بالأمير (المتوفى: 1232هـ):
"ثمر الثمام شرح «غاية الأحكام في آداب الفهم والإفهام»"، المحقق: عبد الله سليمان العتيق، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، ص 35.

اللفظة بنفسها، وأما المجاز فهو ما أفيد به معنى مصطلحاً عليه والأسبق إلى الفهم في تلك المواضع غيره. إن قيل إذا كانت الحقيقة المفردة هي ما أفيد بها معنى لا يسبق إلى الفهم غيره لم يدخل فيه الأمر لأنه لم يوضع ليفيد غيره عندكم كما يقوله أصحابكم بل هو نفسه الطلب قيل بل يدخل فيه الأمر لأن صيغته جعلها أهل اللغة طلباً ووضعوها له لا على أن يكون إسماءً له بل على أن يكون نفسها طلباً وإنما يكون الصيغة قد أفيد بها الطلب إذا قارنها من النفس ما يطابقها وهو الإرادة وما يجري مجراها كما يكون اللفظة مفاداً بها ما وضعت له إذا قارنها من المتكلم بها إرادة ما وضعت له وما يجري مجراها نحو المبتدأ والخبر فقد أمكن ذلك في الأمر كما أمكن في الخبر. وتقسم الحقيقة إلى المفردة والمشاركة، فالمفردة هي ما أفيد بها ما هو الأسبق إلى فهم العارفين بالاصطلاح عند سماعها ولا يبطل ذلك باللفظة إذا علم أنه ما عني به الحقيقة وكان لها وجهان في المجاز أحدهما أسبق إلى الفهم من الآخر وأشبه بالحقيقة منه لأنه وجه المجاز الأسبق ليس يسبق إلى الفهم عند سماع اللفظة إلا بعد أن يخرج الحقيقة من أن تكون مرادة فلذلك لم يكن اللفظ حقيقة فيه، وأما الحقيقة المشتركة فهي ما أفيد بها معنى يساويه غيره في السبق إلى الفهم عند سماع أهل الاصطلاح لها وقد دخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية.¹³⁵

وشرط الشيء، يجب دوامه واتصاله، كاستصحاب حكم النية في الوضوء ونحوه، فمتى انقطع اتصاله في وقت من الأوقات، زال التكليف لزوال شرطه، كما لو انقطعت نية الوضوء أو الصلاة أو الصوم في أثنائها، أو زال قبض المرتهن للرهن

¹³⁵ محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري (المتوفى: 436هـ): "المعتمد في أصول الفقه"، المحقق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1403هـ، 2 / 406.



في وقت ما، زال لزومه الذي القبض شرط له. فهذا هو التحقيق في هذا المقام. أما قول من قال: هؤلاء لا يكلفون، لأنهم لا يفهمون، فهو ملاحظة لأمر تقديري، وهو أن خطاب الشارع في تقدير التجدد عند بلوغ كل مكلف، وعند تكليفه بكل حكم شرعي، لأن أسباب الأحكام المتكررة هي قائمة مقام الخطاب بمسبباتها، على ما أشرنا إليه في خطاب الوضع، وسنقره هناك إن شاء الله تعالى. فالمكلف كل يوم، هو مخاطب في التقدير بخمس صلوات. عند كل صلاة منها بخطاب مقدر متجدد، والأمور التقديرية كثيرة في الشريعة، فبالنظر إلى هذا التقدير، قالوا: إن هؤلاء لا يفهمون الخطاب، أي: لو أن هذا الخطاب المقدر خوطبوا به الآن تحقيقًا، لم يفهموه، إلا الناسي. لا تكليف على النائم والناسي والسكران الذي لا يعقل، لعدم الفهم. وما ثبت من أحكامهم، كغرامة، ونفوذ طلاق، فسببي، كما سبق. فأما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: 44)، فيجب تأويله، إما على معنى: لا تسكروا ثم تقربوا الصلاة، أو على من وجد منه مبادي النشاط والطرب ولم يزل عقله، جمعًا بين الأدلة. ومن مسائل شروط المكلف، «لا تكليف على النائم والناسي والسكران الذي لا يعقل، لعدم الفهم» يعني: لعدم فهمهم للخطاب، كالصبي والمجنون بجامع عدم الفهم، وإن افرقوا في بعض الأحكام، مثل أن الصبي والمجنون، لا يستدركان ما تركا من العبادات، بخلاف الثلاثة الأول، فإنهم يقضون ما فاتهم منها، لسبق الوجوب عليهم. وعدم الفهم في هؤلاء الجماعة مختلف، فالصبي والمجنون، لا يدركان معنى كلام الشرع، أما الصبي فبالأصالة، لأن عقله الذي يفهم ذلك به لم يكمل بحيث يقوى على الإدراك، وأما المجنون، فبعارض قوي قهري، وهو الجنون، وكذلك السكران، عدم فهمه لعارض، لكنه اختياري، فلذلك اختلف فيه اختلافًا كثيرًا، هل هو كالصاحي أو كالمجنون؟ والنائم، عدم فهمه لعارض طبيعي، وهو النوم، أما

الناسي، فيخالف هؤلاء كلهم في السبب والمسبب، أما السبب، فلأن سبب عدم فهمه عارض ضروري خفيف أخف من جميع الأسباب، لأنه يذكر بكلمة، فيذكر، بخلاف النائم والسكران. وأما في المسبب - وهو عدم الفهم - فلأن المراد به في غيره عدم الإدراك، بحيث لو خوطب أحدهم بخطاب الشرع لم يفهم، والمراد به في الناسي، انقطاع اتصال ذكره للتكليف فقط، بحيث لو سها عن الصلاة، فقبل له: صل، أو أقم الصلاة ونحوه، سمع وفهم وتذكر، وهذا هو القدر المشترك بين المسقطات للتكليف، وهو الكافي منها، وذلك لأن شرط توجيه التكليف، ذكر الإنسان كونه مكلفاً .¹³⁶

سوء الفهم:

ويرى الشاطبي أن الإحداث في الشريعة سببه جملة من الأمور منها الجهل بأدوات فهم الشريعة، فإن الله سبحانه أنزل القرآن عربياً لا عجمة فيه، بمعنى أنه جار في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، قال الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الزخرف: 3)، وقال تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الزمر: 28)، وقال تعالى: {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾} (الشعراء: 193 - 195)، المُنزَّلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا أَفْصَحَ عَرَبِيٍّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ عَرَبًا أَيْضًا، فَجَرَى الْخِطَابُ بِهِ عَلَى مُعْتَادِهِمْ فِي لِسَانِهِمْ، فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ

¹³⁶ سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : 716هـ): " شرح مختصر

الروضة"، المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، 1407 هـ / 1987 م ، 1



الألفاظ والمعاني إلا وهو جارٍ على ما اعتادوه، ولم يداخله (شيءٌ) بل نفى عنه أن يكون فيه شيءٌ أعجميٌّ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: 103)، أمّا ألفاظها فظاهرةٌ للعيان، وأمّا معانيها وأساليبها فكان مما يُعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن تُخاطب بالشيء منه عامًّا ظاهرًا يُراد به (العام) الظاهر، (ويستغنى بأوله عن آخره، وعامًّا ظاهرًا يراد به العام ويدخله الخاص، ويستدل على هذا ببعض الكلام، وعامًّا ظاهرًا يُراد به الخاص) وظاهرًا (يُعرف) في سياقه أن المراد به غير ذلك الظاهر، والعلم بهذا كله موجودٌ في أول الكلام أو وسطه أو آخره. ¹³⁷

وتبتدئ العرب الشيء من كلامها يبين أول اللفظ فيه عن آخره، أو (يبين) (آخره عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون اللفظ كما تعرف (بالإشارة)، وهذا عندها من أفصح كلامها، لإنفرادها بعلمه دون غيرها ممن يجهله، وتسمي الشيء (الواحد) (بالأسماء) الكثيرة، (وتضع) اللفظ الواحد للمعاني الكثيرة. فهذه كلها معروفة (عندها) وتستنكر عند غيرها، إلى غير ذلك من التصرفات التي يعرفها من زاول كلامهم وكانت له به معرفة وثبت رسوخه في علم ذلك. فمثال ذلك أن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، فهذا عامٌ لم يخرج عنه أحدٌ من الناس. وقال إثر هذا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فهذا خاص، لأن التقوى إنما تكون على من عقلها من البالغين. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ (ال عمران: 173)، فالمراد بالناس الثاني الخصوص

¹³⁷ الشاطبي: "الإعتصام"، 3 / 253 - 254.

لَا الْعُمُومُ، وَإِلَّا الْمَجْمُوعُ لَهُمُ النَّاسُ نَاسٌ أَيْضًا وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا (منهم)، لَكِنَّ لَفْظَ النَّاسِ يَقَعُ عَلَى ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَعَلَى مَا بَيْنَ ذَلِكَ، (فصح) أَنْ يُقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا (لَكُمْ)، وَالنَّاسُ الْأَوَّلُ الْقَائِلُونَ كَانُوا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَقَالَ تَعَالَى: لَوْ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا { فَهَذَا مِنَ الْعَامِّ الظَّاهِرِ الَّذِي لَا خُصُوصَ (فِيهِ) فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ وَذِي رُوحٍ وَشَجَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَاللَّهُ خَالِقُهُ، وَكُلُّ دَابَّةٍ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، وَيَعْلَمُ مَسْتَقْرَاهَا (وَمَسْتَوْدَعَهَا).¹³⁸

التأويل:

وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسرّه. وقوله عز وجل: ولما يأتيهم تأويله؛ أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ؛ ومنه حديث عائشة، رضي الله عنها: كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: " سبحانك اللهم وبحمدك " يتأول القرآن، تعني أنه مأخوذ من قوله تعالى: فسبح بحمد ربك واستغفره. وفي حديث الزهري قال: قلت لعروة ما بال عائشة تتم في السفر يعني الصلاة؟ قال: تأولت كما تأول عثمان؛ أراد بتأويل عثمان ما روي عنه أنه أتم الصلاة بمكة في الحج، وذلك أنه نوى الإقامة بها. وقيل: معنى التأويل لم يأتيهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة، ودليل هذا قوله تعالى: كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة

¹³⁸ الشاطبي: " الإعتصام "، 3، 254 - 255.



الظالمين. وفي حديث ابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل؛ قال ابن الأثير: هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع وصار إليه .¹³⁹

وأما التأويل فهو تفعيل من أول يؤول تأويلاً وثلاثيه آل يؤول أي رجع وعاد. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد. وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرك أي جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك. ويقال في الدعاء للمضل: أول الله عليك أي رد عليك ضالتك وجمعها لك. ويقال: تأولت في فلان الأجر إذا تحرّيته وطلبتَه. الليث: التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه؛ قال أبو منصور: يقال ألت الشيء أوّله إذا جمعته وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه .¹⁴⁰

وأما قول الله عز وجل: هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله؛ فقال أبو إسحق: معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، قال: وهذا التأويل هو قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله؛ أي لا يعلم متى يكون أمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به أي آمنا بالبعث، والله أعلم. قال أبو منصور: وهذا حسن، وقال غيره: أعلم الله جل ذكره أن في الكتاب الذي أنزله آيات محكمات هن أم الكتاب لا تشابه فيه فهو مفهوم معلوم، وأنزل آيات آخر متشابهات تكلم فيها العلماء مجتهدين، وهم يعلمون أن اليقين الذي هو الصواب

¹³⁹ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ):

"لسان العرب"، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 11 / 33.

¹⁴⁰ ابن منظور: "لسان العرب"، 11 / 33.

لا يعلمه إلا الله، وذلك مثل المشكلات التي اختلف المتأولون في تأويلها وتكلم فيها من تكلم على ما أداه الاجتهاد إليه، قال: وإلى هذا مال ابن الأنباري. وروي عن مجاهد: هل ينظرون إلا تأويله، قال: جزاءه. يوم يأتي تأويله، قال: جزاؤه .¹⁴¹

وقال أبو عبيد في قوله: وما يعلم تأويله إلا الله، قال: التأويل المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه. وأولته: صيرته إليه. وقال: الجوهرى: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً وتأولته بمعنى؛ ومنه قول الأعشى: على أنها كانت، تأول حبها... تأول ربعي السقاب، فأصحابا، قال أبو عبيدة: تأول حبها أي تفسيره ومرجعه أي أن حبها كان صغيراً في قلبه فلم يزل يثبت حتى أصحب فصار قديماً كهذا السقب الصغير لم يزل يشب حتى صار كبيراً مثل أمه وصار له ابن يصحبه. والتأويل: عبارة الرؤيا. وفي التنزيل العزيز: هذا تأويل رءياي من قبل .¹⁴²

وقيل: التفسير: شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم، وتقريب ما تدل عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي. وأما التأويل: فهو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه، وهو النص. وقال الراغب: التأويل: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولاً كان أو فعلاً. وفي جمع الجوامع: هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً، ففساد، أو لا لشيء، فلعب لا تأويل. وقال ابن الجوزي: التفسير: إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل: نقل الكلام عن موضعه

¹⁴¹ ابن منظور: "لسان العرب"، 11 / 33 - 34.

¹⁴² ابن منظور: "لسان العرب"، 11 / 34.



إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ. قال ابن الكمال: التأويل: صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله، إذا كان المحتمل الذي تصرف إليه موافقاً للكتاب والسنة، كقوله: يخرج الحي من الميت إن أراد به إخراج الطير من البيضة، كان تأويلاً أو إخراج المؤمن من غيره، والعالم من الجاهل، كان تأويلاً. وقال بعضهم: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. قال الراغب: التفسير: قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال: عبارة الرؤيا وتفسيرها وتأويلها.¹⁴³

التأويل هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له. وأما التأويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده. والقول (حمل اللفظ على غير مدلوله) احترازاً، عن حمله على نفس مدلوله. ومعنى (الظاهر منه) احتراز عن صرف اللفظ المشترك من أحد مدلوليه إلى الآخر فإنه لا يسمى تأويلاً. وقولنا (مع احتمال له) احتراز عما إذا صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إلى ما لا يحتمله أصلاً، فإنه لا يكون تأويلاً صحيحاً. وقولنا: (بدليل يعضده) احتراز عن التأويل من غير دليل، فإنه لا يكون تأويلاً صحيحاً أيضاً. ومعنى: (بدليل يعم القاطع والظني) وعلى هذا فالتأويل لا يتطرق إلى النص ولا إلى المجل، وإنما يتطرق إلى ما كان ظاهراً. وإذا عرف معنى التأويل فهو مقبول معمول

¹⁴³ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ): "تاج

العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ، 28 / 33.

به إذا تحقق مع شروطه، ولم يزل علماء الأمصار في كل عصر من عهد الصحابة إلى زمننا عاملين به من غير نكير. ¹⁴⁴

التأويل يكون بمعنى التفسير، أو يكون التأويل بمعنى: إدراك الحقائق، وعلى قول: يكون التأويل بمعنى إدراك الحقائق على ما هي عليه؛ إذ التأويل عند السلف يطلق بالمعنيين فقط. وعلى منهج المتأخرين: صرف اللفظ عن ظاهره لدليل راجح. وهذا مجرد اصطلاح عند الأصوليين المتأخرين، وأما السلف فليس عندهم التأويل إلا بمعنى التفسير، كما يقول ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره: قال أهل التأويل يعني: أهل التفسير. ¹⁴⁵

التأويل مشتق من آل يؤول إذا رجع تقول آل الأمر إلى كذا أي رجع إليه .

وفى الاصطلاح: حمل الظاهر على المحتمل المرجوع وهذا يتناول التأويل الصحيح والفساد فإن أردت تعريف الصحيح زدت فى الحد- بدليل يصيره راجحاً- لأنه بلا دليل أو مع دليل مرجوح أو مساو فاسد. فالتأويل قسمان: صحيح، وفساد.

فالصحيح ما توافرت فيه عدة شروط هي:

¹⁴⁴ أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: 631هـ): "الإحكام في أصول الأحكام"، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، بدون تاريخ، 3 / 53

¹⁴⁵ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "شرح مختصر التحرير للفتوحى"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، <http://alHazme.net>، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 77 درسا، 32 / 2.



- 1- أن يكون اللفظ محتملاً للتأويل أى يحتمل المعنى الذى يصرف إليه اللفظ ولو احتمالاً مرجوحاً أما إذا لم يحتمله أصلاً فلا يكون التأويل صحيحاً .
- 2- أن يكون التأويل مبنياً على دليل معقول من نص أو قياس أو إجماع أو حكمة التشريع ومبادئه العامة فإن لم يكن مبنياً على دليل مقبول كان التأويل غير مقبول.
- 3- أن يكون اللفظ قابلاً للتأويل وهو الظاهر والنص فقط بخلاف المحكم والمفسر فلا يقبل واحد منها التأويل.
- 4- ألا يعارض التأويل نصاً صريحاً .¹⁴⁶

ولابد أن يستند التأويل إلى دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى غيره، وأن يكون هذا الدليل راجحاً على ظهور اللفظ في مدلوله؛ لأن الأصل في نصوص الشرع أن تعمل فيها بالظاهر إلا إذا قام دليل العدول عنه إلى غيره، فالأصل أن يبقى العام على عمومته، ولا يُقتصر فيه على بعض أفرادها إلا بدليل، والأصل أن يبقى المطلق على إطلاقه ولا يُعدل عنه إلى التقييد إلا بدليل، والأصل أن الأمر للوجوب ولا يُصرف إلى الندب أو الإرشاد أو الإباحة إلا بدليل، والأصل أن النهي للتحريم ولا يُعدل عنه إلى الكراهة مثلاً إلا بدليل، فلا بد في التأويل من دليل صحيح. والدليل للتأويل تتفاوت درجاته حسب درجة إمكانية التأويل، فإن قرب التأويل كفى أدنى مرجح، نحو قوله سبحانه: {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ} [المائدة: 6]، أي: إذا عزمتم على القيام لأداء الصلاة؛ لأن الشارع لا يطلب الوضوء من المكلف

¹⁴⁶ محمد إبراهيم الحنفاوي: "دراسات أصولية في القرآن الكريم"، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية - القاهرة، : 1422

بعد الشروع في الصلاة، لأن الوضوء شرط لصحة الصلاة، والشرط يوجد قبل المشروط، وإن كان التأويل بعيدًا افتقر إلى دليل أقوى ليرجح على الظاهر والنص، وإن تعذر الحمل لعدم الدليل رُدَّ التأويل وجوبًا، وكان مردودًا وباطلاً أو فاسدًا .¹⁴⁷

وشرط التأويل أن يكون موافقًا لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع. وكل تأويل خرج عن هذه الثلاثة فباطل. وقد اختلفت الآراء في التأويل، ومدارهم على هذا الأصل، فيضعف التأويل لقوة ظهور اللفظ، أو لضعف دليبه أو لهما. ومن الثاني منع عموم قوله: «فيما سقت السماء العشر، وفيما سقي بنضح أو دالية نصفه» حتى لا يتمسك به في وجوب الزكاة في الخضراوات لأن المقصود منه الفصل بين واجب العشر ونصفه، وقد فتح الشافعي الباب في التأويل فقال: الكلام قد يحمل في غير مقصوده. ويفصل في مقصوده. والحنفية قالوا هذا مفصل في أحكام الآخرة، مجمل في أحكام الدنيا، وفي زكاة الحلي بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة: 34] والحنفية قالوا: هذا مفصل في تحريم الكنز، مجمل في غيره.¹⁴⁸

وقسم شارح "اللمع" تأويل الظاهر إلى ثلاثة أقسام: أحدها: تأويله على معنى يستعمل في ذلك كثيرًا، فهذا يحتاج فيه إلى إقامة الدليل في موضع واحد، وهو أن المراد باللفظ ما حمل عليه، كحمل الأمر في قوله تعالى: { وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي

¹⁴⁷الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م، 2 / 104.

¹⁴⁸أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): "المحيط في أصول الفقه"، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م، 5 / 44.



آتَاكُمْ} [النور: 33] على الوجوب، وحمله على الندب بدليل جائز. لاستعمال الأمر مرادًا به الندب كثيرًا، فيحتاج إلى دليل في أن المراد به الندب.

والثاني: حمل اللفظ على معنى لا يستعمل أصلًا، فلا يصح إلا أن يكون دليل التأويل أقوى من دليل. . . كقوله: { فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ } [الطلاق: 1] فإنه يقتضي الطلاق في حال وقت العدة، وهو زمان الطهر، فلو قيل: المراد به عدد الطلاق. قال: وهل يجوز التأويل بالقياس؟ فيه ثلاثة أوجه، ذكرها في الإرشاد: أحدها: المنع. والثاني، وهو الصحيح: الجواز، لأن ما جاز التخصيص به جاز التأويل به، كأخبار الأحاد. والثالث: بالجلي دون الخفي، وقد جرت عادة الأصوليين بذكر ضروب من التأويلات هاهنا كالرياضة للأفهام ليطمئن بها عن الفاسد، حتى يقاس عليها ويتمرن الناظر فيها.

والثالث: تأويله على معنى لا يستعمل كثيرًا، فهذا يحتاج فيه إلى أمرين: أحدهما: بيان قبول اللفظ لهذا التأويل في اللغة.

والثاني: إقامة الدليل على أن اللفظ هنا يقتضيه.¹⁴⁹

بحث القفال الشاشي (فيما يترك به حقائق الألفاظ وما يترك به حقيقة اللفظ خمسة أنواع): أحدها دلالة العرف وذلك لأن ثبوت الأحكام بالألفاظ إنما كان لدلالة اللفظ على المعنى المراد للمتكلم، فإذا كان المعنى متعارفاً بين الناس كان ذلك المعنى المتعارف دليلاً على أنه هو المراد به ظاهراً فيترتب عليه الحكم، مثال ما تقدم لو

¹⁴⁹ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): "المحيط في أصول الفقه"، دار

الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، 5 / 46.

حلف إنسان أنه لا يشتري رأساً فهو على ما تعارفه الناس فلا يحنث برأس العصفور والحمامة، ذلك لو حلف لا يأكل بيضاً كان ذلك على المتعارف فلا يحنث بتناول بيض العصفور والحمامة، وبهذا ظهر أن ترك الحقيقة لا يوجب المصير إلى المجاز بل جاز أن تثبت به الحقيقة القاصرة ومثاله تقييد العام بالبعض.¹⁵⁰

ترك الحقيقة بدلالة من قبل المتكلم، وعلى هذا في قوله عليه الصلاة والسلام، إذا وقع الذباب في طعام أحدكم فامقلوه ثم انقلوه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى دواء، وإنه ليقدم الداء على الدواء، (دل سياق الكلام على أن المقل لدفع الأذى عتاً لا لأمر تعبدي حقاً للشرع فلا يكون للإيجاب، وقوله تعالى { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ } (التوبة: 61)، عقيب قوله تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ } (التوبة: 58) يدل على أن ذكر الأضناف لقطع طمعهم من الصدقات ببيان المصارف، لها فلا يتوقف الخروج عن العهدة على الأداء إلى الكل، والرابع قد تترك الحقيقة بدلالة من قبل المتكلم مثاله قوله تعالى { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ } (الكهف: 29).¹⁵¹

يقول الدكتور عبد الوهاب خلاف: "وإغلاق باب التأويل كله والأخذ بالظاهر دائماً، كما هو مذهب الظاهرية، قد يؤدي إلى البعد عن روح التشريع والخروج عن أصوله العامة، وإظهار النصوص متخالفة. وفتح باب التأويل على مصراعيه بدون حذر واحتياط، قد يؤدي إلى الزلل والعبث بالنصوص ومتابعة الأهواء، والحق هو في

¹⁵⁰ نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: 344هـ): "أصول الشاشي"، دار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ، ص 85.

¹⁵¹ أصول الشاشي، ص 91.



احتمال التأويل الصحيح، وهو ما دل عليه دليل من نص أو قياس أو أصول عامة، ولا ياباه اللفظ بل يحتمل الدلالة عليه بطريق الحقيقة أو المجاز، ولم يعارض نصاً صريحاً .¹⁵²

التأويل عند السلف هو صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به وهذا تعريف ابن قدامة في ((روضة الناظر)) صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتداده بدليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر يعني: صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى المعنى المرجوح بدليل صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى المعنى المرجوح بدليل لا بد من دليل فإن لم يكن دليل حينئذ صار تأويلاً فاسداً. وأما التأويل الفاسد فهذا لا اعتبار به ولا اعتداد به لماذا لأنه صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح بالهوى والتحكم وهذا بالطلب لأن إذا كان اللفظ الظاهر هو ظاهراً في أحد المعنيين صار شرعاً ولا يستعمل اللفظ في المعنى المرجوح وهو في الشرع إلا بدليل شرعي لا بد لا يحمل اللفظ على المعنى المرجوح إلا بدليل شرعي ثم هذا الدليل الشرعي لا بد أن يكون صحيحاً في نفس الأمر لا في ظن المستدل .¹⁵³

¹⁵² عبد الوهاب خلاف (المتوفى: 1375هـ): "أصول الفقه و خلاصة تاريخ التشريع"، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»، بدون تاريخ، ص 156.

¹⁵³ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "شرح نظم الورقات"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي

<http://alHazme.net>

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 45 درسا]

المبحث الثاني

الإستمسك بالوحي

يقول الله تعالى: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }
(43) [سورة الزخرف (43)].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.¹⁵⁴

القول في تأويل قوله تعالى: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (43) [سورة الزخرف: آية 43]. "فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" يعني دين الله الذي أمر به وهو الإسلام. فإنه كامل الاستقامة من كل وجه. قال الشهاب: هذا تسلية له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر لأمته أو له، بالدوام على

¹⁵⁴ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 21 / 610.



التمسك. والفاء في جواب شرط مقدر. أي إذا كان أحد هذين واقعا لا محالة، فاستمسك به. " 155

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43) " الوحي إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من وجوه ثلاثة:

أحدها: القرآن، وهو الظاهر من الوحي إليه.

والثاني: وحي بيان، يبين للناس ما لهم وما لله عليهم، وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبريل أو غيره؛ على ما أراد الله تعالى.

والثالث: وحي إلهام وإفهام، كقوله - تعالى -: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} (النساء: 105) وما أراه الله - تعالى - هو ما ألهمه وأفهمه أمره - عَزَّ وَجَلَّ - بالتمسك على أنواع ما أوحى إليه ما هو قرآن وما هو بيان، وما هو إفهام، وأراه وآمنه أن يزيغ أو يزل أو يعدل عن الصواب في ذلك كله، ويبشره في ذلك كله أنك لو تمسكت بجميع ما أوحى إليك كنت على صراط مستقيم؛ حيث قال: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (الزخرف:43). 156

¹⁵⁵ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 8 / 392.

¹⁵⁶ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ): "تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)"، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 9 / 168.

{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} فعلاً واتصافاً، بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصاً على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانياً على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الظلم والجور والشكوك والأوهام . 157

قوله (فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) : أي الإسلام. 158

يقول الله سبحانه: { فَاسْتَمْسِكْ } أي: تمسك بالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالشَّرَائِعِ، واعمل بذلك، سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه، {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} على دين قيم لا عوج فيه، وهو تعليل للأمر بالاستمسك . 159

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ } يُرِيدُ الْقُرْآنَ، وَإِنْ كَذَّبَ بِهِ مَنْ كَذَّبَ، فَ {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} يُوَصِّلُكَ إِلَى اللَّهِ وَرِضَاهُ وَتَوَابِهِ . 160

¹⁵⁷ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ): "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"،

المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م، ص 766.

¹⁵⁸ أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين: " الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة-

المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 4 / 304.

¹⁵⁹ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ): "البحر

المديد في تفسير القرآن المجيد"، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة:

1419 هـ، 5 / 252.

¹⁶⁰ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ):

"الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة،

الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، 16 / 93.



{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ } من الآيات والشرائع، وقرئ «أُوحِيَ» على البناء للفاعل وهو الله تعالى، { إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } لا عوج له.¹⁶¹

وَالِاسْتِمْسَاكَ: شِدَّةُ الْمَسْكِ، فَالْسَّيْنُ وَالْتَّاءُ فِيهِ لِلتَّأَكِيدِ. وَالْأَمْرُ بِهِ مُسْتَعْمَلٌ فِي طَلَبِ الدَّوَامِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِفِعْلٍ لِمَنْ هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهِ لَا يَكُونُ لِطَلَبِ الْفِعْلِ بَلْ لِمَعْنَى آخَرَ وَهُوَ هُنَا طَلَبُ الثَّبَاتِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهَذَا كَمَا يُدْعَى لِلْعَزِيزِ الْمُكْرَمِ، فَيُقَالُ: أَعَزَّكَ اللَّهُ وَأَكْرَمَكَ، أَيَّ أَدَامَ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ: أَحْيَاكَ اللَّهُ، أَيَّ أَطَالَ حَيَاتَكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي تَعْلِيمِ الدُّعَاءِ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الْفَاتِحَةُ: 6]. وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ هُوَ الْقُرْآنُ. وَجُمْلَةُ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَأْيِيدٌ لِطَلَبِ الْإِسْتِمْسَاكِ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ وَتَعْلِيلٌ لَهُ. لَمَّا هَوَّنَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُلَاقِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَوَعْدَهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ فَرَعَ

وقارن مع: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، 7 / 215 .

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): "التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 4 / 110.

مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 927 هـ): "فتح الرحمن في تفسير القرآن"، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 6 / 223.

¹⁶¹ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ): "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 5 / 92.

عَلَى ذَلِكَ أَنْ أَمْرَهُ بِالنَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَأَنْ لَا يَخُورَ عَزْمُهُ فِي الدَّعْوَةِ صَجْرًا مِنْ تَصَلُّبِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَنُفُورِهِمْ مِنَ الْحَقِّ. ¹⁶²

قَوْلُهُ - تَعَالَى -: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِذِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَيَّ طَرِيقٍ وَاضِحٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ.

وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ - فَذُجَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ مِنْ كِتَابِ

اللَّهِ.

أَمَّا أَمْرُهُ بِالتَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - فَقَدْ قَدَّمْنَا الْآيَاتِ الْمُوَضَّحَةَ لَهُ فِي سُورَةِ

«الْكَهْفِ» فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ - تَعَالَى -: { وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ }.

وَأَمَّا إِخْبَارُهُ لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي

أَوْضَحَ ذَلِكَ فِيهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى -: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجاثية: 18). وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: { وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ } (

¹⁶² محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ): "التحرير والتتوير «تحرير

المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، 25 /



المؤمنون: (73-74). وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: { فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ } . وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } (الحج: 67). وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ } (النمل: 79)، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. 163

أمر الله سبحانه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يستمسك بما أوحى به إليه، فيعمل به، فقال: {فَاسْتَمْسِكْ} يا محمد {بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ}؛ أي: تمسك بالقرآن الذي أنزل عليك بمراعاة أحكامه، وإن كذب به من كذب، سواء عجلنا لك الموعد، أو أخرناه إلى يوم الآخرة {إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}؛ أي: طريق سوي لا عوج له، وهو طريق التوحيد ودين الإسلام، والجملة تعليل لقوله: {فَاسْتَمْسِكْ}. 164

"قالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجملة الثابتة بالنص والإجماع وأعرض عن الذين فرقوا دينهم ... فإن مواضع التفرق

¹⁶³ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ): " البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م، 7 / 120.

¹⁶⁴ الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي: " حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 26 / 254.

والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى . " 165

وتقديم العقل على النقل ممتنع لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول، فلو أبطلنا النقل لكننا قد أبطلنا دلالة العقل وإذا بطلت دلالاته لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة الدليل، فكان تقديم العقل موجباً لعدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين جداً، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره فإما أن تكون هذه الدلالة صحيحة أو باطلة فإن كانت صحيحة امتنع أن يكون في العقل ما يبطلها وإن كانت باطلة لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم على الدليل السمعي الصحيح، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه والقدح فيه يمنع دلالاته وذلك يمنع معارضته استحالة تقديمه عند المعارضة لأن تقديمه عند المعارضة يبطل المعارضة وذلك يحيل المسألة من أصلها. 166

وإذا قدر تعارض الشرع والعقل لوجب تقديم الشرع لأن العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل. إن هذا المسلك إذا سلك

¹⁶⁵ ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 12 / 237.

¹⁶⁶ ابن قيم الجوزية: "الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة"، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ، 3 / 854.



أصح من مسلكهم كما قال بعض أهل الإيمان يكفيك من العقل أن يعرفك صدق الرسول ومعاني كلامه ثم يخلي بينك وبينه.¹⁶⁷

المعاصي تقسد العقل، فإن للعقل نوراً، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص. وقال بعض السلف: " ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، وهذا ظاهر، فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟ " ¹⁶⁸

إن العقول تحكم بوجوب تقديم محبة الله على محبة النفس والأهل والمال والولد، وكل ما سواه. وكل من لم يحكم عقله بهذا: فلا تعباً بعقله. فإن العقل والفطرة والشرعة والاعتبار، والنظر. تدعو كلها إلى محبته سبحانه. بل إلى توحيده في المحبة. وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول.

كما قيل:

هب الرسل لم تأت من عنده ... ولا أخبرت عن جمال الحبيب

¹⁶⁷ ابن قيم الجوزية: "الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة"، 3 / 807.

¹⁶⁸ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، ص 59.

أليس من الواجب المست ... حق محبته في اللقا والمغيب
 فمن لم يكن عقله أمرًا ... بذا. ما له في الحجى من نصيب
 وإن العقول لتدعو إلى ... محبة فاطرها من قريب
 أليست على ذاك مجبولةً ... ومفطورةً لا بكسب غريب
 أليس الجمال حبيب القلوب ... لذات الجمال، وذات القلوب
 أليس جميلًا يحب الجمال ... تعالى إله الورى عن نسيب
 أما بعد ذلك إحسانه ... بداع إليه لقلب المنيب
 أليس إذا كمالًا أوجبًا ... كمال المحبة للمستجيب
 فمن ذا يشابهه أوصافه ... تعالى إله الورى عن ضريب
 ومن ذا يكافئ إحسانه ... فيألهه قلب عبد منيب
 وهذا دليل على أنه ... إلى كل ذي الخلق أولى حبيب
 فيا منكرًا ذاك والله أن ... ت عين الطريد وعين الحريب
 ويا من يوحد محبوبه ... ويرضيه في مشهد أو مغيب
 ولو سخط الخلق في وجهه ... لقال هوانًا ولو بالنسيب



حظيت وخابوا فلا تبتئس ... بكيد العدو وهجر الرقيب¹⁶⁹

وقال يوسف بن أسباط: "العقل سراج ما بطن وزينة ما ظهر وسائس الجسد وملاك أمر العبد ولا تصلح الحياة إلا به ولا تدور الأمور إلا عليه وقيل لعبد الله بن المبارك ما أفضل ما أعطي الرجل بعد الإسلام قال غريزة عقل قيل فإن لم يكن قال أدب حسن قيل فإن لم يكن قال أخ صالح يستشيريه قيل فإن لم يكن قال صمت طويل قيل فإن لم يكن قال موت عاجل"، وفي ذلك قيل:

ما وهب الله لأمري هبة ... أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فإن فقدنا ... ففقدته للحياة أجمل به¹⁷⁰

ويا عجباً لو صحت العقول لعلمت أن طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش، إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاه، والألم والعذاب كله في سخطه وغضبه، ففي رضاء قرة العيون، وسرور النفوس، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، وطيب الحياة، ولذة العيش، وأطيب النعيم، ومما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم يف به، بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضاً منه، ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا أعظم من تنعم المترفين فيها، ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والأحزان المعارضات، بل قد حصل له على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين أعظم منهما،

¹⁶⁹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 3 / 34.

¹⁷⁰ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403/1983م، ص 13.

وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام، فالأمر كما قال تعالى: { وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِعَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [سورة النساء: 104]. فأبي عقل لمن أثار لذة ساعة أو يوم أو دهر، ثم تتقضي كأنها حلم لم يكن، على هذا النعيم المقيم، والفوز العظيم؟ بل هو سعادة الدنيا والآخرة، ولولا العقل الذي تقوم به عليه الحجة لكان بمنزلة المجانين، بل قد يكون المجانين أحسن حالاً منه وأسلم عاقبةً، فهذا من هذا الوجه. وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيش، فلولا الاشتراك في هذا النقصان، لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا، ولكن الجائحة عامة، والجنون فنون. ¹⁷¹

ومن جهة ثانية وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمي القلب قليباً لأنه أخرج قلبه وهو باطنه وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضاً ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ. كما يقوله كثير من الأطباء ونقل ذلك عن الإمام أحمد ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب فإذا كمل انتهى إلى الدماغ. العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: { أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } (الحج: 46)، وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم: قال: " بلسان سئول وقلب عقول " لكن لفظ " القلب " قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علة

¹⁷¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، ص 82.



سوداء كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم {إن في الجسد مضغاً إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد} 172 .

العقل الصريح "إنما يوافق ما أثبتته الرسول وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلاً . " 173

إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية؛ فكان في بيان أصول الدين الحق؛ وهو دين الله؛ وهي أصول ثابتة، صحيحة، معلومة؛ فتضمن بيان العلم النافع، والعمل الصالح؛ الهدى، ودين الحق. وأهل البدع ابتدعوا ما خالفوا به الشرع. وكل ما خالفوه من الشرع، فقد خالفوا فيه العقل أيضاً؛ فإن الذي بعث الله به محمداً، وغيره من الأنبياء: هو حق، وصدق، وتدل عليه الأدلة العقلية؛ فهو ثابت بالسمع، و [بالعقل] . 174

إن ما أمرت به الرسل هو الحسن وما نهت عنه هو القبيح طريق إلى تصديق الرسل وأنهم جاؤا بالحق من عند الله فهذا إنما يلزم أن لو قيل بأن ما جاءت به الرسل ثابت في العقل إدراكه مفصلاً قبل البعثة فحينئذ يقال هذا يفتح باب الاستغناء عن

172 ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 9 / 303.

173 ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 5 / 172.

174 تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "النبوات"، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، 2 / 613 .

الرسالة ومعلوم أن إثبات الحسن والقبح العقليين لا يستلزم هذا ولا يدل عليه بل غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى الشرع بتفضيله أو قبحه فيدركه العقل جملة ويأتي الشرع بتفصيله وهذا كما أن العقل يدرك حسن العدل وأما كون هذا الفعل المعين عدلاً أو ظلماً فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وعقد وكذلك يعجز عن إدراك حسن كل فعل وقبح وان تأتي الشرائع بتفصيل ذلك وتبينه وما أدركه العقل الصريح من ذلك أتت الشرائع بتقريره وما كان حسناً في وقت قبيحاً في وقت ولم يهتد العقل لوقت حسنه من وقت قبحه أتت الشرائع بالأمر به في وقت حسنه وبالنهى عنه في وقت قبحه وكذلك الفعل يكون مشتملاً على مصلحة ومفسدة ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أم مصلحته فيتوقف العقل في ذلك فتأتي الشرائع ببيان ذلك وتأمير براجح المصلحة وتنهى عن راجح المفسدة وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره والعقل لا يدرك ذلك فتأتي الشرائع ببيانه فتأمر به من هو مصلحة له وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقه وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل فلا يعلم إلا بالشرع، هذا مع أن ما يعجز العقل عن إدراكه من حسن الأفعال وقبحها ليس بدون ما تدرکه من ذلك فالحاجة إلي الرسل ضرورية بل هي فوق كل حاجة فليس العالم إلي شيء أحوج منهم إلي المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ولهذا يذكر سبحانه عباده نعمه عليهم برسوله ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه لشدة حاجتهم إليه ولتوقف مصالحهم الجزئية والكلية عليه وأنه لاسعادة لهم ولا فلاح ولا قيام إلا بالرسل .¹⁷⁵

¹⁷⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مفتاح دار السعادة ومنشور

ولاية العلم والإرادة"، 1 / 117.



والعقل عقلان عقل غريزة وهو اب العلم ومربيه ومتمره وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واستقام له امره واقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم احسن حالاً منه وإذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما ومن الناس من يرجح صاحب العقل الغريزي ومنهم من يرجح صاحب العقل المكتسب والتحقيق. وقد مدح الله سبحانه العقل وأهله في كتابه في مواضع كثيرة منه، وذم من لا عقل له وأخبر أنهم أهل النار الذين لا سمع لهم ولا عقل، فهو آلة كل علم وميزانه الذي به يعرف صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه والمرأة التي يعرف بها الحسن من القبيح، وقد قيل العقل ملك والبدن روحه وحواسه وحركاته كلها رعية له فإذا ضعف عن القيام عليها وتعهدتها وصل الخلل اليها كلها ولهذا قيل من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الشر عليه. ان صاحب العقل الغريزي الذي لا علم ولا تجربة عنده آفته التي يؤتى منه الاحجام وترك انتهاز الفرصة لان عقله يعقله عن انتهاز الفرصة لعدم علمه بها وصاحب العقل المكتسب يؤتى من الإقدام فإن علمه بالفرض وطرقها يلقيه على المبادرة اليها وعقله الغريزي لا يطيق رده عنه فهو غالباً يؤتى من إقدامه والأول من احجامه فإذا رزق العقل الغريزي عقلاً ايمانياً مستفاداً من مشكاة النبوة لا عقلاً معيشياً نفاقياً يظن أربابه أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون فإنهم يرون العقل أن يرضوا الناس على طبقاتهم ويسالموهم ويستجلبوا مودتهم ومحبتهم وهذا مع أنه لا سبيل إليه فهو ايثار للراحة والدعة، فالعقل كل العقل ما اوصل إلى رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.¹⁷⁶

¹⁷⁶ ابن قيم الجوزية : "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، 1 / 117.

الفصل الثاني

أفلا يعقلون

وجوب النظر العقلي



المبحث الأول

مفهوم العقل

العقل في اللغة: المنع والحبس، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يمنع صاحبه عن ذميم القول والفعل، وعن التورط في المهالك. هكذا قالوا. فالعاقل سمي عاقلاً نسبة إلى العقل، لأنه يمنعه عن الأخلاق الرذيلة ونحوها، يقال: عقل عقلاً.. أدرك الأشياء على حقيقتها، وعقل الغلام.. ميز، إذاً: يطلق العقل ويراد به الميز.. التمييز، ولذلك قال الماتن هنا: (العقل: ما يحصل به الميز) إذاً: عقل الغلام: ميز، وعقل الشيء: أدركه على حقيقته، والعاقل هو: المدرك، والعقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، ما يكون يعني ما يحصل به التفكير والاستدلال، فمحل الفكر هو العقل، ومحل الاستدلال في الأصل هو العقل، وتركيب التصورات والتصديق، ويتميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل، يجمع على عقول. العقل: ما يحصل به الميز، وهو غريزة وبعض العلوم الضرورية)، إن العلم نوعان: ضروري ونظري، هل يمكن أن يدرك الضروري بغير العقل؟ الجواب: لا، هل يمكن أن يدرك النظري

المكتسب بغير العقل؟ الجواب: لا. إذاً: ما هو العقل؟ فاستطرد المصنف وذكر العقل.

177

العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والأئمة لا يراد به جوهر قائم بنفسه باتفاق المسلمين وإنما يراد به العقل الذي في الإنسان الذي هو عند من يتكلم في الجوهر والعرض من قبيل الإعراض لا من قبيل الجواهر. وهذا العقل في الأصل مصدر: عقل يعقل عقلاً كما يجيء في القرآن { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ } (العنكبوت: 43)، { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (الحج: 46)، { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك: 10)، { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } (يونس: 42). وهذا كثير وهذا مثل لفظ السمع فإنه في الأصل مصدر سمع يسمع سمعا وكذلك البصر فإنه مثل الإبصار ثم يعبر بهذه الألفاظ عن القوى التي يحصل بها الإدراك فيقال للقوة التي في العين بصر والقوة التي يكون بها السمع سمع وبهذين الوجهين يفسر المسلمون العقل. ومنهم من يقول العقل هو من جنس العلم كما يقوله القاضي أبو بكر بن الباقلاني وأبو الطيب الطبري وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم. إن العقل في لغة المسلمين كلهم أولهم عن آخرهم ليس ملكاً من الملائكة ولا جوهرًا قائماً بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان ولم يسم أحد من المسلمين قط أحداً من الملائكة عقلاً ولا نفس الإنسان الناطقة عقلاً بل هذه من لغة اليونان ومن المعلوم أن

¹⁷⁷ أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "مختصر التحرير للفتوح"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها

موقع الشيخ الحازمي، <http://alHazme.net>، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 77 درساً، 5/



حمل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كلام الله تعالى على ما لا يوجد في لغته التي خاطب بها أمته ولا في لغة أمته وإنما توجد في لغة أمة لم يخاطبهم بلغتهم ولم تتخاطب أمته بلغتهم فهذا يبين أن الذين وضعوا الأحاديث التي رويت في ذلك ليس المراد بها عند واضعيها ما أثبتته الفلاسفة من الجوهر القائم بنفسه فهؤلاء المستدلون بهذه الأحاديث على قول المنطسفة لم يفهموا كلام الكاذبين الواضعين للحديث بل حرفوا معناها كما حرفوا لفظها فإذا كان هذا حالهم في الحديث الذي استدلوا به فكيف في غيره فتبين أن استدلالهم باطل قطعاً .¹⁷⁸

" إن اسم العقل في اصطلاح جميع المسلمين بل وجميع أهل الملل وعامة بني آدم يراد به ما هو قائم بغيره سواء كان علماً أو قوة أو عملاً بعلم أو نحو ذلك لا يراد به ما هو جوهر قائم بنفسه إلا في اصطلاح هؤلاء الفلاسفة والنفس الكاملة بعد المفارقة تصير عقلاً عندهم ."¹⁷⁹

مسألة العقل ضرب من العلوم الضرورية، وهو مثل العلم باستحالة اجتماع الضدين ونقصان الواحد عن الاثنين ونحوه قاله أبو الطيب والقاضي، وقال أبو الحسن التميمي : العقل ليس بجسم ولا صورة ولا جوهر وإنما هو نور فهو كالعلم، وحكى أبو

¹⁷⁸ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي دمشقي (المتوفى: 728هـ): "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية"، المحقق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1415هـ/1995م، ص 250 - 251.

¹⁷⁹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي دمشقي (المتوفى: 728هـ): "الصفدية"، المحقق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، 1406هـ، 2 / 258.

الطيب عن أبي الحسن علي بن حمزة الطبري، قال: العقل نور وبصيرة في القلب منزلته من القلب كمنزلة البصر من العين، وقال الماوردي: قال آخرون والصحيح أن العقل هو العلم بالمدرجات الضرورية وقد حكى عن آخرين أنهم قالوا: العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه وزيف ذلك، بأن المدرك هو العاقل لا العقل، وجعل الماوردي أن الاختلاف في محله هل هو القلب أو الرأس مفرع على زعم من زعم أنه جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات، وقال: كل من نفي أن يكون العقل جوهرًا أثبت أن محله القلب لأن القلب محل العلوم كلها، وقسم العقل إلى قسمين غريزي ومكتسب وجعل الأول واحداً لا يزيد ولا ينقص والثاني هو الذي يزيد وينقص [فليس له حد]، قال القاضي، وقال أبو محمد البربهاري: ليس العقل باكتساب وإنما هو فضل من الله، قال وقال بعضهم: قوة يفصل بها حقائق المعلومات. عن أحمد أنه قال: العقل غريزة والحكمة فطنة. وعن أحمد أنه قال: العقل غريزة والحكمة فطنة والعلم سماع والرغبة في الدنيا هوى والزهد فيها عفاف، قال القاضي: ومعنى قوله غريزة أنه خلقه الله ابتداء وليس باكتساب العبد ترتيب جيد لكن الغرائز في القوى، وقال ابن فورك: هو العلم الذي يمتنع به من فعل القبيح قال ومعنى ذلك كله متقارب.. 180

ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها. وأما أولئك، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام: العقل والنفوس، فيسميها عالم الأمر،

¹⁸⁰ آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجد: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ)، وأضاف إليها الأب،: عبد الحلیم بن تيمية (ت: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)]: "المسودة في أصول الفقه"، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، " المسودة في أصول الفقه"، ص 556.



وقد يسمي (العقل) عالم الجبروت (والنفوس عالم الملكوت)، و (الأجسام) عالم الملك، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك. إن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان، فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا، كما في القرآن { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } (الملك: 10)، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ﴿الرعد: ٤﴾ { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } ﴿الحج: ٤٦﴾¹⁸¹.

ناقش الباقلاني ماهية العقل وكماله وحقيقته وبين اختلاف الناس فيه، فقال قائلون: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات" وقال قوم: جوهر بسيط. وقال آخرون: مادة وطبيعة. وقال الجمهور من المتكلمين: هو العلوم الضرورية. والذي اختاره الباقلاني: أنه "بعض العلوم الضرورية" ويدل على فساد الرأي خلاف ذلك أنه لو كان جوهرًا لصح قيامه بداية ووجوده لا بعقل، ولصح أن يحيا ويعقل ويفعل ويكلف، لأن ذلك أجمع مما يصح ويجوز على الجواهر، وفي فساد ذلك أجمع دليل على أنه ليس بجوهر، فيجب لذلك أن يكون عرضاً، ومحال أن يكون عرضاً غير سائر العلوم، لأنه لو كان ذلك كذلك لصح وجود سائر العلوم مع عدمه حتى يكون العالم بدقائق الأمور غير عاقل، أو وجوده مع عدم سائر العلوم حتى يكون الكامل العقل غير عالم بنفسه ولا بالمدرجات ولا بشي من الضرورات، إذا لا دليل يوجب

¹⁸¹ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، 1405 هـ - 1985 م، ص 101 - 102.

تضمن أحدهما للآخر، وذلك نهاية الإحالة، والذي يدل على أنه لا يجوز أن يكون جوهرًا من الجواهر، لأن الدليل قد دل على أنها كلها من جنس واحد، فلو كان العقل جوهرًا لكان من جنس العاقل، ولا يستغنى العاقل بوجود نفسه ولكن في كونه عاقلًا ما يغنيه عن وجود مثله وما هو من جنسه، وقد ثبت أنه ليس بعاقل بنفسه. فمحال كونه عاقلًا بجوهر من جنسه.¹⁸²

وهناك من قال عن العقل: "هو عرض مخالف لسائر العلوم والأعراض" فقوله موافق لقول من قال: "هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات" وقول أحمد: "هو غريزة" يتناول هذه القوة ولهذا فرق بين ذلك وبين العلم. وأبو الحسن التيمي قال: "هو كالعلم" ولم يقل هو من العلم فهنا أمور:

أحدها: علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف.

الثاني: العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضا بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

وهذان النوعان لم ينازع الأولون في وجودهما ولا في أنهما يسميان عقلا ولكن قالوا كلامنا في العقل الذي هو مناط التكليف للفرق بين العاقل والمجنون وهذان لا يدخلان في ذلك فالنزاع فيهما لفظي.

¹⁸² محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: 403 هـ): "التقريب والإرشاد (الصغير)"، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م، 1 / 196.



الثالث: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره فهذا أيضا لا نزاع في وجوده وهو داخل فيما يحمد بها عند الله من العقل ومن عدم هذا ذم وإن كان من الأول وما في القرآن من مدح من يعقل وذم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع وقد عدمه من قال: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

الرابع: الغريزة التي بها يعقل الإنسان فهذه مما تتوزع في وجودها فأنكر كثير من الأولين أن يكون في الإنسان قوة يعلم بها غير العلم أو قوة يبصر بها غير البصر أو قوة يسمع بها غير السمع .¹⁸³

إن استعمل حُجَجَ الْعُقُولِ ضَرُورَةً إِذْ كُلُّ مَنْ نَفَاهَا فَإِنَّمَا يَنْفِيهَا بِحُجَجِ الْعُقُولِ، وَبِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ. وَيَحْتَجُّ لِصِحَّةِ النَّقْلِ بِالْعُقُولِ، وَلَا يَصِحُّ لَهُ الْإِحْتِجَاجُ لِلنَّقْلِ بِالنَّقْلِ نَفْسِهِ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ حُجَّةً لِنَفْسِهَا، فَإِنَّمَا يَفْرَعُ إِلَى مَعْنَى غَيْرِ النَّقْلِ، فَيَقُولُ: إِنَّ (النَّظَرَ بِدَعَاةٍ، وَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحِيَرَةِ، وَإِلَى الْإِحْتِجَافِ وَالتَّبَايُنِ) وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ، وَإِنْ كَانَ فَاسِداً، فَقَدْ عَلِمْنَا: أَنَّ الْمُقْلِدَ وَالنَّافِيَ لِلنَّظَرِ إِنَّمَا يُثْبِتُهُ مِنْ حَيْثُ يَنْفِيهِ، كَمَا أَنَّ النَّافِيَ لِعُلُومِ الْحِسِّ إِنَّمَا يَرُومُ نَفْيَهَا بِحُجَجِ وَنَظَرٍ هُوَ دُونَ عُلُومِ الْحِسِّ فِي مَنْزِلَةِ الثَّبَاتِ وَالْوُضُوحِ، فَيَقُولُ: إِنَّمَا أَبْطَلْتُ عِلْمَ الْحِسِّ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى فِي النَّوْمِ مَا (لَا) يَشْكُ فِي حَقِيقَتِهِ وَصِحَّتِهِ، كَرُؤْيَيْهِ لِمَا يَرَاهُ فِي اليَقَظَةِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ بَعْدَ الْإِنْتِبَاهِ لَهُ حَقِيقَةً، وَكَمَا يَرَى الْإِنْسَانُ السَّرَابَ، فَلَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ مَاءٌ، ثُمَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، وَكَالْمَرِيضِ يَجِدُ الْعَسَلَ مُرّاً، فَلَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ حُكْمُ سَائِرِ الْمَحْسُوسَاتِ، فَيَرُومُ إِبْطَالَ (عُلُومِ) الْحِسِّ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ. إِنَّ الْعِلْمَ يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْبَهِيمَةِ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ الْمُمَيِّزِ، كَالْعِلْمِ بِوُجُودِ الْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَاتِ، وَكَالْعِلْمِ يُفَرِّقُ

¹⁸³ ابن تيمية: "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية"، ص 250 - 251.

مَا بَيْنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادَاتِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَقْلِ حَظٌّ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَبِيلُ إِدْرَاكِهَا الْعَقْلُ (لَكَانَ الْإِنْسَانُ وَالْبَهِيمَةُ) بِمَثَابَةِ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا تَعْلَمُهُ الْبَهِيمَةُ إِذَا كَانَتْ عُلُومُهُ مَقْصُورَةً عَلَى مَا تُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ حَوَاسُّهُ.¹⁸⁴

وتتبين صحة حجج العقول في أننا نرى أن لا أحد من العقلاء، لا يخلو من النظر العقلي فيما ينوبه من أمر دينه ودنياه، حتى العامي الغفل الذي لم يتقدم له طلب العلوم والآداب، يفرغ إلى النظر واستعمال العقل فيما ينوبه من أمر دنياه، كما يفرغ إلى الحس فيما طريق معرفته الحس، وإلى الخبر فيما (طريق معرفته) الخبر. صحة حجج العقول: أن كل عاقل فهو يجد نفسه يفرغ إلى النظر واستعمال العقل فيما ليس طريق، معرفته الحس والخبر، كما يجدها تفرغ إلى الحواس فيما طريق معرفته الحس، وإلى الاستخبار فيما طريق معرفته الخبر. فلولا أن النظر سبب يتوصل به إلى علوم عقلية - لما كانت تفرغ إليه في ذلك، كما لا تفرغ فيما ليس طريق معرفته الذوق إلى الشم، ولا فيما طريق معرفته السماع إلى الذوق، وإنما تفرغ في طلب معرفة الطعم إلى الذوق، وفي طلب معرفة الألوان إلى البصر، وفيما طريق معرفته السمع إلى الاستماع، فثبت بذلك: أن النظر في طبع الإنسان، كالحس، قد جعله الله تعالى عياراً وسبباً إلى الوصول إلى معرفة أمور به تدرك.¹⁸⁵

يرى القاضي الباقلاني أن العقل بعض العلوم الضرورية، وقد يوجد العاقل بدون العلم كما في النوم نعم في شرح المواقف للسيد الشريف وقال القاضي هو العلم بوجود الواجبات واستحالة المستحيلات في مجاري العادات اهـ ومشى على هذا إمام

¹⁸⁴ الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 370 - 371.

¹⁸⁵ الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 375.



الحرمين في أوائل كتاب الإرشاد قال الشريف ولا يبعد أن يكون هذا تفسيراً لكلام الأشعري وزادت المعتزلة في العلوم التي يعتبر بها العقل العلم بحسن الحسن وقبح القبيح؛ لأنهم يعدونه في البديهيات بناءً على أصلهم قال المصنف (والأكثر) على أن العقل (قوة بها إدراك الكليات للنفس) وكأنه مأخوذ مما في شرح المقاصد والأقرب أن العقل قوة حاصلة عند العلم بالضروريات بحيث يتمكن بها من اكتساب النظريات وهذا معنى ما قال الإمام إنها غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وما قال بعضهم إنها قوة بها يميز بين الأمور الحسنة والقبيحة وما قال بعض علماء الأصول إنه نور يضيء به، طريق يبتدأ به من حيث ينتهي إليه درك الحواس أي قوة حاصلة للنفس عند إدراك الجزئيات بها يتمكن من سلوك طريق اكتساب النظريات وهو الذي تسميه الحكماء العقل بالملكة. ورأى الأشعري أن العقل بلفظ العلم ببعض الضروريات أي الكليات البديهية بحيث يتمكن من اكتساب النظريات إذ لو كان غير العلم لصح انفكاكهما بأن يوجد عالم لا يعقل وعاقل لا يعلم وهو باطل. ولو كان العلم بجميع الضروريات لما صدق على من يفقد بعضها لفقد شرطها من التفات أو تجربة أو تواتر أو نحو ذلك مع أنه عاقل اتفاقاً ولو كان العلم بالنظريات لكان متأخراً عن نفسه؛ لأنه مشروط بكمال العقل فيكون متأخراً عن العقل بمرتبين فلا يكون نفس العقل واعتراض بأن لا نسلم أنه لو كان غيره لجاز انفكاكهما لجواز تلازم المتغايرين بحيث يمتنع الإنفكاك بينهما كالجوهر والحصول في الحيز .¹⁸⁶

¹⁸⁶ أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (المتوفى: 879هـ): "التقرير والتحبير"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، 2 / 162.

يرى الشيخ البزدوي أن العقل نور يضاء به طريق بيتدأ به من حيث ينتهي إليه
درك الحواس فيبتدئ المطلوب للقلب فيدركه القلب بتأمله بتوفيق الله تعالى وإنه لا
يعرف في البشر إلا بدلالة اختياره فيما يأتيه ويذره ما يصلح له في عاقبته وهو
نوعان: قاصر لما يقارنه ما يدل على نقصانه في ابتداء وجوده وهو عقل الصبي؛
لأن العقل يوجد زائداً ثم هو بحكم الله تعالى وقسمته متفاوت لا يدرك تفاوته فعقلت
أحكام الشرع بأدنى درجات كماله واعتداله وأقيم البلوغ الذي هو دليل عليه مقامه
تيسيراً. وفصل ذلك علاء الدين البخاري الحنفي في شرحه مبيناً أن أكثر الناس
الاختلاف في العقل قبل الشرع وبعده؛ فقال بعضهم العقل جوهر لطيف يفصل به بين
حقائق المعلومات واعترض عليه بأنه لو كان جوهرًا لصح قيامه بذاته فجاز أن يكون
عقل بلا عاقل كما جاز أن يكون جسم بغير عقل وحين لم يتصور ذلك دل أنه ليس
بجوهر كذا في القواطع وقيل معنى العقل: هو العلم لا فرق بينهما؛ لأن أهل اللغة لم
يفصلوا بين قولهم عقلت وعلمت فاستعملوهما لمعنى واحد وقالوا هذا أمر معلوم
ومعقول وهو فاسد أيضًا؛ لأن الله تعالى يوصف بالعلم، ولا يوصف بالعقل فدل أنهما
مفترقان ونحن لا ننكر استعمال العقل بمعنى العلم ولكن كلامنا في المعنى الذي به
يتميز من اتصف به عن الطفل الرضيع والبهيمة والمجنون ولا شك أنه غير العلم،
ولذلك يوصف به عامة الخلق، ولا يوصف بالعلم إلا قليل منهم وقيل: هو قوة
ضرورية بوجودها يصح درك الأشياء ويتوجه تكليف الشرع وهو مما يعرفه كل إنسان
من نفسه ومختار الشيخ والقاضي الإمام وشمس الأئمة وعامة الأشعرية أن العقل نور



يضاء به طريق إصابة الحق والمصالح الدينية والدينيوية فيدرك القلب به كما يدرك العين بالنور الحسي المبصرات. 187

وقالوا: العقل جوهر يدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة (وقولهم) أي الحنفية (من منتهى درك الحواس إشارة إلى أن عمل العقل ليس فيها) أي مدركات الحواس (فإنها مدركات الصبيان والبهائم) والمجانين فلا تحتاج إلى العقل الذي نحن بصده (بل) عمل العقل (فيما ينزعه منها) أي المدركات الحسية (وهو) أي عمله (عند انتهاء درك الحواس وعمله الترتيب السالف) أي النظر المذكور في أول الكتاب (فيخلق الله عقبيه) أي الترتيب الذي هو النظر. وأجيب عن حجة الأولين بأنه لا يمتنع زوال العقل وهو في القلب بفساد الدماغ لما بينهما من الارتباط كما لا يمتنع عدم نبات شعر اللحية بقطع الأنثيين لما بينهما من الارتباط ومن هذا يخرج الجواب عن الاستدلال بالفرع المذكور وقيل التحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ (وهي) أي القوة المفسر بها العقل (المراد بذلك النور) ومحل القوة التي هي العقل (الدماغ للفلاسفة) وخصوصاً الأطباء وأحمد في رواية وأبي المعين النسفي وعزاه صدر الإسلام إلى عامة أهل العلم فقال وهو جسم لطيف مضيء محله الرأس، وأثره يقع على القلب فيصير القلب مدرجاً بنور العقل الأشياء كالعين تصير مدركةً بنور الشمس وبنور السراج الأشياء فإذا قل النور وضعف قل الإدراك وضعف وإذا انعدم النور انعدم الإدراك، واحتجوا بأن الرجل يضرب في رأسه فيزول عقله ولولا أنه فيه لما زال بذلك كما لا يزول بضرب يده أو رجله ومن هنا نسب هذا إلى أبي

187 عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ): "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي"، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 2 / 394.

حنيفة تارةً وإلى محمد أخرى لقوله في كتاب الديات فيمن ضرب رأسه فذهب عقله فيه الدية (والقلب) اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر (للأصوليين) كالقاضي أبي زيد وشمس الأئمة السرخسي وأحمد في رواية لقوله تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: 46] فجعل العقل بالقلب كما جعل السمع بالأذن وقال بعض السلف في قوله تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق: 37] عقل من إطلاق المحل وإرادة الحال. 188

ومن الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم. والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: أن العقل غريزة. وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوةً بها يبصر؛ وفي اللسان قوةً بها يذوق وفي الجلد قوةً بها يلمس عند جمهور العقلاء. ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبي الحسن ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضاً ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها فيقولون: إن الله لا يشبع بالخبز ولا يروي بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لا به وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس؛ فإن الله قال في كتابه: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَبْتَ

188 ابن الموقت الحنفي: "التقرير والتحبير"، 2 / 162.



سَحَابًا ثَقَالًا سُقْتَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الأعراف: 57)، فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء. وقال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ﴿البقرة: ١٦٤﴾، وقال: { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ } ق: 9). وقال: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ } (المائدة: 15-16)، وقال: { فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } (البقرة: 26)، ومثل هذا في القرآن كثير. والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علومًا يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل. أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل. ¹⁸⁹

وقد سمي البزدوي العقل نورًا؛ ، كما يُبين علاء الدين البخاري، لأن معنى النور هو الظهور للإدراك فإن النور هو الظاهر المظهر والعقل بهذه المثابة للبصيرة التي هي عبارة عن عين الباطن كالشمس والسراج لعين الظاهر بل هو أولى بتسمية النور من الأنوار الحسية؛ لأن بها لا يظهر إلا ظواهر الأشياء فتدرك العين بها تلك

¹⁸⁹ ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 9 / 287 - 288.

الظواهر لا غير فأما العقل فيستتير به بواطن الأشياء ومعانيها ويدرك حقائقها وأسرارها فكان أولى باسم النور وقوله يبتدأ مسند إلى الظرف وهو الجار والمجرور والجملة صفة لطريق والضمير في به راجع إلى الطريق وفي بتأمله إلى القلب يعني ابتداء عمل القلب بنور العقل من حيث ينتهي إليه درك الحواس فإن الإنسان إذا أبصر شيئاً يتضح لقلبه طريق الاستدلال بنور العقل فإذا نظر إلى بناء رفيع وانتهى إليه بصره يدرك بنور عقله أن له بانياً لا محالة ذا حياة وقدرة وعلم إلى سائر أوصافه الذي لا بد للبناء منه وإذا نظر إلى السماء ورأى إحكامها ورفعته واستتارة كواكبها وعظم هيئتها وسائر ما فيها من العجائب استدل بنور عقله أنه لا بد لها من صانع قديم مدبر حكيم قادر عظيم حي عليم فهو معنى قوله فيبتدي أي يظهر المطلوب للقلب فيدرك القلب المطلوب إذا تأمل - إن وفقه الله لذلك - قوله (وإنه) أي العقل لا يعرف في البشر أي الإنسان إلا بدلالة اختيار الإنسان فيما يأتيه من العقل وما يترك منه ما يصلح له في عاقبته أمره.¹⁹⁰

(وأما جعل النور العقل الأول عند الفلاسفة) أي جعل هذا التعريف للعقل هنا تعريفاً للعقل الأول حيث أرادوا به (الجوهر المجرد عن المادة في نفسه وفعله) وزعموا أنه أول المخلوقات فيكون المراد بالنور المنور كما قيل في قوله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: 35] كما ذكره صدر الشريعة احتمالاً ممكناً (فبعيد عن الصواب) فإن الأصوليين جعلوا العقل من صفات المكلف ثم فسروه هذا التفسير (وكذا) بعيد عن الصواب (جعله) أي النور الذي هو تفسير العقل هنا (إشراقه) أي الأثر الفاضل من هذا الجوهر على نفس الإنسان فيكون المراد بالعقل هنا النور

¹⁹⁰ علاء الدين البخاري الحنفي: "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي"، 2 / 394.



المعنوي الخالص بإشراق ذلك الجوهر كما ذكره صدر الشريعة احتمالاً آخر ممكناً أيضاً؛ لأنه ليس من صفات المكلف أيضاً بل هو من توابع الجوهر الأول ولازمه. علم المطلوب بالعادة أي بإجرائها على سبيل التكرار دائماً من غير وجوب كما هو القول الصحيح ووجهه معروف في فنه هذا وقد أورد على هذا التعريف أنه غير جامع؛ لأنه قد يكون المطلوب بعد بداية المعقولات كما إذا استدللنا من وجود العالم على أن له صانعاً عالمًا ثم طلبنا بعد ذلك هل علمه عين ذاته أو غيره أو لا هو ولا ذلك وأجيب بأن الطلب بعد بداية المعقولات بمرتبة أو بمراتب لا يمنع كون البداية من انتهاء الحس وإن كان في أثائه مستغنياً عن الحس ونظر فيه بأنه حينئذ لا يصدق قوله من حيث ينتهي إليه درك الحواس؛ لأن على هذا التقدير يكون من حيث ينتهي إليه ابتداء المعقولات بل الجواب أن هذا إنما يتأتى فيما له صورة محسوسة. وأما ما ليس بمحسوس وإنما يبتدأ بطريق العلم به من حيث يوجد .¹⁹¹

ومن الأحاديث الباطلة حديث العقل: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبَلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَشْرَفَ مِنْكَ، فَبِكَ آخِذٌ وَبِكَ أُعْطِي». هذا الحديث كذبٌ موضوع بانفاق أهل العلم، والذين يروونه ذكروه في فضل عقل الإنسان. وأما ما يظن بعض الناس [أن] * المراد به العقل الفعّال فهذا قول من [أقوال المتفلسفة] والملاحدة الذين يقولون بأنّ العقل الفعّال

¹⁹¹ ابن الموقت الحنفي: "التقرير والتحبير"، 2 / 163.

هو المبدع لهذا العالم، وهذا مما هو مخالف لما اتفقت عليه الرسل، مما هو مخالفٌ لصريح العقل.¹⁹²

وأحاديث العقل كلها كذب كقوله: "لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر فقال: ما خلقت خلقاً أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي."¹⁹³

يرى الجويني أن أقصى إفضاء العقل إلى أمور [جملية] منها والدليل القاطع في ذلك رأى العلماء أن ما يتصف به حادث موسوم بحكم النهاية يستحيل أن يدرك حقيقة ما لا يتناهى وعبر الأوائل عن ذلك بأن قالوا تصرف الإنسان في المعقولات بفيض ما يحتمله من العقل عليه ويستحيل أن يدرك الجزء الكل ويحيط جزء طبيعي له حكم عقلي بما وراء عالم الطبائع وهذه العبارات وإن كانت مستتكرة في الإسلام فهي محومة على الحقائق ولكن لا يعدم العاقل العلم بكلى ما وراء [عالم] الطبائع فأما الاحتواء على الحقيقة فهو حكم سلطنة الكل على الجزء. وأما [ما يحمل] على تبدل العقل فهو ما يقتضيه طارئ من الاعتلال أو الاختلال ولا يكاد ينكر ذلك العاقل من نفسه ثم يتصدى له طوران أحدهما أن يعلم قصوره والمطلوب مضطرب العقل والثاني أن يتمارى أنه مضطرب العقل أم لا وبالجملة لا يحكم لمن هذا حاله بتوقف العقل كالحكم الأول. وقد صار معظم الأوائل إلى أن درك خواص الأجسام [وحقائقها] من

¹⁹² تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "أحاديث القصاص"، المحقق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة 1408هـ / 1988م، ص 57.

¹⁹³ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "المنار المنيف في الصحيح والضعيف"، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الأولى، 1390هـ/1970م، ص 66.



مواقف العقول [فليس] من الممكن أن يدرك بالعقل الخاصة الجاذبة للحديد في المغناطيس وهذا عندي فيه نظر فإنها وإن دقت فهي من عالم الطبائع فالجزئي من العقل مسيطر على كل الطبائع ولكن ينقدح [عندي] في ذلك أمر يحمل التعذر عليه وهو إن تهيأ مفيض العقل من الإنسان للفيض الطبيعي فلا يكاد يبلغ هذا التركيب والتهيؤ مبلغاً يفيض من العقل عليه ما يحيط بالخواص وأيضاً فليست الخاصة قضية طبيعية محضة وإنما هي سلطنة النفس في المحل المختص ولا بعد في قصور [جزئي] العقل عن سلطان النفس.¹⁹⁴

وما يحصل بإشراقه العقل وإفاضة نوره (على النفس والمدرّك) وما ينتج عنه من (الإدراك) وهو فاعل يحصل إنما هو عند الفلاسفة (العقل العاشر المتعلق بملك القمر وإليه ينسبون الحوادث اليومية لا) العقل (الأول وكذا) بعيد عن الصواب (جعله) أي النور الذي هو تفسير العقل هنا (المرتبة الثانية من مراتب النفس) الناطقة بحسب ما لها من التعقل، وهي أربع على المشهور المرتبة الأولى استعداد بعيد نحو الكمال وهو محض قابلية النفس لإدراك المعقولات مع خلوها عن إدراكها بالفعل كما للأطفال فإن لهم في حال الطفولية وابتداء الخلقة استعداداً محضاً ليس معه إدراك وليس هذا الاستعداد حاصلًا لسائر الحيوانات ويسمى عقلاً هيولانيًا تشبيهاً بالهيولى الأولى الخالية في نفسها عن جميع الصور القابلة لها فهي كقوة الطفل للكتابة المرتبة الثانية استعداد متوسط وهو استعدادها لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريات ويسمى عقلاً بالملكة لما حصل لها من ملكة الانتقال إلى النظريات بمنزلة الأمي المستعد

¹⁹⁴ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ): "البرهان في أصول الفقه"، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م، 1 / 31.

لتعلم الكتابة وتختلف مراتب الناس في هذا اختلافاً عظيماً بحسب اختلاف درجات الإستعداد المرتبة الثالثة استعداد قريب جداً وهو الاقتدار على استحصال النظريات متى شاءت من غير افتقار إلى كسب جديد لكونها مكتسبةً مخزونةً تحضر بمجرد التفات بمنزلة القادر على الكتابة حين لا يكتب وله أن يكتب متى شاء ويسمى عقلاً بالفعل لشدة قربيه من الفعل المرتبة الرابعة الكمال وهو أن يحصل النظريات مشاهدةً بمنزلة الكاتب حين يكتب. ويسمى عقلاً مستفاداً أي من خارج هو العقل الفعال الذي يخرج نفوسنا من القوة إلى الفعل فيما له من الكمالات ونسبته إلينا نسبة الشمس إلى أبقارنا فلا جرم أن قال (العقل بالملكة) وإنما كان هذا بعيداً أيضاً ؛ لأنه) أي النور المذكور (آلة لها) أي لهذه المرتبة أي لحصولها للنفس لا أنه عينها (والمسمى بالعقل بالملكة (هي) أي النفس (في هذه المرتبة أو المرتبة) التي فيها النفس .¹⁹⁵

¹⁹⁵ ابن الموقت الحنفي: "التقرير والتحبير"، 2 / 163.



المبحث الثاني

الإجتهد والتقليد

الإجتهد:

إن من تخصيص العقل (حكم العقل بإرادة البعض لامتناعه) أي الحكم (في الكل في نفس الأمر ممن يمتنع عليه الكذب) فلم يصح إرادة الكل في التركيب لغة أيضاً لامتناع الحكم، لأن أصل اللغة أيضاً من حيث أنه عاقل ممتنع أن يقصد ما يحيله العقل، ولقائل أن يقول مقصود المحقق صحتها في التركيب لغة في الجملة بالنظر إلى نفس الكلام من غير ملاحظة حال المتكلم وغيره فيما إذا لم يكن استحالة النسبة إلى الكل بديهياً كما إذا قيل كل مفهومين يجتمعان حتى النقيضين، ويكفيه هذا المقدار، لأن المستدل يدعى السلب الكلي، فالإيجاب الجزئي يصلح سندا لمنع بطلان الثاني، وهو انتفاء صحة إرادة ما قضى العقل بإخراجه مطلقاً فتدبر. وقال المانعون من التخصيص بالعقل (تعارضاً) أي العام، والعقل (فتساقط)، احترازاً عن الترجيح بلا مرجح (أو يقدم العام، لأن أدلة الأحكام النقل لا العقل قلنا في إبطاله) أي العقل (إبطاله) أي النقل (لأن دلالاته) أي النقل (فرع حكمه) أي العقل (بها) أي بدلالاته

(فإذا حكم) العقل (بأنها) أي دلالاته (على وجه كذا) كالخصوص هنا (لزم) حكمه وهو المطلوب . 196

وامتاعه ممّا يضره، هذا كله حصل الميز بماذا؟ بالعقل، لكنه غريزي وهو على قدره. ثم يزداد بعد ذلك وهو الاكتسابي. قالوا: والعقل إذا جُنّ، ما الذي يذهب عنه؟ العقل الغريزي أو الاكتسابي؟ الاكتسابي الذي يذهب، أما الغريزي فيبقى، ولذلك يمشي، وقد يعتريه شيء في الطريق ويتعد عنه، وقد يأكل .. يجوع، ويحتاج إلى دورة المياه، ويدخل ويخرج ويغتسل، هذا كله ميز، وحصل به انفصال، وقد يتعد عن بعض ما يضره، ويفعل بعض ما ينفعه، ولكنه باعتبار العقل غريزي، فالذي يذهب ويفقده هو العقل المكتسب، وأما الغريزي فهو باق كغيره، فهو كالصبيان. ويختلف العقل، و يتفاوت من شخص إلى آخر، لكن مع ذلك الاختلاف على الصحيح أنه ثابت وهو موجود ومدرك بالحس، ودفعه مكابرة، دفعه يعتبر مكابرة، لكن عندهم أن العقل نوعان: عقل غريزي وعقل اكتسابي، غريزي قلنا: طبيعة، وهو غريزة، لكن حصر العقل في الغريزي باطل، وأما كون بعض العقل غريزي وبعضه مكتسب هذا صحيح ولا إشكال فيه، ولذلك الجماهير على أن العقل على نوعين: عقل غريزي، والغريزي ما يكون موجوداً مع المولود، يولد معه، المولود عاقل أم لا؟ نعم عاقل، ليس هو العقل الذي يرتبط به التكليف الشرعي لا، وإنما المراد معه شيء يميز به، قالوا: كعقله للارتضاع، يعلم من أن يرتضع، وكذلك أكل الطعام، وكذلك ضحكه مما يسره،

¹⁹⁶ محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (المتوفى: 972 هـ): "تيسير التحرير"، مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932 م)، وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403 هـ - 1983 م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م)، 1 / 274.



المولود يضحك أو لا؟ يضحك، ضحك من ماذا؟ من شيء يسره علمت به أو لا، وبكاؤه ممًا لا يهواه. 197

(ولا يناط) التكليف (بكل قدر فأنيط بالبلوغ) أي بلوغ الأدمي حال كونه (عاقلاً ويعرف) كونه عاقلاً (بالمصدر عنه) من الأقوال والأفعال فإن كانت على سنن واحد كان معتدل العقل وإن كانت متفاوتةً كان قاصر العقل إلا أن الشرع أقام اعتدال الحال بالبلوغ عن عقل بلا عته مقام كمال العقل في توجه الخطاب تيسيراً على العباد ثم صار صفة الكمال الذي يتوهم وجوده قبل هذا الحد ساقط الاعتبار كما سقط توهم بقاء النقصان بعد هذا الحد لما عرف من أن السبب الظاهر إذا أقيم مقام الباطن يدور الحكم معه وجوداً وعدماً (وأما قبله) أي البلوغ هل يوجد التكليف (في صبي عاقل فعن أبي منصور الماتريدي وكثير من مشايخ العراق) كما أسلفناه في الفصل الثاني في الحاكم (والمعتزلة إناطة وجوب الإيمان به) أي بعقله (وعقابه) أي الصبي العاقل (بتركه) أي الإيمان لمساواته البالغ في كمال العقل وإنما عذر في عمل الجوارح لضعف البنية بخلاف عمل القلب غير أن عند هؤلاء المشايخ كمال العقل معرف للوجوب كالخطاب والموجب هو الله تعالى بخلاف المعتزلة فإن العقل عندهم موجب بذاته كما أن العبد موجد لأفعاله (ونفاه) أي وجوب الإيمان على الصبي العاقل (بأبي الحنفية درايةً) لقوله - صلى الله عليه وسلم - «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل» رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه إذ معناه كما قال النووي امتناع التكليف لا أنه رفع بعد وضعه اهـ

¹⁹⁷ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "مختصر التحرير للفتوح"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، <http://alHazme.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 77 درسا].

لكن في السنن الصغرى للبيهقي الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ بعد الهجرة وقبلها إلى عام الخندق كانت تتعلق بالتميز اهـ ونحوه في المعرفة له أيضًا فإن ثبت هذا صح أن يكون الرفع بالنسبة إلى المميز بعد الوضع والله تعالى أعلم وحمله على الشرائع بدون الإيمان كما قال العراقيون لا موجب له. هذا مع اختلاف الفلاسفة في أن إن العقل الهولاني هو استعداد النفس لقبول العلوم الضرورية وتارةً أنه قوَى استعدادية أو قوة من شأنها الاستعداد المحض وتارةً أنه النفس في مبدأ الفطرة من حيث قابليتها للعلوم وكذا البواقى، وحينئذ فلا بعد في أن يكون النور الذي هو تفسير العقل هنا هو العقل بالملكة مرادًا به القوة المذكورة كما تقدم وكيف لا والمراد بالقوة المعنى الذي يصير به الشيء فاعلاً أو منفعلًا كما في التلويح وغيره نعم عليه وعلى ما تقدم أن يقال (وكل هذه) الاحتمالات على هذه الوجوه (لا يليق بالشرعي) أي بالحكم الشرعي (البناء عليها إذ لم يصح اعتبارها شرعًا ثم يتفاوت) العقل بحسب الفطرة بالإجماع وشهادة من الآثار فرب صبي أعقل من بالغ¹⁹⁸ .

واختلف في جواز التخصيص بالعقل: فذهب الجمهور إلى التخصيص به. وذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز التخصيص به. قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني: ولا خلاف بين أهل العلم في جواز التخصيص بالعقل، ولعله لم يعتبر بخلاف من "شد". قال الفخر الرازي في "المحصول": إن التخصيص بالعقل قد يكون بضرورته كقوله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } الزمر: ٦٢، فإننا نعلم بالضرورة أنه ليس خالقًا لنفسه، وينظره كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (ال عمران: 97). فإن تخصيص

¹⁹⁸ ابن الموقت الحنفي: "التقرير والتحبير"، 2 / 163 - 164.



الصبي والمجنون، لعدم الفهم في حقهما، ومنهم من نازع في تخصيص العموم بدليل العقل. ويرى الشوكاني أنه أنه لا خلاف في المعنى، بل في اللفظ، أما أنه لا خلاف في المعنى، فلأن اللفظ، لما دل على ثبوت الحكم في جميع الصور، والعقل منع من ثبوته في بعض الصور، فإما أن يحكم بصحة مقتضى العقل والنقل، فيلزم من ذلك صدق النقيضين وهو محال، أو يرجح النقل على العقل وهو محال؛ لأن العقل أصل للنقل، فالقدح في العقل قدح في أصل النقل والقدح في الأصل لتصحيح الفرع يوجب القدح فيهما معاً، وإما أن يرجح حكم العقل على مقتضى العموم، وهذا هو مرادنا من تخصيص العموم بالعقل. 199

إن دلالة العقل على التخصيص نوعان: ضرورية، ونظرية. ضرورية مثل هذا يستحيل أن يحكم العقل بدخول فرد في ضمن هذا اللفظ لماذا؟ لقيام أن الله جل وعلا عقلاً وشرعاً أنه خالق لذاته وأسمائه وصفاته وما سواه فهو مخلوق هذا لا إشكال فيه إذن إذا جاء لفظ عام فحينئذ نقول: دل العقل دلالة ضرورية على أن الله جل وعلا بذاته وأسمائه وصفاته غير داخل في هذا اللفظ هذا من جهة العقل الضروري النظرية يعني: يحتاج إلى ترتيب مقدمات ونتائج مثلوا له بقوله تعالى: **لَوْلِيَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** { (ال عمران: 97). من استطاع حج البيت قالوا: من استطاع هذا يشمل الصبي والمجنون لماذا؟ لأنه كما سبق لا بد من الفهم فهم الخطاب والعقل وحينئذ دل العقل على أن من لا فهم له لا يمكن أن يكون موجه إليه الخطاب لكن هذا بالنظر لا لضرورة العقل لأن العقل من حيث هو لا يمنع أن يكلف

¹⁹⁹ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): "إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول"، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطناء، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، 1/ 382 - 383.

الصبي والمجنون لا يمنع العقل ولكن بالنظر إذا تأمل ونظر ما على المكلف من جهة الصبي أنه يذهب ويأتي إلى آخره وأن المطلوب هو الخشوع وأن يعلم أنه مأمور بهذه العبادة وأن العبودية ترقى من الأدنى إلى الأعلى وأنه يحتاج إلى أن يعلم أن الرب جل وعلا خلق الجنة والنار إلى آخره هذه لا يمكن أن يدركها الصبي وإلا من حيث هو العقل لا يمنع لكن إذا تأمل العقل نظر أن الصبي لا يدرك مثل هذه الأمور. 200

ويبين ابن الموقت الحنفي أن الحنفية اختصوا بعقد العقل في الأهلية، أي أهلية الإنسان للشيء صلاحيته لصدوره وطلبه منه وقبوله إياه (، وهي ضربان أهلية الوجوب) للحقوق المشروعة له وعليه (وأهلية الأداء كونه معتبراً فعله شرعاً والأول بالذمة وصف شرعي به الأهلية لوجوب ما له وعليه) من الحقوق المشروعة إذ الوجوب شغل الذمة وأورد بأن هذا صادق على العقل بالمعنى السابق وأن الأدلة لا تدل على ثبوت مغاير للعقل وأجيب بمنع أن العقل بهذه الحيثية بل هو مجرد فهم الخطاب والوجوب مبني على الوصف المسمى بالذمة حتى لو فرض ثبوت العقل بدون هذا الوصف بأن ركب في حيوان غير آدمي لم يثبت الوجوب له وعليه والحاصل أن هذا الوصف بمنزلة السبب لكون الإنسان أهلاً للوجوب له وعليه والعقل بمنزلة الشرط وتعقب بأن المعترض مانع كون الوصف الذي يبتنى عليه الوجوب أمراً آخر غير العقل فلا وجه لمنع أن العقل بهذه الحيثية ثم القول بأن الوجوب مبني على

²⁰⁰ أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "شرح نظم الورقات"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ

الحازمي

<http://alHazme.net>، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 45 درس، 5 / 36.



هذا الوصف ليس أمراً زائداً على مجرد الدعوى ثم ظاهر التقويم يشير إلى أن المراد بالذمة العقل (وفخر الإسلام) ومتابعوه الذمة نفس ورقبة لها . 201

ويطلق الضروري على المكروه عليه وعلى ما لا قدرة على فعله وتركه وعلى ما تدعو الحاجة إليه دعاءً تاماً لأكل الميتة للمضطر وظاهر أن الأولين لا يتعلق بهما حكم، والصواب امتناع تكليف الغافل والملجأ إلخ والتنفس في الهواء أشبه بالثالث منه بغيره معلوم أن التنفس اختياري فلا ينافي جريان الأحكام فيه؛ لأنه قد يكون واجباً كما إذا ترتب على تركه نحو الهلاك ومنذوباً كما إذا ترتب عليه مصلحة ولم يترتب على تركه مفسدة وقد يكون مباحاً كما إذا لم يترتب على فعله ولا على تركه مصلحة ولا مفسدة وقد يكون حراماً كما إذا ترتب عليه مفسدة كتنفس يترتب عليه محرم كالقتل وقد يكون مكروهاً كما إذا ترتب على تركه مصلحة ولم يترتب على فعله مفسدة فلا يستقيم قوله وهو أن الضروري مقطوع بإباحته. وما أجاب به الناصر من أن المراد بالإباحة الإذن فيشمل الوجوب والندب أيضاً فلا يخلص بالكلية وبقي أن مقابلة الضروري بهذا المعنى بالاختياري غير ظاهرة؛ لأنه أيضاً اختياري إلا أن يقال المراد اختياري غير ضروري فتأمل. وخصوص ذلك الأمر الاختياري أي لخصوصية اشتمل عليها من مصلحة أو مفسدة أو عدم اشتماله على شيء منها لا بالنظر لذاته وأنه فعل اختياري قال الكمال يصح تعلقه بقضى محذوقاً يدل عليه قضى المذكور أو بقوله اختياري ويكون المعنى أو فعل يختار العاقل الإقدام عليه أو الكف عنه أو يتخير بينهما لأجل خصوصية وجوز الأخير شيخ الإسلام أيضاً مستدلاً بقول الشارح الآتي والاختياري

²⁰¹ ابن الموقت الحنفي (المتوفى: 879هـ): "التقرير والتحبير"، 2 / 164.

لخصوصه الخ والوجه أنه متعلق بقوله قضى المذكور كما يدل عليه قوله فيما بعد فإن لم يقض العقل في بعض منها لخصوصه. ²⁰²

ودرس الإمام الشافعي موضوع الإجتهد في كتابه: " الرسالة" وطرح الموضوع على شكل سؤال وجواب، فهو يجوز الاجتهاد استدلالاً بقول الله: {وَمَنْ حَرَّجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة 150]، فالعلم يحيط أن مَنْ تَوَجَّه تَلَقَّاهُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مِمَّن نَأَتْ دَارَهُ عَنْهُ: على صواب بالاجتهاد للتوجه الى البيت بالدلائل عليه، لأن الذي كُلف التوجُّه إليه، وهو لا يدري أصاب بتوجهه قُصدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أم أخطأه، وقد يَرَى دلائل يعرفها فيتَّوجه بقدر ما يعرف [ويعرف غيره دلائل غيرها، فيتوجه بقدر ما يعرف] وإن اختلف توجههما. ولا يجب عليهما أن يصليا حتى يعلما بإحاطة: فهما لا يعلمان أبداً المغيب بإحاطة، وهما إذا يَدَعَانِ الصَّلَاةَ، أو يرتفع عنهما فرضُ القبلة، فيصليان حيث شاءا، ويقول واحداً من هذين، وما يجد بُدّاً مَنْ أَنْ يَقُولَ: يصلي كل واحد منهما كما يرى، ولم يُكَلِّفَا غير هذا، أو أقول كُلف الصواب في الظاهر والباطن، ووُضِعَ عنهما الخطأ في الباطن دون الظاهر. قال الله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [المائدة 95]، فأمرهم بالمثل، وجعل المثل الى عدلين يحكمان فيه، فلما حُرِّمَ مَأْكُولُ الصَّيْدِ عَامًّا كَانَتْ لِذَوَابِّ الصَّيْدِ أَمْثَالٌ عَلَى

²⁰² حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ): "حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على

جمع الجوامع"، دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ، 1/ 93.



الأبدان. فحَكَمَ مَنْ حَكَمَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَضَى فِي الضَّبُعِ بِكَبْشٍ،
 وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة. والعلم يحيط أنهم أرادوا في
 هذا المثل بالبدن، لا بالقيَم، ولو حكموا على القيم اختلفت أحكامهم لاختلاف أثمان
 الصيد في البلدان وفي الأزمان، وأحكامهم فيها واحدة. والعلم يحيط أن اليربوع ليس
 مثل الجفرة في البدن، ولكنها كانت أقرب الأشياء منه شَبَهًا، فجعلت مثله، وهذا من
 القياس يَنقَارِبُ تَقَارِبَ العنز والطَّي، ويَبْعَدُ قليلاً بُعْدَ الجفرة من اليربوع. ولما كان
 المثل في الأبدان في الدوابِّ من الصيد دون الطائر: لم يَجُزِ فيه إلا ما قال عمر -
 والله أعلم - من أن يُنظر إلى المقتول من الصيد، فيجزي بأقرب الأشياء به شَبَهًا منه
 في البدن، فإذا فات منها شيئاً رُفِعَ إلى أقرب الأشياء به شَبَهًا، كما فاتت الضَّبُعُ
 العنز، فرُفِعَت إلى الكبش، وصَغُرَ اليربوع عن العناق فحُفِضَ إلى الجفرة. وكان طائر
 الصيد لا مثل له في النعم لاختلاف خلقته وخلقه، فجزي خبراً وقياساً على ما كان
 ممنوعاً لإنسان فأثلفه إنسان، فعليه قيمته لمالكه. قال "الشافعي": فالحكم فيه بالقيمة
 يجتمع في أنه يُقَوِّمُ قيمةَ يومه وبلده، ويختلف في الأزمان والبلدان، حتى يكون الطائر
 ببلد ثمنَ درهمٍ، وفي البلد الآخر ثمنَ بعضِ درهم. ²⁰³

ويضيف الإمام الشافعي: "وأمرنا بإجازة شهادة العدل، وإذا شُرط علينا أن نقبل
 العدل ففيه دلالة على أن نردَّ ما خالفه. وليس للعدل علامة تفرِّق بينه وبين غير
 العدل في بدنه ولا لفظه، وإنما علامة صدقه بما يُختَبَر من حاله في نفسه. فإذا كان
 الأغلب من أمره ظاهر الخير: قُبِلَ، وإن كان فيه تقصير عن بعض أمره، لأنه لا
 يُعَرَى أحد رأيناه من الذنوب. وإذا خَلَطَ الذنوب والعمل الصالح، فليس فيه إلا الاجتهاد

²⁰³ الإمام الشافعي: "الرسالة"، ص 489 - 490.

على الأغلب من أمره، بالتمييز بين حسنه وقبيحه، وإذا كان هذا هكذا، فلا بد من أن يختلف المجتهدون فيه. وإذا ظهر حسنه فقبلنا شهادته، فجاء حاكم غيرنا، فعلم منه ظهور السيء كان عليه رده. وقد حكم الحاکمان في أمر واحد برّدٍ وقبولٍ، وهذا اختلاف، ولكن كلٌّ قد فعل ما عليه. أما فكيف الاجتهاد فإن الله جل ثناؤه منّ على العباد بعقول، فدلهم بها على الفرق بين المختلف، وهداهم السبيل إلى الحق نصاً ودلالةً. نصّب لهم البيت الحرام، وأمرهم بالتوجه إليه إذا رأوه، وتأخّيه إذا غابوا عنه، وخلق لهم سماء وأرضاً وشمساً وقمرًا ونجومًا وبحارًا وجبالاً ورياحاً. فقال: ﴿لَوْ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال: ﴿لَوْ عَلَّمَاتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، فأخبر أنهم يهتدون بالنجم والعلامات. فكانوا يعرفون بمنّه جهة البيت بمعونته لهم، وتوفيقه إياهم، بأن قد رآه من رآه منهم في مكانه، وأخبر من رآه منهم من لم يره، وأبصر ما يهتدى به إليه، من جبل يقصد قصده، أو نجم يؤتمّ به وشمال وجنوب، وشمس يعرف مَطْلِعُهَا ومَغْرِبُهَا، وأين تكون من المصلّى بالعشي، وبحورٍ كذلك. وكان عليهم تكلف الدلالات بما خلق لهم من العقول التي ركبها فيهم، ليقصدوا قصد التوجه للعين التي فرض عليهم استقبالها. فإذا طلبوها مجتهدين بعقولهم وعلمهم بالدلائل، بعد استعانة الله، والرغبة إليه في توفيقه، فقد أدّوا ما عليهم. وأبان لهم أن فرضه عليهم التوجّه شطر المسجد الحرام، والتوجه شطره لا إصابة البيت بكل حال. ولم يكن لهم إذا كان لا تُمكنهم الإحاطة في الصواب إمكان من عاين البيت: أن يقولوا نتوجه حيث رأينا بلا دلالة. 204

204 الإمام الشافعي: "الرسالة"، ص 493-501.



وبين الزركشي في " البحر المحيط في أصول الفقه " وَظَيْفَةَ الْمُجْتَهِدِ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ وَاقِعَةٌ أَنَّهُ حَقٌّ عَلَى الْمُجْتَهِدِ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ أَقْوَى الْحُجَجِ عِنْدَ اللَّهِ مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، لِأَنَّ الْحُجَّةَ كُلَّمَا قَوِيَتْ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الزَّلَلِ. وقال الشافعي في " الأُمِّ ": " وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنْ أَعْلَى " وَقَالَ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْعَزَلِيُّ فِي " الْمُنْخُولِ ": إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ فِيهِ فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى نُصُوصِ الْكِتَابِ، فَإِنْ أَعْوَزَهُ فَعَلَى الْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ ثُمَّ الْأَحَادِ، فَإِنْ أَعْوَزَهُ لَمْ يُخْضْ فِي الْقِيَاسِ، بَلْ يَلْتَقِثُ إِلَى ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدَ ظَاهِرًا نَظَرَ فِي الْمُخَصِّصَاتِ مِنْ قِيَاسٍ وَخَبَرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مُخَصِّصًا حَكَمَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعُثُرْ عَلَى ظَاهِرٍ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ نَظَرَ إِلَى الْمَذَاهِبِ، فَإِنْ وَجَدَهَا مُجْمَعًا عَلَيْهَا اتَّبَعَ الْإِجْمَاعَ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِجْمَاعًا خَاصَّ فِي الْقِيَاسِ. وَيُلَاحِظُ الْقَوَاعِدَ الْكُلِّيَّةَ أَوَّلًا، وَيَقْدِّمُهَا عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ، فَإِنْ عَدِمَ قَاعِدَةً كُلِّيَّةً نَظَرَ فِي النُّصُوصِ وَمَوَاقِعِ الْإِجْمَاعِ، فَإِنْ وَجَدَهَا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ أَلْحَقَ بِهِ، وَإِلَّا انْحَدَرَ إِلَى قِيَاسٍ مُخَيَّلٍ، فَإِنْ أَعْوَزَهُ تَمَسَّكَ بِالشَّبَهِ وَلَا يُعْوَلُ عَلَى طَرْدٍ. قَالَ الْعَزَلِيُّ: هَذَا تَدْرِيجُ النَّظَرِ عَلَى مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ، وَلَقَدْ أَحْرَرَ الْإِجْمَاعَ عَنِ ذَلِكَ الْأَخْبَارِ، وَذَلِكَ تَأْخِيرُ مَرْتَبَةٍ لَا تَأْخِيرُ عَمَلٍ، إِذِ الْعَمَلُ بِهِ مُقَدَّمٌ وَلَكِنَّ الْعَمَلَ بِهِ مُقَدَّمٌ فِي الْمَرْتَبَةِ، فَإِنَّهُ مُسْتَنَدٌ قَبُولِ الْإِجْمَاعِ. وَخَالَفَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّ نَظْرَهُ فِي الْإِجْمَاعِ يَكُونُ أَوَّلًا، إِذِ النُّصُوصُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مَنْسُوحَةً، وَلَا كَذَلِكَ الْإِجْمَاعُ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ الشَّافِعِيُّ النَّصَّ عَلَى الظَّاهِرِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا هُوَ. الْأَشْرَفُ، فَأَوَّلُ مَا يَطْلُبُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّصَّ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَالظَّاهِرَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِي مَنْطُوقِهَا وَلَا مَفْهُومِهَا رَجَعَ إِلَى أَعْمَالِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثُمَّ فِي تَقْرِيرِهِ بَعْضَ أُمَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ نَظَرَ فِي الْإِجْمَاعِ، ثُمَّ فِي الْقِيَاسِ إِنْ لَمْ يَجِدْ الْإِجْمَاعَ. وَسَكَتَ الشَّافِعِيُّ عَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آخِرَ الْمَرَاتِبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا الْحُكْمَ بِالْبِرَاءَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي فِي " التَّقْرِيبِ " ذَلِكَ كُلَّهُ. وَقَالَ فِي "

المُسْتَصْفَى " : يَجِبُ أَنْ يَرُدَّ نَظْرَهُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ وَفِي النَّفْيِ الْأَصْلِيِّ قَبْلَ وُرُودِ السَّمْعِ ،
ثُمَّ يَبْحَثُ عَنِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ الْمُعْتَبَرَةِ ، فَيَنْظُرُ فِي الْإِجْمَاعِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا فَفِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرِينَ ، وَهُمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ لِإِقَادَةِ الْقَطْعِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَحَدًا بِهِ وَإِلَّا نَظَرَ بَعْدُ
فِي عُمُومَاتِهَا وَظَوَاهِرِهَا ، فَإِنْ وَجَدَ وَإِلَّا نَظَرَ فِي مَخَصِّصَاتِ الْعُمُومِ مِنْ أَخْبَارِ الْأَحَادِ
وَالْأَقْيِسَةِ ، فَإِنْ عَارِضَ الْقِيَاسُ عُمُومًا ، أَوْ خَبَرَ وَاحِدٌ عُمُومًا وَعَدِمَ التَّرْجِيحَ تَوَقَّفَ عَلَى
رَأْيٍ ، وَتَخَيَّرَ عَلَى رَأْيٍ ، وَإِنْ تَعَارَضَ دَلِيلَانِ نَظَرَ فِي النَّسْخِ وَالتَّرْجِيحِ ، فَإِنْ عَدِمَهُمَا
جَاءَ الْخِلَافُ فِي التَّخْيِيرِ وَالْوَقْفِ . فَإِنْ عَدِمَ ، بَنَاهُ عَلَى حُكْمِ الْأَصْلِ فِي الْعُقْلِ ، وَهُوَ
نَفْيُ الْحُكْمِ عَلَى مَا هُوَ الْمُخْتَارُ . 205

وتكلم الخطيب البغدادي في أقوال المجتهدين ، وهَلِ الْحَقُّ فِي وَاحِدٍ أَوْ كُلِّ
مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ إِذَا اِخْتَلَفَ الْمُجْتَهِدُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي مَسْأَلَةٍ عَلَى قَوْلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، فَقَدْ
ذَكَرَ عَنِ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ وَالْحَقُّ مَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّ الْمُجْتَهِدِ ،
وَهُوَ ظَاهِرٌ مَذْهَبِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَذَكَرَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا:
مِثْلُ هَذَا ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْحَقَّ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأَقْوَالِ ، وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ ، وَقِيلَ: لَيْسَ
لِلشَّافِعِيِّ فِي ذَلِكَ إِلَّا قَوْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنَّ الْحَقَّ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَمَا
عَدَاهُ خَطَأٌ ، إِلَّا أَنَّ الْإِثْمَ مَوْضُوعٌ عَنِ الْمُخْطِئِ فِيهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ ،
قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَعْني: ابْنَ الْمُبَارَكِ عَنِ اخْتِلَافِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، كُلُّهُ صَوَابٌ؟ فَقَالَ: «الصَّوَابُ وَاحِدٌ ، وَالْخَطَأُ مَوْضُوعٌ عَنِ الْقَوْمِ ، أَرْجُو» قُلْتُ:
فَمَنْ أَحَدٌ يَقُولُ مِنَ الْأَقْوَالِ فَهُوَ أَيْضًا مَوْضُوعٌ عَنْهُ ، قَالَ: «نَعَمْ ، أَرْجُو إِلَّا أَنْ يَكُونَ

205 أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): "البحر المحيط في أصول الفقه"،

دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، 8 / 267 - 268.



رَجُلٌ اخْتَارَ قَوْلًا حَتْمًا ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ شَيْءٌ ، فَتَحَوَّلَ إِلَى غَيْرِهِ ، تَرَخُّصًا لِلشَّيْءِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ» وَحَكَى أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمُزْنِي: أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينٍ ، أَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ مَالِكٍ ، أَنَّهُ سُئِلَ ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَرَى لِمَنْ أَخَذَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ ثِقَةً ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعَةً؟ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ حَتَّى يُصِيبَ الْحَقُّ ، وَمَا الْحَقُّ إِلَّا وَاحِدٌ ، لَا يَكُونُ الْحَقُّ فِي قَوْلَيْنِ يَخْتَلِفَانِ .»²⁰⁶

ومن المسائل: هل يجوز للمجتهد أن يحكم في الحادثة وإن لم يحكم فيها قبله، وهل الأفضل به ذلك أو التوقف إذا وجد غيره اختلفوا، فيما حكاه عنهم ابن حامد فذهب طائفة منهم إلى أن التوقف أفضل مطلقاً وذهب بعضهم إلى أن ما كان من الفروع حكم فيه وما كان من الأصول توقف [فيه]، وذهب ابن حامد إلى أن الأفضل أن يحكم في الجميع مطلقاً وتعلق الأولون بقول أحمد في رواية الميموني إياك أن تتكلم بكلمة واحدة ليس لك فيها إمام، وتعلق الآخرون بغير ذلك وتعليل كل قول في تهذيب الأجوبة لابن حامد وقد صرح ابن عقيل والدينوري عن أحمد رواية أن كل مجتهد مصيب من دلالاته على استفتاء غيره. ويؤخذ ذلك أيضاً من قوله للذي صنف ما في الحديث من الاختلاف [والأحاديث] المتضادة وسماه كتاب الاختلاف قال لا تسمه كتاب الاختلاف ولكن سمه كتاب السعة، وروى خلال ذلك عن طلحة بن

²⁰⁶ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ): "الفقيه و المتفقه"،

المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ، 2 / 114

مصرف وقال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن لي باختلاف أصحاب محمد حمر
النعم وقد بسط ابن عقيل ذلك . 207

التقليد:

وناقش الجصاص القول في وجوب النظرِ وَدَمِ التَّقْلِيدِ، فبين اختلاف النَّاسِ فِي
وُجُوبِ النَّظَرِ وَإِثْبَاتِ حُجَجِ الْعُقُولِ. فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: النَّظَرُ وَاجِبٌ، وَحُجَجُ الْعُقُولِ
صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ، تُعْرَفُ بِهَا صِحَّةُ الْمَذَاهِبِ مِنْ فَاسِدِهَا. وَذَكَرَ قَوْلَ مَنْ سَمَاهُمْ (قَوْمٌ
مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْغَبَاوَةِ: لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِي تَصْحِيحِ شَيْءٍ وَلَا إِفْسَادِهِ، وَإِنَّمَا تُعْرَفُ
صِحَّةُ الْمَذَاهِبِ وَفَسَادُهَا مِنْ طَرِيقِ الْخَبَرِ. قَالَ الْجِصَّاصُ: وَالْقَائِلُونَ بِنَفْيِ حُجَجِ
الْعُقُولِ إِنَّمَا يَنْفُونَهَا بِالْقَوْلِ، فَأَمَّا اسْتِعْمَالُ الْعُقُولِ فِي إِثْبَاتِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي
نَفْيِهَا وَالْحِجَاجُ لَهَا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُونَ مِنْهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ صُورَتُهُ فِي عُقُولِ
سَائِرِ الْعُقَلَاءِ، إِلَّا أَنَّ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ غَامِضٌ
خَفِيٌّ. فَالْجَلِيُّ مِنْهُ: لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الشَّكُّ فِيهِ، وَلَا يُرَادُ شُبْهَةٌ عَلَيْهِ نَفْسِهِ فِي نَفْيِهِ. شَيْءٌ
مِنْ وَجْهِ النَّظَرِ. أَلَا تَرَى: أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْتَرِيهِ الشَّكُّ وَلَا تَعْرِضُ لَهُ شُبْهَةٌ: فِي أَنَّ الْقَوْلَيْنِ
الْمُتَضَادِّينِ لَا يَخْلُوانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا فَاسِدَيْنِ، أَوْ يَكُونَا أَحَدُهُمَا صَحِيحًا وَالْآخَرُ فَاسِدًا،
لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُ الْإِعْتِقَادُ لِصِحَّتَيْهِمَا جَمِيعًا، كَنَحْوِ قَوْلِ الْقَائِلِ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ (فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ). 208

207 آل تيمية: "المسودة في أصول الفقه"، ص 450.

208 الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 369 - 370.



وقد اختلفت الآراء في أن الأفعال هل يعرف حسنها وقبحها بالعقل، أم ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل؟ فإنهم اتفقوا على أن كون الفعل يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل، وهو أن يكون الفعل سبباً لما يحبه الفاعل ويلتذ به، وسبباً لما يبغضه ويؤذيه. وهذا القدر يعلم بالعقل تارة، وبالشرع أخرى، وبهما جميعاً أخرى، لكن معرفة ذلك على وجه التفصيل، ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة لا تعلم إلا بالشرع، فما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر، وأمرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم، كما أن ما أخبرت به الرسل من تفاصيل أسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم، وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك. وهذا التفصيل الذي يحصل به الإيمان، وجاء به الكتاب هو مما دل عليه قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } (الشورى: 52)، وقوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ } (الأنبياء: 45)، وقوله تعالى: { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } (سبأ: 50).²⁰⁹

وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا فِي الْعُقُولِ مِنْ نَفْيِ النَّقْلِيِّ وَإِثْبَاتِ (النَّظَرِ) ، بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالَ فَقَالَ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: 59]. وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} [الحشر: 2] ، وَالِاعْتِبَارُ هُوَ: النَّظَرُ وَالِاسْتِدْلَالُ. وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82] وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

²⁰⁹ ابن تيمية: " التدمرية " ، ص 216.

تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ { [الحج: 46]. وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمُحَاجَّةِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ حَتَّى بُهَتَ وَانْقَطَعَ، وَأَخْبَرَ عَنِ اسْتِدْلَالِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} [الأنعام: 76] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا} [الأنعام: 79] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الأنعام: 83]. وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُكْرَمُ مَنْ مَعِيَ وَنُكِرُ مَنْ قَبْلِي} [الأنبياء: 24] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَوْمٌ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 24].²¹⁰

ومن الأدلة الأخرى قول الله تعالى: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس: 78] {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 79] فَذَلَّهُمْ بِخَلْقِهَا ابْتِدَاءً، عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى إِعَادَتِهَا بَعْدَ إِفْنَائِهَا، وَقَالَ تَعَالَى: {لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ، مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] فَلَوْ كَانَ الدِّينُ بِالتَّقْلِيدِ لَبْطَلَ الإِعْتِبَارُ وَمَوَاضِعُ الفِكْرِ. وَاحْتَجَّ عَلَى أَصْحَابِ الطَّبَائِعِ بِقَوْلِهِ: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ} [الرعد: 4] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ} [الرعد: 4] فَأَدْحَضَ مَقَالَتَهُمْ، وَأَبَانَ عَن فَسَادِهَا بِأَنَّ هَذَا (لَوْ كَانَ) مِنْ طَبَعِ التُّرْبَةِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ - لَجَاءَتْ الطُّعُومُ مُتَسَاوِيَةً مُتَّفِقَةً، وَلَمْ يَتْرُكْ لِمُحِدٍ تَأْمَلُهُ شُبُهَةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125] وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَايِنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: 105] وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا

²¹⁰ الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 377.



أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ {سبأ: 46}
فَحَثَّهُمْ عَلَى النَّظَرِ، وَأَمَرَهُمْ بِالنَّفْكَرِ وَالتَّذَبُّرِ . 211

وَمَعْلُومٌ: أَنَّ الأَمْرَ بِالإِسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الأَجْسَامِ وَمَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ، لَمْ يَحْدُثْ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ دَلَائِلٌ لَمْ تَكُنْ، وَأَنَّ هَذِهِ الدَّلَائِلَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهَا قَبْلَ أَمْرِهِ إِيَّانَا بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالإِسْتِدْلَالِ بِهَا، فَعَلِمْنَا: أَنَّ اللهُ تَعَالَى حِينَ خَلَقَهَا فَقَدْ أَرَادَ مِنَ العُقَلَاءِ الإِسْتِدْلَالَ بِهَا. وَدَعَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَوَّلِ مَا بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَنْ قُبِضَ. وَأَمَرَهُمْ بِالإِسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ، قَدْ نَقَلْتُ الأُمَّةَ ذَلِكَ، خَلَقًا عَنْ سَلَفٍ، نَقْلًا مُتَوَاتِرًا مُتَّصِلًا، كَمَا نَقَلُوا دُعَاءَهُ إِيَّاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ. وَإِلَى تَصْدِيقِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَقَلُوا مَعَهُ دُعَاءَهُ إِيَّاهُمْ إِلَى الإِغْتِبَارِ وَالنَّظَرِ. فَمَنْ أَنْكَرَ حُجَجَ العُقُولِ وَدَلَائِلِهَا، فَإِنَّمَا يَرُدُّ عَلَى اللهِ تَعَالَى، أَوْ عَلَى رَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَرَ رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (لَنَا) بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ بِالنُّبُوَّةِ، لِأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرْنَا بِذَلِكَ، كَانَ أَمْرُهُ بِهِ مَقْرُونًا بِالأَمْرِ (بِالنَّظَرِ وَالإِسْتِدْلَالِ) عَلَى التَّوْحِيدِ، وَعَلَى تَصْدِيقِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

212

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى التَّقْلِيدَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَجَاءَتْ الأَنْبِيَاءُ تَدْعُو إِلَى تَرْكِ التَّقْلِيدِ، وَإِلَى النَّظَرِ فِي الحُجَجِ وَالدَّلَائِلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: 116] فَحَكَمَ بِضَلَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَرْجِعُوا فِي مَذَاهِبِهِمْ إِلَى حُجَّةٍ تُصَحِّحُهَا. وَذَمَّ

211 الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 378.

212 الجصاص: "الفصول في الأصول"، 1 / 379.

مَنْ اِحْتَجَّ بِالتَّقْلِيدِ فَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: 23]، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111]، وَجَعَلَ اللَّهُ تَارِكِي النَّظَرِ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ، وَبِمَنْزِلَةِ الصُّمِّ وَالْبُكْمِ. فَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الفرقان: 44] وَقَالَ تَعَالَى: {صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة: 171]، لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ النَّظَرِ فِي الدَّلَائِلِ، وَصَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَيْسَ فِي وَسْعِهِ ذَلِكَ، مِثْلُ الْبَهِيمَةِ، وَمَنْ لَمْ يَسْمَعْ. ²¹³

التقليد مأخوذ من القلادة التي يقلد غيره بها، ومنه: قلدت الهدى: فكان الحكم في تلك الحادثة قد جعل كالقلادة في عنق من قلده فيه. واختلفوا في حقيقته، هل هو قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله؟، أي من كتاب أو سنة أو قياس. أو قبول القول من غير حجة تظهر على قوله؟ وجزم الفقهاء في شرح التلخيص " بالأول، والشیخ أبو حامد في تعليقه " والأستاذ أبو منصور بالتأني، وعليه ابن الحاجب وغيره .

214

وذهب ابن حزم إلى إبطال التقليد أن اعتقاد الإنسان من أحد وجهين إما أن يكون اعتقده ببرهان صح عنده أو يكون اعتقده بغير برهان صح عنده، فإن كان اعتقده ببرهان صح عنده يخلو أيضاً من أحد وجهين، إما أن يكون اعتقده ببرهان حق صحيح في ذاته وإما أن يكون اعتقده بشيء يظن أنه برهان وليس ببرهان لكنه شغب وتمويه موضوع وضعا غير مستقيم إنما هو نص القرآن أو نص كلام صحيح النقل مسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو نتائج مأخوذة من مقدمات صحاح من هذين

²¹³ الجصاص: " الفصول في الأصول"، 1 / 379.

²¹⁴ الزركشي: " البحر المحيط في أصول الفقه"، 8 / 316.



الوجهين وأما القسم الثاني الذي هو شغب يظن أنه برهان وليس برهاناً فمن أنواعه القياس والأخذ بالمرسل والمقطوع والبلاغ وما رواه الضعفاء والمنسوخ والمخصص وكل قضية فاسدة قدمت بالوجه المموهة التي قد بينها في كتاب التقريب وأما ما اعتقده المرء بغير برهان صح عنده فإنه لا يخلو من أحد وجهين إما أن يكون اعتقده لشيء استحسنته بهواه وفي هذا القسم يقع الرأي والاستحسان ودعوى الإلهام وإما أن يكون اعتقده لأن بعض من دون النبي صلى الله عليه وسلم قال وهذا هو التقليد وهو مأخوذ من قلدت فلانا الأمر أي جعلته كالقلادة في عنقه وقد استحي قوم من أهل التقليد من فعلهم فيه وهم يقرون ببطلان المعنى الذي يقع عليه هذا الاسم فقالوا نقلد بل نتبع قال أبو محمد ولم يتخلصوا بهذا التمويه من قبيح فعلهم لأن الحرم إنما هو المعنى فليسموه بأي اسم شأؤوا فإنهم ما داموا آخذين بالقول لأن فلانا قاله دون النبي صلى الله عليه وسلم فهم عاصون لله تعالى لأنهم اتبعوا من لم يأمرهم الله تعالى باتباعه..²¹⁵

وعقد ابن عابدين مطلباً في حكم التقليد والرجوع عنه. مطلب في حكم التقليد والرجوع عنه. إن له التقليد بعد العمل كما إذا صلى ظاناً صحتها على مذهبه ثم تبين بطلانها في مذهبه وصحتها على مذهب غيره فله تقليده، ويجتزي بتلك الصلاة على ما قال في البزازية: إنه روي عن أبي يوسف أنه صلى الجمعة مغتسلاً من الحمام ثم أخبر بفأرة ميتة في بئر الحمام فقال نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة «إذا بلغ الماء

²¹⁵ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): "الإحكام في أصول الأحكام"، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، 6 / 59 - 61.

قلتین لم یحمل خبثًا». وإن الرجوع عن التقليد، كما صرح صرح بذلك المحقق ابن الهمام في تحريره، ومثله في أصول الأمدي وابن الحاجب وجمع الجوامع، وهو محمول كما قال ابن حجر والرملي في شرحيهما على المنهاج وابن قاسم في حاشيته على ما إذا بقي من آثار الفعل السابق أثر يؤدي إلى تليق العمل بشيء لا يقول به من المذهبين، كتقليد الشافعي في مسح بعض الرأس، ومالك في طهارة الكلب في صلاة واحدة، وذلك كما لو صلى ظهرًا بمسح ربع الرأس مقلدًا للحنفي فليس له إبطالها باعتقاد لزوم مسح الكل مقلدًا للمالكي. وأما لو صلى يومًا على مذهب وأراد أن يصلي يومًا آخر على غيره فلا يمنع منه، على أن في دعوى الاتفاق نظرًا، فقد حكى الخلاف، فيجوز اتباع القائل بالجواز كذا أفاده العلامة الشرنبلالي في العقد الفريد، ثم قال بعد ذكر فروع من أهل المذهب صريحة بالجواز وكلام طويل: فتحصل مما ذكرناه أنه ليس على الإنسان التزام مذهب معين، وأنه يجوز له العمل بما يخالف ما عمله على مذهبه مقلدًا فيه غير إمامه مستجمعًا شروطه ويعمل بأمرين متضادين في حادثتين لا تعلق لواحدة منهما بالأخرى، وليس له إبطال عين ما فعله بتقليد إمام آخر؛ لأن إضاء الفعل كإضاء القاضي لا ينقض .²¹⁶

وفي التحرير لابن الهمام مسألة لا يرجع فيما قلد فيه أي عمل به اتفاقًا، وهل يقلد غيره في غيره المختار نعم للقطع بأنهم كانوا يستفتون مرةً واحدةً ومرةً غيره غير ملتزمين مفتيًا واحدًا فلو التزم مذهبًا معينًا كأبي حنيفة والشافعي فهل يلزمه الاستمرار عليه فقيل نعم، وقيل لا وقيل كمن لم يلتزم إن عمل بحكم تقليدًا لا يرجع عنه وفي

²¹⁶ ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ): "رد المختار على الدر المختار" دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م، 1 / 73.



غيره له تقليد غيره، وهو الغالب على الظن لعدم ما يوجبه شرعاً، ويتخرج منه جواز اتباعه للرخص ولا يمنع منه مانع شرعي إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل بأن لم يكن عمل بآخر فيه، وقال الأصوليون أجمع: لا يصح الرجوع عن التقليد بعد العمل بالاتفاق، وهو المختار في المذهب وقال الإمام أبو الحسن الخطيب في كتاب الفتاوى والمفتي على مذهب إذا أفتى بكون الشيء كذا على مذهب إمام ليس له أن يقلد غيره ويفتي بخلافه؛ وقال أيضاً إنه بالتزامه مذهب إمام يكلف به ما لم يظهر له غيره، والمقلد لا يظهر له .²¹⁷

وللشيخ حسن الشرنبلالي رسالة سماها "العقد الفريد في جواز التقليد" وذكر فيها ما حاصله أن دعوى الاتفاق على عدم الرجوع فيما قلد فيه ذكرها الأمدي وابن الحاجب، وتبعهما في جمع الجوامع وغيره، وذكر مثله عن الزركشي العلامة ابن أمير الحاج والسيد بادشاه في شرحهما على التحرير أي فيجوز اتباع القائل بالجواز، وذكر العلامة ابن أبي شريف أن في كلام غيرهما ما يشعر بإثبات الخلاف بعد العمل فله التقليد بعده بقول غيره، وأيضاً القول بالمنع ليس على إطلاقه؛ لأنه محمول على ما إذا بقي من آثار الفعل السابق أثر يؤدي إلى تلفيق العمل بشيء مركب من مذهبين كتقليد الشافعي في مسح بعض تتحقق في حكم مسألة خاصة قلد فيه وعمل به، وإلا فقوله قلدت أبا حنيفة فيما أفتى به من المسائل والتزمت العمل به على الإجماع، وهو لا يعرف صورها ليس حقيقة التقليد بل هذا حقيقة تعليق التقليد، أو وعد به كأنه التزم أن يعمل بقول أبي حنيفة فيما يقع له من المسائل التي تتعين في الوقائع. والسؤال

²¹⁷ زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نعيم المصري (المتوفى: 970هـ): "البحر الرائق شرح كنز الدقائق"، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، وبالhashية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، 6 / 289.

إنما يتحقق عند طلب حكم الحادثة المعينة، وحينئذ إذا ثبت عنده قول المجتهد وجب عمله به، والغالب أن مثل هذا إلزامات منهم لكف الناس عن تتبع الرخص، وإلا أخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد. فإن أرادوا هذا الالتزام فلا دليل على وجوب اتباع المجتهد المعين بالترام نفسه ذلك قولاً أو نيةً شرعاً، بل دليل اقتضى العمل بقول المجتهد فيما احتاج إليه بقوله تعالى { اسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: 43] . 218

وفي الفقه المالكي، وسبب الخلاف في الاكتفاء بالتقليد وعدمه هو هل المعرفة واجبة على الكفاية أو على الأعيان فالمعرفة واجبة في الجملة بإجماع وهل على الكفاية بحملها من قام بها وغيره يكفيها التقليد أو هي واجبة على الأعيان فتجب المعرفة على كل واحد ولا يكفي التقليد في المسألة قولان وكل من يقول يقول ادعى الإجماع لنقض مادعاه مخالفةً وإلى ذلك أشار ابن زكري بقوله :

فصل وقد وجب بالإجماع

معرفة الله بلا نزاع

وفي وجوبها على الأعيان

أو الكفاية لهم قولان

لا يكفي الأول بالتقليد

²¹⁸ ابن نجيم المصري: " البحر الرائق في شرح كنز الدقائق"، 6 / 289 - 290.



ويكتفي الثاني بلا ترديد

كل حكي الإجماع في نقيض ما

قد ادعاه خصمه ملتزماً

وحكى غير واحدٍ عن جمهور العلماء ومحققهم أن التقليد لا يكفي في العقائد ولهذا قال ابن الحاجب في العقيدة المنسوبة له بعد قوله إن الإيمان هو التصديق وهو حديث النفس التابع للمعرفة على الأصح قال ولا يكفي التقليد في ذلك على الأصح اهـ وإلى القسم الأول من قسمي الجزم وهو الجزم المطابق عن دليل أشار الناظم بقوله أن يعرف الله والرسول إذ هو المسمى معرفة²¹⁹.

قال القاضي عبد الوهاب أحد أئمة المالكية في أول كتابه "المقدمات في أصول الفقه": "الحمد لله الذي شرع وكلف، وبين ووقف، وفرض وألزم، وأوجب وحتم، وحلّل وحرّم، وندب وأرشد، ووعد وأوعد ونهى وأمر، وأباح وحظر، وأعذر وأنذر، ونصب لنا الأدلة والأعلام على ما شرع لنا من أحكام، وفصل الحلال من الحرام، والقرب من الآثام، وحض على النظر فيها والتفكر والاعتبار والتدبر. فقال جل ثناؤه: فاعتبروا يا أولي الأبصار. وقال: أفلا يتدبرون القرآن. وقال: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. وقال: كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. وقال: ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. وقال: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا

²¹⁹ محمد بن أحمد ميارة المالكي: "الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)"،

المحقق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، سنة النشر: 1429هـ - 2008م، ص 31.

رجعوا إليهم. والتفقه من التفهم والتبين، ولا يكون ذلك إلا بالنظر في الأدلة واستيفاء الحجة دون التقليد فإنه لا يثمر علمًا ولا يفضي إلى معرفة. وقد جاء النص بزم من أخذ إلى تقليد الآباء والرؤساء، وأتباع السادة والكبراء، تاركًا بذلك ما أزمه من النظر والاستدلال، وفرض عليه من الاعتبار والاجتهاد. فقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} (البقرة: 170)، وقال: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ} (الزخرف: 22).²²⁰

في نظائر من الآيات، تنبيه بها على خطر التقليد بأن فيه نزع إتباع الأدلة والعدول عن الانقياد إلى قول من لا يعلم أنه فيما تقلد فيه مصيب أو مخطئ. فلا يأمن من التقليد لغيره كون ما يقلده فيه خطأ وجهلاً لأن صحة المذهب لا يتبين من فساده باعتقاد المعتقد له وشدة تمسكه به، وإنما يتميز صحيح المذاهب من فاسدها، وحققها من باطلها بالأدلة الكاشفة عن أحوالها والمميّزة بين أحكامها، وذلك معدوم في المقلد لأنه متبع لقول لا يعرف صحته من فساده. وإنما اعتقده لقول مقلده به " ²²¹

ويضيف القاضي عبد الوهاب: ولا يجوز أن يحض على النظر فيما لا يثمر علمًا، ومن اعتقاد ما يؤدي إليه. وإن لم يكن حقًا مع قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (الإسراء: 36)، وقوله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 169)، وقوله: {وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} (النساء: 171)، ومع ما ورد به القرآن

²²⁰ أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر النَّمِيمِي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ): "شرح التلقين"، المحقق:

سماحة الشيخ محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2008 م، 1 / 30.

²²¹ أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر النَّمِيمِي المازري المالكي: "شرح التلقين"، 1 / 30.



من الاستدلال على مدلولات والتببيه على تصحيح وإفساد مقالات، وذلك في القرآن كثير، يطول استيفاؤه، ومن الظاهر في ذلك المشهور ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من الاحتجاج والاستدل الذي مسائل الأحكام، ومناظرة بعضهم لبعض وذلك أشهر وأظهر من تكلف الإطالة بتقصيه. فبان بما أوردناه صحة النظر والاستدلال وثبوته طريقاً للعلم بالمنظور فيه، فإن زعم صاحب التقليد أنه يعرف أن صحة القول الذي قلد فيه، ويعلم أنه حق، وأن اعتقاده واجب فذلك باطل منه. لأن العلم بذلك لا يكون إلا بالنظر في الأدلة التي هي طريق العلم، وإذا عدل عنها علمنا بطلان دعواه العلم بصحة ما قلد فيه. فإن قال: علمت صحة القول الذي قلدت فيه بدليل وحجة، قلنا: فأنت غير مقلد لأنك عارف بصحة القول الذي تعتقده. والتقليد هو اتباع القول لأن قائلاً قال به من غير علم بصحته من فساد. إن القرآن قد حض على النظر والاعتبار في الآيات السابقة. ويؤكد القاضي عبد الوهاب أنه لا يسوغ لمن فيه فضل للنظر والاجتهاد، وقوة على الاستدلال والاعتبار أن يعتقد التفقه إلا من طريق الاستدلال الصحيح العاري من آفات النظر المانعة له من استعماله على واجبه وترتيبه في حقه. ²²²

وقد صرح القاضي بد الوهاب قد صرح بأنه يعتبر نفسه مجتهداً كما نقله عنه السيوطي: وادعى القاضي عبد الوهاب أحد أئمة المالكية الاجتهاد في كتابه "المقدمات". ونحن إذا تتبعنا شروط الاجتهاد من علم بالكتاب والسنة وجدنا القاضي في تقريره لأحكام القضايا مستنداً إلى هذين الأصلين. وهما يجريان مع أنفاسه العلمية ويسعفانه في النظر. وهو أصولي رتب المدارك ونقدها وبين طرق الاستدلال. ولعل أهم ما أعانه على الورود من منابع الشريعة مباشرة زيادة

²²² أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ): "شرح التلغين"، 1/ 30 - 31.

على سلامة فطرته وجودة قريحته، وصحبته لكتاب الله وأخذه عن شيوخ السنة المطهرة، هو حذقه للعربية وحسن إدراكه لإسرارها وتصرفه فيها تصرف المقدمين من الأدباء. وهذه النصوص من كلام القاضي عبد الوهاب تبرز ما أحس به في نفسه أنه سما عن التقليد، وأنه أخذ الأحكام من الأصول التي أخذ منها السابقون، وأنه رتب المدارك الترتيب الذي اطمأن إلى صحته، وأن التزامه لمذهب مالك لم يكن تقليدًا حمل عليه الإلتباع. وإنما كان توافقًا نتيجة الاستبصار والاختيار. وبهذا فإنه يعد فقيهاً مجتهدًا في مذهب مالك. رضي أصوله في النظر. ورتب المدارك حسب منهج مالك ثم فرع على ذلك.²²³

²²³ أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر النَّمِيمِي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ): "شرح التلقين"، 1/ 31.



الفصل الثالث

مفهوم الحقيقة 224

²²⁴ ينظر بحثنا في مدونتنا الخاصة (خزائن الحكمة)، بعنوان: " ما الحقيقة؟ إجابة في ضوء علم الحكمة الإسلامية"، بتاريخ 30 / 12 / 2014 م، وأجرينا عليه هنا تعديلات وإضافات،

المبحث الأول

الحقيقة

في ضوء الحكمة القرآنية والنبوية

الحقيقة في الكتاب:

وعد الله سبحانه من اتبع هداه بأنه لا يخاف ولا يحزن، فقال سبحانه: { فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 38).

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان في تفسير هذه الآية: { فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ } يعني رسولي وكتابي، { فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }²²⁵.

وقال ابن جرير الطبري: "وقوله: { فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ } ، يعني: فمن اتبع بياني الذي أتيته على ألسن رسلي، أو مع رسلي"²²⁶.

²²⁵ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 1423 هـ، 1/ 100.

²²⁶ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، 1/ 551.



وفرق بين من اتبع رضوانه ومن خالف طريقه فقال جل شأنه: { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) } [آل عمران: 162].

قال عبد الرزاق في تفسير هذه الآية: { أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ } : "من لم يغل"،
 { كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ } ، قال: "كمن غل".²²⁷

ولكنه قرن من ناحية أخرى بين من أسلم وجهه لله وبين من اتبع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال سبحانه: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) } [النساء: 125].

قال الإمام الطبري في تأويل هذه الآية: عن الضحاك قال: فضل الله الإسلام على كل دين فقال: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } إلى قوله: { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } ، وليس يقبل فيه عمل غير الإسلام، وهي الحنيفية. وقال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: واتخذ الله إبراهيم ولياً. فإن قال قائل: وما معنى "الخلّة" التي أعطيها إبراهيم؟ قيل: ذلك من إبراهيم عليه السلام: العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه، على ما يعرف من معاني "الخلّة". وأما من الله لإبراهيم، فنُصرتَه على من حاوله بسوءٍ، كالذي فعل به إذ أرادَه نمرود بما أرادَه به من الإحراق بالنار فأنقذه منها، أو على حجتَه عليه إذ حاجَّه، وكما فعل بملك مصر إذ أرادَه عن

²²⁷ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): "تفسير عبد الرزاق"، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة 1419هـ، 1/ 422.

أهله، وتمكينه مما أحب، وتصييره إماماً لمن بعده من عباده، وقدوة لمن خلفه في طاعته وعبادته. فذلك معنى مُحَالَّتِهِ إياه.²²⁸

وقال الشعراوي أن الله سبحانه اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً لأنه يتبع أفضل دين، ويسلم لله وجهه، وكان محسناً، واتبع الملة، وكان حنيفاً، هذا هو معنى الخُلَّة. وكلها كانت صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام.²²⁹

وقال سبحانه مبيناً عاقبة اتباع أمره فقال: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) } [المائدة: 16].

قال السمرقندي: يهدي الله سبحانه من طلب الحق إلى دين الإسلام وطريق الهدى.²³⁰

وقال الفخر الرازي: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك أن الفكر يتحير فيه صاحبه كما يتحير الإنسان في الظلام، ويهتدي بالإيمان إلى طريق الإيمان كما يهتدي بالنور. أما قوله بإذنه فيعني بتوفيقه، والباء تتعلق بالاتباع، أي من اتبع رضوانه بإذنه، فدل على أنه لا يتبع رضوان الله سبحانه إلا من أذن الله تعالى له.²³¹

²²⁸ الطبري: "جامع البيان"، 9/ 251.

²²⁹ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): "تفسير الشعراوي - الخواطر"، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات نشر، 5/ 2670.

²³⁰ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ): "تفسير بحر العلوم"، بدون بيانات نشر، 1/ 378.

²³¹ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 11/ 327.



وقال القرطبي: { سُبُلَ السَّلَامِ } : أي طرق السلامة الموصلة إلى دار السلام المنزهة عن كل آفة، والمؤمنة من كل مخافة، أي: الجنة.²³²

وقال ابن كثير: يخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والريبة والشك إلى نور الحق الواضح المبين، إنما وليهم الشياطين تزين لهم ضلالاتهم وجهلهم.²³³

وبين سبحانه عاقبة اتباع الهوى، فقال تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (176) } [الاعراف: 175-176].

قال مقاتل بن سليمان في تفسير معنى الكلب الوارد في الآية الكريمة: تطرده يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ فلا تحمل عليه شيء يَلْهَثُ إذا أصابه الحر. فهذا مثل غير المؤمن إن وعظته، فهو ضال، وإن تركته، فهو ضال أيضاً.²³⁴

وبين الفخر الرازي أن في هذه الآية مسائل، منها: المسألة الأولى: قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: نزلت هذه الآية في بلعم بن باعوراء، وذلك لأن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه، وغزا أهله وكانوا كفاراً، فطلبوا منه أن يدعو على

²³² أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ - 1964 م، 6/118.

²³³ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): " تفسير القرآن العظيم"، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م، 1/685.

²³⁴ تفسير مقاتل بن سليمان، 75/2، وقارن مع: أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): "تفسير عبد الرزاق"، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الطبعة الأولى، 1419هـ، 2/100.

موسى عليه السلام وقومه، وكان مجاب الدعوة، وعنده اسم الله الاعظم فامتتع منه، فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه. فقال: بدعاء بلعم. فقال: كما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، ثم دعا موسى عليه أن ينزع منه اسم الله الاعظم والإيمان، فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفة. فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، وهذا هو خبره. ويقال أيضاً: أنه كان نبياً من أنبياء الله، فلما دعا عليه موسى انتزع الله منه الإيمان وصار كافراً. وقال عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتاب، وعلم أن الله مرسلاً رسولاً في ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو، فلما أرسل الله محمداً عليه الصلاة والسلام حسده، ثم مات كافراً، ولم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم، يريد أن شعره كشعر المؤمنين، وذلك أنه يوحد الله في شعره، ويذكر دلائل توحيده من خلق السموات والأرض، وأحوال الآخرة، والجنة والنار. وقيل: نزلت في أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق الذي كان يترهب في الجاهلية، فلما جاء الإسلام خرج إلى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد ضرار، وأتى قيصر واستتجد به على النبي صلى الله عليه وسلم، فمات هناك طريداً وحيداً، وهو قول سعيد بن المسيب. وقيل: نزلت في منافقي أهل الكتاب، كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: هو عام فيمن عرض عليه الهدى فأعرض عنه، وهو قول قتادة، وأبي مسلم، وعكرمة.²³⁵

²³⁵ تفسير الفخر الرازي: 15 / 403.



وبين سبحانه أيضاً ببيان واضح ما الهوى في آيات واضحات بينات. فقال سبحانه: { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) } [المؤمنون: 71].

ونهى عن اتباع الغافل عن ذكره سبحانه، وهو من يتبع هواه، فقال تعالى: { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (28) } [الكهف: 28].

قال مجاهد: { فُرْطًا } يعني: "ضياًعاً".²³⁶ وقال مقاتل: "ضائعاً يوم القيامة".

237

وقال سبحانه: { فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) } [طه: 16].

وقال سبحانه: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ } [القصص: 50].

وقال سبحانه: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29) } [الروم: 29].

ووجه الباري خطابه إلى حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وسلامه عليه بأن لا يتبع أهواء الظالمين، فقال سبحانه: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) } [البقرة: 145].

²³⁶ تفسير مجاهد، ص 447.

²³⁷ تفسير مقاتل، 2/ 583.

وقال سبحانه: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) } [البقرة : 120].

وقال جل من قائل: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) } [الرعد : 37].

وألقى الباري السلام على من اتبع الهدى، فقال جل شأنه: { قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) } [طه: 47].

ووعده سبحانه بأن من اتبع الهدى فلا يضل ولا يشقى، فقال تعالى: { فَأَمَّا يَا تِئْتِيَكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) } [طه: 123].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب".²³⁸

قال يحيى بن سلام في تفسير هذه الآية: "{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ } : يعني: رسلي وكتبي"، {فَلَا يَضِلُّ}: في الدنيا، {وَلَا يَشْقَى}: في الآخرة".²³⁹

وقال ابن جرير الطبري: "الهدى: الأنبياء والرسل والبيان".²⁴⁰

²³⁸ أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ): تفسير مجاهد، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410 هـ - 1989 م، ص 467، وأنظر: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): "تفسير عبد الرزاق"، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة 1419هـ، 2/ 379.

²³⁹ يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالوفاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ): "تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1425 هـ - 2004 م، 1/ 285-286.

²⁴⁰ الطبري: "جامع البيان"، 1/ 549.



وأمر الله نبيه بأن يبين أنه يتبع ما يوحي إليه من ربه، فقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي } [الاعراف: 203]. وقال سبحانه: { قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) } [يونس: 15]، وقال تعالى: { إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (9) } [الأحقاف: 9]. وقال تعالى: { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) } [الاحزاب: 2].

وأمرنا الله سبحانه أن نؤمن به وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159) } [الاعراف: 157 - 158].

إن الخلاصة في الطريق الذي جاء به القرآن الكريم، وهو جماع طريق الأنبياء، كما وضّح ابن تيمية رحمه الله هو (العلم والعمل)، أي أن يعلم الإنسان شرع الله سبحانه ويطبقه على الوجه الصحيح. وشرح ابن تيمية ذلك في "التفسير الكبير"، قال: قال الله تعالى لموسى وهارون: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) } [طه: 44]، وقال في السورة نفسها: { كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) } إلى قوله: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ

الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) { [طه: 99 - 113]. ويقول ابن تيمية في تفسير هذه الآيات الكريمة: فنذكر من كل واحدة من الرسالتين العظيمنتين رسالة موسى ورسالة محمد صلى الله عليهما وسلم أن ذلك لأجل التذكر أو الخشية ولم يقل ليتذكر ويخشى، ولا قال: ليتقون ويحدث لهم ذكراً، بل جعل المطلوب أحد الأمرين، وهذا مطابق لقوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) } [النحل: 125]. ويعزو ابن تيمية هذه الآيات بأن ذلك يرجع إلى تحقيق قوله تعالى: { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) } [الفاتحة: 7]، وقوله سبحانه: { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) } [العصر: 3]، وقوله تعالى: { أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) } [ص: 45]، وقوله: { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) } [البقرة: 5]، وقوله تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) } [القمر: 47]، وقوله سبحانه: { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) } [طه: 123 - 124].

وتلخيص ما تقدم: "وسبب ذلك أن الخير إما بمعرفة الحق واتباعه وفي العلم والعمل جميعاً صلاح القول والعمل: العلم والإرادة، وأصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له ما لم يحصل معارض مانع، فالعلم بالحق يوجب اتباعه إلا لمعارض راجح، مثل اتباع الهوى بالاستكبار ونحوه، كحال الذين قال الله فيهم: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا



وَكَاثُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) { [الأعراف: 146]، وقال: { وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ } [النمل: 14]، وقال: { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) } [الأنعام: 33]، ولهذا قال: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ مَخْلُوفٍ فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ { [ص: 26] . " 241

ونحو ذلك. فإن أصل الفطرة التي فطر الله الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق اتبعته وأحبتة. إذ الحق نوعان: حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه، وضد ذلك الجهل والكذب. وحق مقصود وهو النافع للإنسان، فالواجب إرادته والعمل به، وضد ذلك إرادة الباطل واتباعه. ومن المعلوم أن الله سبحانه خلق في النفوس محبة الصدق دون الكذب، ومحبة العلم دون الجهل، ومحبة النافع دون الضار، وعند الاقبال على كل ما هو ضد الخير فبسبب عارض دخل إلى القلب من الكبر والهوى والحسد وغير ذلك، فإذا خلى القلب من هذه الأمراض أقبل على ما ينفعه من العمل الصالح، فكل واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع، سبب للآخر. وذلك سبب لصالح حال الإنسان وضدهما سبب لضعف ذلك، فإذا ضعف العلم غلب الهوى على الإنسان، وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم للغالب، وإذا كان الأمر كذلك فصالح الإنسان إنما هو في الإيمان والعمل الصالح. ولذلك فصالح بين آدم هو في الإيمان والعمل الصالح.²⁴²

²⁴¹ ابن تيمية (ت): "التفسير الكبير"، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون

تاريخ، 5 / 193 - 194.

²⁴² نفسه، 5 / 195 - 196.

الحقيقة في السنة النبوية:

أما عن السنة، فقد أمرنا الله سبحانه باتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
قال تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: 7].

وعن زيد بن وهب: سمعت حذيفة يقول: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال، ونزل القرآن فقرأوا القرآن، وعلموا
من السنة".²⁴³

وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمة يدخلون
الجنة إلا من أباي". قالوا: يا رسول الله، ومن أباي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة،
ومن عصاني فقد أباي".²⁴⁴

وعن جابر بن عبد الله: قال: جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن
لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين
نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً،
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار
ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يققها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم:
إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه

²⁴³ صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث (7276)، ص 1000.

²⁴⁴ نفسه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث (7280)، ص 1000.



وسلم، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس.²⁴⁵

وعن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثله رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إنني رأيت الجيش بعيني، وإنني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلكم مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق".²⁴⁶

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".²⁴⁷

وعن ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله! إنا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر. فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام. فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا. قال: "أمركم بأربع. وأنهاكم عن أربع. الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال) شهادة أن لا إله إلا

²⁴⁵ نفسه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث (7281)، ص 1000.

²⁴⁶ نفسه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث (7283)، ص 1000.

²⁴⁷ نفسه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث (7288)، ص 1001.

الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وأن تؤدوا خمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدباء. والحنتم. والنقير. والمقير".²⁴⁸

وعن المقدم بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قرآه.²⁴⁹

²⁴⁸ الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 216 هـ): "صحيح مسلم"، ط1، دار المغني، 1419 هـ - 1998 م، السعودية، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه، حديث (23)، ص 28.

²⁴⁹ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ): سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث (4604)، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون تاريخ، ص 504.



المبحث الثاني

الحقيقة

من خلال حكمة الصحابة والعلماء المسلمين

الحقيقة عند الصحابة:

1- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

عن أبي سعيد الخدري، قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله"، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبك، إن آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر" ²⁵⁰

²⁵⁰ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ، 100/1.

وعن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: " لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، طرفي النهار: بكرة وعشية، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بگاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ".²⁵¹

وعن عائشة، قالت: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه»، فكان يصلي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فخرج، فإذا أبو بكر يؤم الناس، فخرَجَ، فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه: «أن كما أنت»، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر".²⁵²

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال: أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا».²⁵³

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنها:

²⁵¹ صحيح البخاري، 102/1.

²⁵² صحيح البخاري، 137 / 1.

²⁵³ نفسه، 17 / 2.



كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله".²⁵⁴

وعن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا»؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». ²⁵⁵

2- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأعمال بالنية، ولكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». ²⁵⁶

وعن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج، فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: "أبوك حذافة"، ثم أكثر أن يقول:

²⁵⁴ نفسه، 2 / 105.

²⁵⁵ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975 م، 4 / 540.

²⁵⁶ صحيح البخاري، 1 / 20.

«سلوني» فبرك عمر على ركبته فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فسكت. 257

وعن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة: 125] وآية الحجاب، فقلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } فنزلت هذه الآية". 258

وعن السائب بن يزيد، قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأنتي بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالوا: من أهل الطائف، قال: " لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم". 259

وعن عبدة، أن عمر بن الخطاب، كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك". 260

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال سمعت عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله

257 نفسه، 30/1.

258 نفسه، 89 / 1.

259 نفسه، 101 / 1.

260 مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ، 1 / 299.



صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهاته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يارسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله، اقرأ"، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت"، ثم قال لي: "اقرأ"، فقرأت، فقال: "هكذا أنزلت"، إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه".²⁶¹

وعن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء: ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى" قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: "هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس" وقرأ الآية { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (62) [يونس: 62].²⁶²

3- عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عطاء بن يزيد، أخبره أن حمران مولى عثمان أخبره أنه رأى عثمان بن عفان دعا بإناء، فأفرغ على كفيه ثلاث مرار، فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء، فمضمض، واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه

²⁶¹ صحيح مسلم، 1 / 560.

²⁶² أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ، 3 / 288.

وسلم: "من توضعاً نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه".²⁶³

وعن عبيد الله الخولاني، أنه سمع عثمان بن عفان، يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " من بنى مسجداً - قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله - بنى الله له مثله في الجنة ".²⁶⁴

وعن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفر رومة فله الجنة؟" فحفرتها، أستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة"؟ فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال.²⁶⁵

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنما تغيب عثمان عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لك أجر ممن شهد بدرًا وسهمه".²⁶⁶

وعن ابن شهاب، عن أنس، أن عثمان، دعا زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال

²⁶³ صحيح البخاري، 1 / 43.

²⁶⁴ نفسه، 1 / 97.

²⁶⁵ نفسه، 4 / 13.

²⁶⁶ نفسه، 4 / 88.



عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه، وإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك".²⁶⁷

4- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عائشة، لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه، استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي، فَأَذِنَ لَهُ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.²⁶⁸

وعن سهل بن سعد، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: "أين ابن عمك؟" قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يَقُلْ عندي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: "انظر أين هو؟" فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه، ويقول: "قم أبا تراب، قم أبا تراب".²⁶⁹

وعن مطرف بن عبد الله، قال: صليت خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا وعمران بن حصين، "فكان إذا سجد كَبَّرَ، وإذا رفع رأسه كَبَّرَ، وإذا نهض من الركعتين كَبَّرَ"، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين، فقال: قد نكّرتي هذا

²⁶⁷ نفسه، 4 / 180.

²⁶⁸ صحيح البخاري، 1 / 50.

²⁶⁹ نفسه، 1 / 96.

صلاة محمد صلى الله عليه وسلم – أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم.²⁷⁰

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: يوم خيبر: "لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه"، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: "أين علي؟"، فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حُمُرِ النَّعَمِ".²⁷¹

وعن البراء رضي الله عنه، قال: لما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: "أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله"، ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "امح رسول الله"، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً، إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً، فقالوا: قل لصاحبك: اخرج علينا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعته ابنة حمزة، تنادي يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها، وقال لزهراء

²⁷⁰ نفسه، 1 / 157.

²⁷¹ صحيح البخاري، 4 / 47.



عليها السلام: دونك ابنة عمك حملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابن أخي. ففضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: "الخالة بمنزلة الأم". وقال لعلي: "أنت مني وأنا منك"، وقال لجعفر: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا"، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: "إنها ابنة أخي من الرضاعة".²⁷²

الحقيقة عند العلماء المسلمين:

جاء في وصية الإمام الشافعي، كما ينقل البيهقي، قال:

باب ذكر وصية الشافعي، رضي الله عنه وأرضاه:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد: محمد بن موسى؛ قالوا: حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب، قال: أخبرنا الربيع بن سليمان قال: قرئ على محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله، وأنا حاضر: هذا الكتاب كتبه محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، في شعبان سنة ثلاث ومائتين: وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَالَمَ خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وكفى به، جل ثناؤه، شهيداً، ثُمَّ مَنْ سَمِعَهُ: أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَزَلْ يَدِينُ بِذَلِكَ، وَبِهِ يَدِينُ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَبْعَثَهُ [عَلَيْهِ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّهُ يُوصِي نَفْسَهُ وَجَمَاعَةً مَنْ سَمِعَ وَصِيَّتَهُ: بِإِخْلَالِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي كِتَابِهِ [ثُمَّ] عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ، قَمَ فِي السَّنَةِ وَلَا

²⁷² صحيح البخاري، 5 / 141.

يجاوزون من ذلك إلى غيره؛ فإن مُجَاوَزَتَهُ تَرْكُ فَرَضِ اللَّهِ، وترك ما خالف الكتاب والسنة وهما من المحدثات ²⁷³

والمحافظة على أداء فرائض الله في القول والعمل، والكفِّ عن مَحَارِمِهِ خَوْفَ اللَّهِ عز وجل، وكثرة ذكر الوقوف بين يدي ربه {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} وأن ينزل الدنيا حيثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عز وجل؛ فَإِنَّهُ لم يجعلها دار [مقام، إلا مقام مدة عاجلة الانقطاع، وإنما جعلها دار] عمل وجعل الآخرة دار قرارٍ وجزاءٍ بما عمل في الدنيا من خير أو شر، إن لم يعف جل ثناؤه، وأن لا يُخَالَ أَحَدًا إِلَّا أَحَدًا خَالَهُ اللَّهُ ممن يعقل الخَلَّةَ لله تبارك وتعالى، ويرجى منه إفادة علم في دين وحسن أدب في دنيا، وأن يعرف المرء زمانه، ويرغب إلى الله تعالى في الخلاص من شرِّ نفسه فيه، ويمسك عن الإسراف (بقول أو فعل في أمرٍ لا يلزمه، وأن يُخْلِصَ النِّيَّةَ لله فيما قال وعمل؛ فَإِنَّ (اللهَ يَكْفِي مِمَّا سِوَاهُ، ولا يكفي منه شيء غيره. وَأَوْصَى متى حَدَّثَ به حَدَّثَ الموتِ الذي كتَبَ اللهُ عز وجل على خلقه، الذي أسأل الله العَوْنَ عليه وعلى ما بَعْدَهُ، وكفاية كلِّ هَوْلٍ دُونَ الجَنَّةِ برحمته.

ولم يغير وصيَّته هذه. ²⁷⁴

فذكر الوصيَّةَ في أمور مماليكه وأولاده وصدقته وغيرها وقال في آخرها:

ومحمد بن إدريس يسأل الله القادر على ما يشاء أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وأن يرحمه؛ فإنه فقير إلى رحمته، وأن يُجِيرَهُ من النار؛ فإنه غني عن عذابه،

²⁷³ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ): "مناقب الشافعي للبيهقي"، المحقق: السيد أحمد صقر،

مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1390 هـ - 1970 م، 2 / 288.

²⁷⁴ مناقب الشافعي للبيهقي، 2 / 289.



وَأَنْ يَخْلُقَهُ فِي جَمِيعِ مَا خَلَفَ بِأَفْضَلِ مَا خَلَفَ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَكْفِيهِمْ فَقْدَهُ، وَيَجْبُرَ مَصِيبَتَهُمْ [مِنْ] بَعْدِهِ، وَأَنْ يَقِيَهُمْ مَعَاصِيَهُ وَإِتْيَانِ مَا يَقْبَحُ بِهِمْ، وَالْحَاجَةَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بِقُدْرَتِهِ" ²⁷⁵

وجاء في وصية الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله:
قال أبو الفضل وأوصى وصيته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
وأوصى من أطاعه من أهله وقربته أن يعبدوا الله في العابدين ويحمدوه في الحامدين وأن ينصحوا لجماعة المسلمين.
وأوصى أنني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً.

وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحو من خمسين ديناراً وهو مصدق فيما قال فيقضى ماله علي من غلة الدار إن شاء الله فإذا استوفى أعطى ولدي صالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل كل ذكر وأنتى عشرة دراهم بعد وفاء ما علي لابن محمد.

شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل . ²⁷⁶

قال عليه الصلاة والسلام : «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» فالواجب أن المحمود والمشكور في الحقيقة هو الله تعالى؛ لأن صدور الإحسان من [قلب] العبد

²⁷⁵ مناقب الشافعي للبيهقي، 2 / 290.

²⁷⁶ صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل (المتوفى: 265هـ): "الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة - الاسكندرية، الطبعة: الثانية، 1404هـ، ص 109.

يتوقف على حصول داعية الإحسان في قلب العبد، وحصول تلك الداعية في القلب ليس من العبد، وإلا لافتقر في حصولها إلى داعية أخرى، ولزم التسلسل، بل حصولها ليس إلا من الله تعالى، فتلك الداعية عند حصولها يجب الفعل، وعند زوالها يمتنع الفعل فيكون المحسن في الحقيقة ليس إلا الله تبارك وتعالى، فيكون المستحق لكل حمد في الحقيقة هو الله تعالى. إن جميع أقسام الحمد والثناء والتعظيم ليس إلا لله تبارك وتعالى، فإن قيل: إن شكر المنعم واجب مثل شكر الأستاذ على تعليمه، وشكر السلطان على عدله، وشكر المحسن على إحسانه، وأيضاً فإن إحسان العبد إلى الغير لا يكمل إلا بواسطة إحسان الله تعالى؛ لأنه لولا أن الله - تعالى - خلق أنواع النعم، وإلا لم يقدر الإنسان على إيصال تلك الحنطة والفواكه إلى الغير، فظهر أنه لا محسن في الحقيقة إلا الله تعالى، ولا مستحق للحمد في الحقيقة إلا الله، فلهذا قال: «الحمد لله». ²⁷⁷

وناقش العلماء مسألة (الحقيقة والمجاز)، وذكر القاسمي أن استعمال لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدالة، فإنّ هذا كلّه قد يقع في كلام المتأخرين. لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم: كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو: كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء ... ونحوهم. ولكن المشهور أنّ الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ. وبكلّ حال، فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة . وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز، أبو عبيدة

²⁷⁷ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ): " اللباب في علوم الكتاب"، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 8 / 6.



معمر بن المثنى في كتابه. ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى، بمجاز الآية، بما يعبر به عن الآية. ولهذا، قال: من قال من الأصوليين كأبي الحسين البصري وأمثاله: إنه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق: منها نص أهل اللغة على ذلك، بأن يقولوا: هذا حقيقة وهذا مجاز - فقد تكلم بلا علم. فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا. ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها. وإنما هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين. فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف. وهذا الشافعي هو أول من جرّد الكلام في أصول الفقه، ولم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز. وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة، والمجاز.²⁷⁸

وكذلك سائر الأئمة لم يذكروا أنه يوجد في لفظ المجاز في كلام أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل، فإنه قال في كتاب «الردّ على الجهمية» في قوله: إنا، ونحن، ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللغة. يقول الرجل: إنا سنعطيك، إنا سنفعل، فذكر أن هذا من مجاز اللغة. وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال: إن في القرآن مجازاً: كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي الخطاب، وغيرهم. وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز: كأبي الحسن الجزري، وأبي عبد الله بن حامد، وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي. وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز، محمد بن جرير مندار وغيره من المالكية، ومنع منه داود بن علي، وابنه أبو بكر، ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفاً. وحكى بعض الناس عن

²⁷⁸ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق:

محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 1 / 136.

أحمد- في ذلك- روايتين. وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد: إنَّ في القرآن مجازاً- لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة .²⁷⁹

واعلم أن أهل الغفلة يشاهدون الآثار لكنهم غافلون عن الحقيقة فهم كأنهم لا بصر لهم بل غير الحق تمنعهم من الرؤية الصحيحة لكونهم أغياراً غير لائقين بالدخول في المجلس الخاص. وفي التأويلات النجمية: " إعلم أن كل شيء ترى فيه آية من الله تعالى فهو في الحقيقة رسول من الله إليك ومعه آية بينة ومعجزة ظاهرة يدعوك بها الى الله . ثم إن كثيراً من الذين شاهدوا الآيات وتحققوا البيئات بعد رؤية الآيات في الأرض لمسرفون أي في أرض البشرية مجاوزون حد الشريعة والطريقة بمخالفة أوامر الله ونواهيه" انتهى .²⁸⁰

" إذا أنعم الله تعالى عليك بواسطة عبد من عباده في نفع لك أو دفع عنك، أوجب عليك شكره، والمنعم في الحقيقة هو الله تعالى، قال الله تعالى: { وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل: 53] فوجب عليه الشكر لله تعالى فيما أنعم به عليك، ووجب عليك شكر من جعله سبباً لنعمة النفع والدفع، كالشكر لله تعالى، أوله رؤية النعمة بالقلب من الله تعالى. قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله: الشكر انكشاف الغطاء عن القلب لشهود النعمة، والكثير انكشاف الشفتين عن الأسنان لوجود الفرج، فالشكر رؤية القلب النعمة من الله تعالى، والثناء عليه

²⁷⁹ القاسمي: " محاسن التأويل"، 1 / 136.

²⁸⁰ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"،

دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 2 / 385



باللسان، والطاعة له بالأركان، ثم الاعتراف برؤية التقصير عن بلوغ شكره؛ لأن الشكر نعمة منه يجب الشكر عليها" ...²⁸¹

يذكر البيهقي أن الإنسان لو صح أن يحدث شيئاً فيما يصح أن يحدث لم يكن بعض ما يصح أن يحدث بأن يكون محدثه بأولى من بعض كما أن الله سبحانه وتعالى، لما صح أن يحدث لم يكن بعض ما يصح أن يحدث بأن يصح منه، إحدائه بأولى من بعض ولأن الإنسان محدث، والمحدث لا يصح أن يحدث كما أن الحركة لا يصح أن تتحرك، فدل أن قاصداً قصد إيقاعه قبيحاً لأنه يستحيل أن يقع كذلك من غير فاعل فعله، على ما هو به وكذلك الإيمان يقع متعباً مؤلماً، ولو قصد المؤمن أن يقع على خلاف هذا الوجه لم يتأت منه ذلك دل على أنه وقع كذلك لقصد موقع أوقعه كذلك غير الذي لو جهد لخلافه أن يقع لم يقع، ولأننا نجد الإنسان غير عالم بحقائق أفعاله كلها، وكمياتها وعدد أجزائها، ولا يجوز أن يكون مخترعاً لها وهو لا يحيط بها علماً إذا لو ساغ ذلك لم ينكر أن يكون سائر المخترعين كذلك، وأن يكون كذلك حكمة الباري في اختراعه، ولا يدخل عليه الكسب لأن الكسب هو اختراع عالم بحقائقه من جميع وجوهه، جعله كسباً لنا ونحن مكتسبون له غير مخترعين له.²⁸²

²⁸¹ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): " الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م، ص 170.

²⁸² أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 1 / 363 - 365.

ويعتقد البيهقي أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله عز وجل كما أنه لا خالق إلا هو، والإنسان مكتسب على الحقيقة غير فاعل ولا محدث العين عن العدم " وكان الشيخ الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان يقول: " فعل القادر القديم خلق وفعل القادر المحدث كسب فتعالى القديم عن الكسب، وجل وصغر المحدث عن الخلق وذل " " فإن قيل: أفنقولون هو مقدر لقادرين؟ قيل: نعم أحدهما يخلقه ويخترعه، ويخرجه عن العدم، وهو الله سبحانه وتعالى، والثاني يكتسبه، ولا يخلقه وهو العبد، والخلق ما تعلق به قدرة حادثة، فالقدرة الأزلية تؤثر في الاختراع، والقدرة الحادثة تؤثر في الاكتساب، فإن قالوا: فإذا كان الله تعالى خلق أعماله كلها أعمالاً له فكيف يثيبه ويعاقبه، قيل ليس الثواب من الله عز وجل إلا بتفضل عليه، وأما العقاب فهو لو ابتلاه في العذاب كان له أن يفعله لأنه ملكه وفي قبضته، وليس الكفر علة العقاب، ولا الإيمان علة الثواب إنما هما أمارتان جعلتا علمين لهما. يقول الله سبحانه: { وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ } أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ { [الملك: 14] وظاهر هذا أنه خلق الأسرار والجهر اللذين يكتسبان بالقلب، وأنه عليم بهما وكيف لا يعلم وهو خلقهما، فدل على أن الخلق يقتضي علم الخالق بالخلق من كل الوجوه، ولأن الدلالة قد قامت أن كل مقدر فالله قادر عليه لقيام الدلالة على أن القدرة من صفات ذاته كالعلم، فوجب أن يقدر كل مقدر كما يعلم كل معلوم، وإذا كان كذلك فوجب أن يكون إذا وجد وهو مقدر أن يكون مراداً له، وأن يكون فعله كما إذا وجد مقدر الإنسان مراداً له ألم يكن فعله. ²⁸³

ويعتقد ابن قيم الجوزية أن أهل الحق " يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيتته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا

²⁸³ البيهقي: " شعب الإيمان"، 1 / 365 - 366.



هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه فلا يتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة إذا قالها غيرهم على المجاز إذ العالم علويه وسفليه وكل حي يفعل فعلاً فإن فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك إلى فعل ومن فعل إلى ترك ومن فعل إلى فعل وذلك كله بالله تعالى لا بالعبد...".²⁸⁴

والحقيقة والمجاز من أوصاف اللفظ لا من أوصاف المعاني، ولهذا قالوا الحقيقة لفظ استعمل وكذا والمجاز لفظ استعمل في كذا. وإنما الخلاف في أن الخلفية في التكلم بأن صار التكلم بلفظ المجاز خلفاً عن التكلم بلفظ الحقيقة ثم يثبت الحكم بناءً على صحته بطريق الاستبداد لا خلفاً عن حكم الحقيقة. أو في الحكم بأن تعذر حكم الحقيقة بعراض فصير إلى المجاز لإثبات لازم الحقيقة خلفاً عن الحقيقة في إثبات حكمها احترازاً عن إلغاء الكلام، فقال أبو حنيفة - رحمه الله - المجاز خلف عن الحقيقة في التكلم وقالوا هو خلف عنها في الحكم. ويتضح ذلك في قوله للشجاع هذا أسد فعندهما هو خلف في إثبات الشجاعة عن قوله هذا أسد في محل الحقيقة لإثبات الهيكل المخصوص. وما قرع سمعك أن حكم المجاز خلف عن حكم الحقيقة عندهما فالمراد منه ما ذكرنا؛ لأن الخلفية بين المجاز والحقيقة اللذين هما من أوصاف اللفظ بالاتفاق لا بين شجاعة الشجاع والهيكل المعلوم. وفي مسألة أن يكون

²⁸⁴ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "شفاء العليل في مسائل

القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م، ص 52

(المجاز خلف عن الحقيقة في التكلم) فلا خلاف في أن المجاز خلف عن الحقيقة بدليل أنه لا يثبت إلا عند فوات معنى الحقيقة وتعذر العمل به، ولهذا يحتاج المجاز إلى القرينة والحقيقة لا تحتاج إليها. وإنه لا بد لثبوت الخلف من تصور الأصل؛ لأن الخلف من الإضافات فلا يتحقق بدون الأصل كالابن مع الأب. وإن المصير إلى المجاز لا يجوز إلا عند تعذر الحقيقة كما أن المصير إلى الخلف لا يجوز إلا عند فوات الأصل، ولهذا لا يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز. ²⁸⁵

ليس تعريف الاستغراق والعهد الذهني من فروع تعريف الحقيقة إذ لو كان من فروعها لم تكن الإشارة بها إلى المراد باللفظ على الإطلاق، إذ المراد به قد يكون نفس الحقيقة وقد يكون نفس الحقيقة من حيث تحققها في ضمن الأفراد كلاً أو بعضاً على ما سبق ولم يكن تابعا لتلك الخصوصيات، بل كان تابعا لنفس الحقيقة لكون الإشارة في الكل إلى نفس الحقيقة على ذلك التقدير، فإن معنى تبعيتها للخصوصيات أن يكون تعين كل خصوصية منها باعتبار كونها إشارة إلى خصوصية المراد ولا أن اللام ليست إلا لتعريف الحقيقة وباقي الأقسام من فروعها، (بل المعرف ليس إلا المراد بالاسم) سواء استعمل فيه حقيقة أو مجازاً (وليست الماهية مرادة دائماً، وكونها جزء المراد لا يوجب أنها المراد الذي هو متعلق الأحكام في التركيب) وهو الملتفت بالذات، والجزء إنما يقصد ضمناً بالتبع، أشار بقوله دائماً في سياق النفي إلى أنها قد تراد في بعض الاستعمالات مجازاً للخصم، ثم نفى كونها مرادة بالكلية بقوله (على أنها) أي

²⁸⁵ عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ): "الأسرار شرح أصول البيهقي"،

دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ، 2 / 77.



الماهية (لم ترد) من حيث كونها (جزءاً) من المسمى لتكون اللام إشارة إلى الحقيقة من حيث هي...²⁸⁶

إذ التحقيق أن المسمى إنما هي الحقيقة المقيدة بالوحدة المطلقة كما سيشير إليه (بل) إنما أريدت عند كون اللام للحقيقة على أنها كل) أي تمام ما وضع له اللفظ (فإنها إنما أريدت) عند ذلك (مقيدة بما يمنع الاشتراك، وهو) التعيين المطلق، ومنعه الاشتراك باعتبار ما صدق عليه وذلك: أي المقيدة بما يمنع الاشتراك (نفس الفرد، وهو) أي الفرد (المراد بالتعريف) المشار إليه بأدلتها (والاسم) أي وأيضاً هو المراد بالاسم المدخول للام (والمجموع) من الماهية والقيود (غير أحدهما) فلا يكون المراد بالتعريف والاسم الماهية من حيث هي فحاصل هذا التحقيق رد قولهم في لام الحقيقة إنها إشارة إلى الماهية من حيث هي، فإن الإشارة في الرجل خير من المرأة إلى الماهية المقيدة بالتعيين المطلق، لا الماهية من حيث هي، والماهية من حيث هي من الاعتبارات العقلية لا توصف بالخيرية....²⁸⁷

"الحقيقة فعلية من الحق بمعنى الثابت أو المثبت نقل إلى العقد المطابق ثم إلى القول المطابق ثم إلى اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية".²⁸⁸

²⁸⁶ محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (المتوفى: 972 هـ): "التحرير"، مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932 م)، وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403 هـ - 1983 م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م)، 1/ 218.

²⁸⁷ محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي: "التحرير"، 1/ 218.

²⁸⁸ تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب: "الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة 785هـ))"، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416 هـ - 1995 م، 1/ 271.

أقسام الحقيقة: والحقيقة إما شرعية بأن وضعها الشارع كالصلاة للعبادة المخصوصة. إما لغوية بأن وضعها أهل اللغة كالأسد للحيوان المفترس. وإما عرفية بأن وضعها أهل العرف العام كالدابة لذات الأربع كالحمار، وهي لغة لكل ما يدب على الأرض، أو الخاص كالفاعل للاسم المرفوع .²⁸⁹

أما شهود الحقيقة فالحقيقة حقيقتان: حقيقة كونية، وحقيقة دينية، يجمعهما حقيقة ثالثة، وهي مصدرهما ومنشؤهما، وغايتهما. وأكثر أرباب السلوك من المتأخرين: إنما يريدون بالحقيقة الحقيقية الكونية. وشهودها هو شهود تفرد الرب بالفعل. وأن ما سواه محل جريان أحكامه وأفعاله. فهو كالحفير الذي هو محل لجريان الماء حسب. وعندهم أن شهود هذه الحقيقة والفناء فيها غاية السالكين. ومنهم من يشهد حقيقة الأزلية والدوام، وفناء الحادثات وطبها في ضمن بساط الأزلية والأبدية، وتلاشيها في ذلك. فيشهدها معدومةً، ويشهد تفرد موجدتها بالوجود الحق بالحق، وأن وجود ما سواه رسوم وظلال. فالأول: شهد تفرده بالأفعال. وهذا شهد تفرد بالوجود. وصاحب الحقيقة الدينية في طور آخر. فإنه في مشهد الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والفرق بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يبغضه ويسخطه. فهو في مقام الفرق الثاني الذي لا يحصل للعبد درجة الإسلام - فضلاً عن مقام الإحسان - إلا به. فالمعرض عنه صفحاً لا نصيب له في الإسلام ألبتة، وهو كالذي كان الجني

²⁸⁹ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: 864هـ): "شرح الورقات في أصول الفقه"، قدّم له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة، جامعة القدس، فلسطين، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، ص 100



يوصي به أصحابه، فيقول: عليكم بالفرق الثاني. وإنما سمي ثانيًا لأن الفرق الأول: فرق بالطبع والنفس. وهذا فرق بالأمر.²⁹⁰

الحقائق التي أشار إليها على لسان أهل السلوك ثلاث: "حقيقة إيمانية نبوية"، وهي حقيقة العبودية التي هي كمال الحب وكمال الذل، وسير أهل الاستقامة إنما هو إلى هذه الحقيقة ومنازل السير التي ينزلون فيها هي منازل الإيمان الموصلة إليها والمنحرفون لا يرضون بهذه الحقيقة ولا يقفون معها ويرونها منزلة من منازل العامة.

الحقيقة الثانية: "حقيقة كونية قدرية" يشاهدون فيها انفراد الرب [تعالى] بالتكوين والإيجاد وحده، وأن العالم كالميت يقلبه ويصرفه كيف يشاء، وهم يعظمون هذا المشهد ويروون الفناء فيه غاية ما بعدها شيء.

والحقيقة الثالثة: "حقيقة اتحادية" بل واحدة لا يفرق فيها بين الرب والعبد، ولا بين القديم والمحدث، ولا بين صانع ومصنوع، بل الأمر كله واحد، والأمر المخلوق هو عين الأمر الخالق.

وهذه الحقيقة التي يشير إلى عينها طائفة الاتحادية، ويعدون من لم يكن من أهلها محجوباً، وهذه حقيقة كفرية اتحادية تعالى الله عما يقول الكاذبون المفترون علواً كبيراً.

فعليك بالفرق بين السائرين إلى هذه الحقيقة، والسائرين إلى عين الحقيقة الكونية الحكمية، والسائرين إلى عين الحقيقة المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التي هي حقيقة جميع الأنبياء والمرسلين، وفيها تفاوتت مراتب السالكين ومنازلهم من القرب من رب العالمين.²⁹¹

²⁹⁰ ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 2 / 109.

²⁹¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "طريق الهجرتين وباب السعادتين"، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ، ص 348.

ويجب على المخلصين الذي يريدون أن يربطوا بين القرآن لما فيه من معجزات قرآنية مع معجزات الكون أن يمتلكوا اليقظة فلا يربطوا آيات القرآن إلا بالحقائق العلمية، وهناك فرق بين النظرية وبين الحقيقة؛ فالنظرية افتراضية وقد تخيب. لذلك ولا تربطوا القرآن إلا بالحقائق العلمية التي أثبتت التجارب صدقها. لا يوجد ما يمنع استنباط ما يتفق في القضية الكونية مع القضية القرآنية بصدق، ولكن لنحبس شهوتنا في أن نربط القرآن بكل أحداث الكون حتى لا نتهافت فنجعل من تفسيرنا لآية من آيات القرآن دليلاً على تصديق نظرية قائمة، وقد نجد من بعد ذلك من يثبت خطأ النظرية. وقائل القرآن هو خالق الكون، لذلك لا تتناقض الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية؛ لذلك لا تحدد أنت الحقيقة القرآنية وتحصرها في شيء وهي غير محصورة فيه. وتنبه جيداً إلى أن تكون الحقيقة القرآنية حقيقة قرآنية صافية، وكذلك الحقيقة الكونية.²⁹²

²⁹² محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): "تفسير الشعراوي - الخواطر"، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات أخرى، 7 / 3933.



الباب الثالث

لماذا علم الحكمة الإسلامية

في العمل الموصل إلى الصراط المستقيم

الفصل الأول
العمل الصالح
في علم الحكمة الإسلامية



المبحث الأول

مفهوم العمل الصالح

العمل الصالح: هو ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ [من] واجبٍ

ومستحبٍ. 293

الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَرْفُوعٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } [فَاطِرٍ: 10]، لَكِنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ إِلَّا بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ يَصْعَدُ بِنَفْسِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [فَاطِرٍ: 10] وَهُوَ يَرْفَعُ الْعَمَلَ فَالْعَمَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ لَا يَقْبَلُ، وَلِهَذَا قَدِمَ الْإِيمَانَ عَلَى الْعَمَلِ، وَهَاهُنَا لَطِيفَةٌ، وَهِيَ أَنَّ أَعْمَالَ الْمُكَلَّفِ ثَلَاثَةٌ عَمَلٌ قَلْبِهِ وَهُوَ فِكْرُهُ وَاعْتِقَادُهُ وَتَضَدِّيقُهُ، وَعَمَلٌ لِسَانِهِ وَهُوَ نِكْرُهُ وَشَهَادَتُهُ، وَعَمَلٌ جَوَارِحِهِ وَهُوَ طَاعَتُهُ وَعِبَادَتُهُ . فَالْعِبَادَةُ الْبَدَنِيَّةُ لَا تَرْتَفِعُ بِنَفْسِهَا وَإِنَّمَا تَرْتَفِعُ بِغَيْرِهَا، وَالْقَوْلُ الصَّادِقُ يَرْتَفِعُ بِنَفْسِهِ كَمَا بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَهُوَ الْفِكْرُ يَنْزِلُ إِلَيْهِ. النَّيَّةُ شَرْطٌ فِي الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَهِيَ قَصْدُ الْإِيْقَاعِ لِلَّهِ، وَيَنْدَرِجُ فِيهَا النَّيَّةُ فِي الصَّوْمِ خِلَافًا لِزُفْرِ، وَفِي الْوُضُوءِ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. الصَّالِحُ بَاقٍ لِأَنَّ الصَّالِحَ فِي مُقَابَلَةِ الْفَاسِدِ وَالْفَاسِدُ هُوَ الْهَالِكُ التَّالِفُ، يُقَالُ فَسَدَتِ الزُّرُوعُ إِذَا هَلَكَتْ أَوْ خَرَجَتْ عَنْ دَرَجَةِ الْإِنْتِفَاعِ وَيُقَالُ هِيَ بَعْدُ صَالِحَةٌ أَيُّ بَاقِيَةٌ عَلَى مَا يَنْبَغِي. إِذَا عَلِمَ هَذَا فَتَقُولُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا يَبْقَى بِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ عَرَضٌ، وَلَا يَبْقَى بِالْعَامِلِ أَيْضًا لِأَنَّهُ هَالِكٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ }

²⁹³ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "النبوات"، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، 1 / 416.

فَبَقَاؤُهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِشَيْءٍ بَاقٍ، لَكِنَّ الْبَاقِيَ هُوَ وَجْهُ اللَّهِ لِقَوْلِهِ: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } [الْقَصَصِ: 88] فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ لَوَجْهِ اللَّهِ حَتَّى يَبْقَى فَيَكُونَ صَالِحًا، وَمَا لَا يَكُونُ لَوَجْهِهِ لَا يَبْقَى لَا بِنَفْسِهِ وَلَا بِالْعَمَلِ وَلَا بِالْمَعْمُولِ لَهُ فَلَا يَكُونُ صَالِحًا، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي أَتَى بِهِ الْمُكَلَّفُ مُخْلِصًا لِلَّهِ. ²⁹⁴

وقد استثنى الله تعالى الصابرين، وذكر في أوصافهم العمل الصالح (وعملوا الصالحات)، أي عملوا كل شيء فيه صلاح أنفسهم وجماعتهم، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم، وإن اقتران العمل الصالح بالصبر، يدل اقتران العمل الصالح بالصبر على أن العمل الصالح يحتاج إلى تحمل بعض المشاق، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والذئبي نفسي بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن ". ويدل: على أن العمل الصالح يقتضي صبرا على الاستمرار فلا بد أن يكون مستمرا دائما، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : " أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل "، كما أنه قال: " إن الله يحب الدائمة في الأعمال "، وقد بين سبحانه وتعالى جزاء الصابرين العاملين فقال: { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (هود: 11)، الإشارة إلى أن الجزاء مغفرة، إذ إن الله يستر ما لهم من أعمال غير مقبولة بغفرانه، لأن الصبر والعمل الصالح يستتران بذاتهما العمل غير الصالح بأمر الله تعالى: { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ }، وبعد هذه

²⁹⁴ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى:

606هـ): " الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، 30 / 25.



المغفرة الساترة يكون الأجر الكبير الذي هو عظيم في ذاته وبلغ قدرا لا يدرك كنهه إلا الله معطيه. 295

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةُ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ذِكْرُ اللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ أَدَاءُ فَرَائِضِهِ، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يُؤَدِّ فَرَائِضَهُ رُدَّ كَلَامُهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، فَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا يَرْفَعُهُ الْعَمَلُ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، أَي يَرْفَعُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ، فَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ يَرْفَعُهُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَأَكْثَرَ الْمُفَسِّرِينَ . 296

والثاني والأول مجاز، ولكنه سائغ جائز. قال النحاس: القول الأول أولاها وأصحها لعلو من قال به، وأنه في العربية أولى، لأن القراء على رفع العمل. ولو كان المعنى: والعمل الصالح يرفعه الله، أو العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، لكان الاختيار نصف العمل. ولا نعلم أحدا قرأه منصوبا إلا شيئا روي عن عيسى، بن عمر أنه قال: قرأه أناس "والعمل الصالح يرفعه الله". وقيل: والعمل الصالح يرفع صاحبه، وهو الذي أراد العزة وعلم أنها تطلب من الله تعالى، ذكره القشيري. هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله. والكناية في "يرفعه" ترجع إلى الكلم الطيب. وهذا قول ابن عباس وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية

²⁹⁵ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ): "زهرة التفسير"، دار الفكر العربي، بدون بيانات أخرى، 7 / 3675 .

²⁹⁶ محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ): " التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ، 3 / 690 .

والضحاك. وعلى أن "الكلم الطيب" هو التوحيد، فهو الرافع للعمل الصالح، لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد. أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، فالكناية تعود على العمل الصالح. وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال: "الكلم الطيب" القرآن" والعمل الصالح يرفعه" القرآن. وقيل: تعود على الله جل وعز، أي أن العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب، لأن العمل بتحقيق الكلم، والعامل أكثر تبعًا من القائل، وهذا هو حقيقة الكلام، لأن الله هو الرافع الخافض .²⁹⁷

إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا فإنه قال تبارك وتعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ } (فاطر: 10)، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }، قال: لا يقبل قول إلا بعمل، وأخرج عبد بن حميد والبيهقي عن الحسن رضي الله عنه قال: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتخلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، من قال حسنا وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك لأن الله قال: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }، وقال الحسن: بالعمل قبل الله وأخرج ابن المبارك عن قتادة رضي الله عنه { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }، قال: يرفع الله العمل لصاحبه .²⁹⁸

²⁹⁷ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، 14 / 331.

²⁹⁸ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 10 / 7.



وعن ابن مسعود في الآية قال: " إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله سبحانه إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمنهن تحت جناحه، ثم يصعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفر لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، قال: أداء الفرائض فمن ذكر الله في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله، وكان عمله أولى به ". أخرج الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه وغيرهم. وقيل: العمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي أراد العزة، وقال قتادة: المعنى أن الله يرفع العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون قوله والعمل الصالح مبتدأ وخبره يرفع، وكذا على قول من قال يرفع صاحبه، قرأ الجمهور يصعد من صعد الثلاثي، والكلم بالرفع على الفاعلية، وقرأ علي وابن مسعود يصعد بضم حرف المضارعة من أصد، والكلم بالنصب على المفعولية، وقرأ الضحاك على البناء للمفعول وقرأ الجمهور الكلم وقرأ أبو عبد الرحمن الكلام وقرأوا العمل بالرفع على العطف أو على الابتداء وقرأ ابن أبي عبله وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال.

²⁹⁹ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، 11 / 228.

{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاة إلى ما أمر به. ³⁰⁰

قال الضحاك بن مزاحم: «العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله، فإذا كان كلام طيب وعمل سيئ رد القول على العمل»، وقال قتادة: { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } [فاطر: 10] قال: يرفع الله العمل الصالح لصاحبه. ³⁰¹

باب قول الله تعالى: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } [المعارج: 4]، وقوله جل ذكره: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [فاطر: 10] وقال أبو جمرة، عن ابن عباس، بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء وقال مجاهد: «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» يقال: { مَنِ اللّٰهُ ذِي الْمَعَارِجِ } [المعارج: 3]: «الملائكة تعرج إلى الله». ³⁰²

إن العمل الصالح يتقدم الفعل ، الشيء يكون بعده فيكفر العمل الصالح الذنوب تكون بعد العمل الصالح ، لا كما يتوهم من خالفنا في تقديم كفارة اليمين قبل الحنث ، وزعم أنه غير جائز أن يتقدم المرء عملاً صالحاً يكفر ذنباً يكون بعده . ³⁰³

³⁰⁰ الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 20 / 444.

³⁰¹ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ): " شرح السنة"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، 14 / 351.

³⁰² البخاري: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 9 / 126.

³⁰³ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): "صحيح ابن خزيمة"، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، بدون تاريخ، 3 / 287.



إن المؤمن في عمل ونيته عند فراغه لعمل ثان ولأن النية بانفرادها توصل إلى ما لا يوصله العمل بانفراده، ولأنها هي التي تقلب العمل الصالح فاسداً والفاقد صالحاً مثاباً عليه ويثاب على العمل ويعاقب عليها أضعاف ما يعاقب عليه فكانت أبلغ وأنفع. وقيل: إذا فسدت النية وقعت البلية. ومن الناس من تكون نيته وهمته أجل من الدنيا وما عليها وآخر نيته وهمته من أخس نية وهمة فالنية تبلغ بصاحبها في الخير والشر ما لا يبلغه عمله، فأين نية من طلب العلم وعلمه ليصلي الله عليه وملائكته وتستغفر له دواب البر وحيتان البحر إلى نية من طلبه لمأكل أو وظيفة كتدريس وسبحان الله كم بين من يريد بعلمه وجه الله والنظر إليه وسماع كلامه وتسليمه علمه في جنة عدن وبين من يطلب حظاً خسيساً كتدريس أو غيره من العرض الفاني. والنية نهوض القلب إلى الله وبدوها خاطر ثم المشيئة ثم الإرادة ثم النهوض ثم اللجوء إلى الله تعالى مرتحلاً بعقله وعمله وذنه وهمته وعزمه فمن هنا تتم النية ومنه يخرج إلى الأركان فيظهر على الجوارح فعله وإذا صح العزم خرج الرياء والفخر والخيلاء من جميع أعماله وبلغ مقام الأقوياء وأما غير الكامل فصدره مرج من المروج ملتف فيه من النبات ما إذا تخطى فيه لا يكاد يستبين موضع قدمه أن يضعه من كثرة النفاق فهذا صدر فيه أشغال النفس وفنونها ووساوس شهواتها. وإنما يستتير قلب مجرد أزهري في صدره فسح قد شرحه الله للإسلام فهو على نور من ربه رطب بذكر الله ورحمته وصلب بآلاء الله والناس في هذه النية على طبقات أمانية العامة فارتحالهم إلى الله بهذا العلم والعقل والذهن والهمة والعزم .³⁰⁴

³⁰⁴ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356هـ،

ولذلك فإن الإخلاص أهم أساس في العمل الصالح، وبدونه لا يكون العمل الصالح صالحاً بل يكون طالحاً ووبالاً على صاحبه.

ولابد في العمل الصالح من الإخلاص، أي إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، وهو رأس العمل الصالح وأساسه. وبدونه لا يكون العمل الصالح صالحاً بل يكون طالحاً ووبالاً على صاحبه.

وقد عقد الإمام النووي في كتابه: "بستان العارفين" فصلاً عن الإخلاص، وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، قال الله تعالى: { وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (البينة: 5)، وقال تعالى: { وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } (النساء: 71). وقال تعالى: { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ } (الإسراء: 25). وقال تعالى: { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } (الحج: 37). قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "معناه ولكن يناله النيات منكم"، وقال إبراهيم: " التقوى ما يراد به وجهه"، وقال الإمام أبو الحسن الواحدي، قال: الزجاج: "المعنى لن يتقبل الله الدماء واللحوم وإذا كانت من غير تقوى الله تعالى وإنما يتقبل منكم ما ستتقونه به وهذا دليل على أن شيئاً من العبادات لا يصح إلا بالنية وهو أن ينوي به التقرب إلى الله تعالى وأداء ما أمر به". وعن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصَيِّبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"، هذا حديث متفق على صحته مجمع على عظم موقعه وجلالته وهو أحد قواعد الإيمان وأول دعائمه وأشد الأركان وهو حديث



فرد غريب باعتبار مشهور باعتبار آخر ومداره على يحيى بن سعيد الأنصاري: قال الحافظ لا يصح هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا عن عمر إلا من جهة علقمة ولا عن علقمة إلا من جهة إبراهيم بن محمد التيمي ولا عن محمد إلا من جهة يحيى بن سعيد وعن يحيى انتشرت روايته عن أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة ورواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في صحيحه في سبعة مواضع فرواه في أول كتابه في الإيمان ثم في النكاح ثم في العتق ثم في الهجرة ثم في ترك الحيل ثم في النذر .³⁰⁵

والنية أحد أقسام كسبه وهي أرجحها لأنها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين لأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية. واستحب العلماء رضي الله تعالى عنه عنهم أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث وممن ابتدأ به في أول كتابه الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله في أول حديثه في صحيحه الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى. ويبين الإمام النووي أن في هذا الحديث اشتراط النية في الوضوء وغيره والغسل والتيمم والصلاة والزكاة والصوم والاعتكاف والحج وغيرها، قال أماننا أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه. وقال أيضا يدخل في هذا الحديث ثلثي العلم. وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يدخل فيه ثلث العلم وكذا ذكره أيضاً غيرهما قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أول كتابه مختصر السنن معنى قول الشافعي رضي الله تعالى عنه يدخل فيه ثلث العلم أن كسب العبد إنما يكون بقلبه ولسانه ونياته. وروينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله

³⁰⁵ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "بستان العارفين"، دار الريان للتراث، بدون

بيانات أخرى، ص 12 - 13.

قال: " لو صنفت كتاباً بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث". وروي عنه أيضاً قال: "من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ به". وروي النووي عنه أيضاً، قال: " من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث". وروي عن الإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي رحمه الله في أول كتابه: " الإعلام في شرح صحيح البخاري" قال: " كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الأعمال بالنية أمام كل شيء ينشأ ويبدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها".³⁰⁶

ويبين النووي أن الاخلاص فقال الله تعالى: { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } الآية. وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سر من أسراري أودعته قلب من أحب من عبادي"، وروي عن الأستاذ الامام أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى قال: " الإخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من التصنع لمخلوق واكتساب محمداً عند الناس أو منحة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى". قال: " ويصح أن يقال الاخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص". وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى، قال: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق"، وعن حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى، قال: " الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن". وعن السيد الجليل فضيل بن عياض رحمه الله تعالى، قال: " ترك العمل أجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما". وعن السيد الجليل أبي محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى،

³⁰⁶ النووي: " بستان العارفين"، ص 13.



أنه سئل: " أي شيء أشد على النفس؟ قال: إخلاص لأنه شيء ليس لها فيه نصيب". وروى عن السيد الجليل ذي النون رضي الله تعالى عنه قال: "ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال واقتضاء ثواب العمل في الآخرة". وروى عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى، قال: " الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق والتبقي عن مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له". وروى عن أبي يعقوب السوسي رضي الله تعالى عنه، قال: " متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص " . 307

وقال السري رحمه الله : " لا تعمل للناس شيئاً ولا تترك لهم شيئاً ولا تعط لهم شيئاً ولا تكشف لهم شيئاً ". وأما الصدق فقال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (التوبة: 119)، وروى عن الأستاذ القشيري رحمه الله، قال: "الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه"، قال: " وأقل الصدق استواء السر والعلانية". وروى عن سهل رحمه الله تعالى، قال: " لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره". وروى عن ذي النون قال: " الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه". وروى النووي عن السيد الجليل الإمام التابعي مكحول رضي الله تعالى عنه، قال: " ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". وعن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى، قال: " أعز شيء في الدنيا الإخلاص". وعن أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى، قال: " إخلاص العوام ما لا يكون للنفس فيه حظ وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا تقع لهم عليها رؤية ولا لهم عليها اعتداد". وروى عن سهل التستري، قال: "

³⁰⁷ النووي: " بستان العارفين"، ص 26 - 27.

من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم يظهر له فإنه عدم الصدق في زهده"، فقيل لسهل: كيف تظهر له الكرامات؟ قال يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء. قال سهل التستري رحمه الله: " نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا." ³⁰⁸

وروى النووي عن السيد أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه، قال: " الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة"، قال النووي: " معناه أن الصادق يدور مع الحق كيف كان فإذا رأى الفضل الشرعي في أمر عمل به وإن خالف ما كان عليه عادته وإذا عرض أهم منه في الشرع ولا يمكن الجمع بينهما انتقل إلى الأفضل ولا يزال هكذا وربما كان في اليوم الواحد على مائة حال أو ألف وأكثر على حسب تمكنه في المعارف وظهور الدقائق له واللطائف وأما المرائي فيلزم حالة واحدة بحيث لو عرض له مهم يرجحه الشرع عليه في بعض الأحوال لم يأت بهذا المهم بل يحافظ على حالته لأنه يرائي بعبادته وحاله المخلوقين فيخاف من التغير ذهاب محبتهم إياه فيحافظ على بقائها والصادق يريد بعبادته وجه الله تعالى فحيث رجع الشرع حالا صار إليه ولا يعرج على المخلوقين. والمرائي، وهو الذي لا يريد بعمله وجه الله تعالى لو عرض له مهم يرجحه الشرع عليه في بعض الأحوال لم يأت بهذا المهم بل يحافظ على حالته لأنه يرائي بعبادته وحاله المخلوقين فيخاف من التغير ذهاب محبتهم إياه فيحافظ على بقائها والصادق يريد بعبادته وجه الله تعالى فحيث رجع الشرع حالا صار إليه ولا يعرج على المخلوقين ". ³⁰⁹

³⁰⁸ النووي: " بستان العارفين"، ص 27 - 28.

³⁰⁹ النووي: " بستان العارفين"، ص 28 .



وروى النووي عن السيد الإمام العارف الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى، قال: "الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله فإن كراهته دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من إخلاص الصديقين. وقيل إذا طلبت من الله تعالى الصدق أعطاك مرآة تبصر فيها ك شيء من عجائب الدنيا والآخرة .³¹⁰

وفي الأمر بالإخلاص وحسن النيات في جميع الأعمال الظاهرات والخفيات. قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة: 5] وقال تعالى: { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج: 37] قال ابن عباس رضي الله عنهما: "معناه ولكن يناله النيات". عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". هذا حديث صحيح متفق على صحته، مجمع على عظم موقعه وجلالته، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وكان السلف وتابعوهم من الخلف رحمهم الله يستحبون استفتاح المصنفات بهذا الحديث، تنبيهاً للمطالع على حسن النية، واهتمامه بذلك والإعتناء به. روي عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى: "من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث." وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: "كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث (الأعمال بالنية) أمام كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها". وبلغنا عن ابن عباس رضي الله عنهما

³¹⁰ النووي: "بستان العارفين"، ص 28 - 29.

أنه قال: "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته. وقال غيره: إنما يُعطى الناس على قدر نياتهم." 311

العمل الصالح سبب لدخول الجنة والله قدر لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح كما قدر دخول النار لمن يدخلها بعمله السيء كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب ونذع العمل، قال: لا، إعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسره لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسره لعمل أهل الشقاوة"، وقال: "إن الله خلق للجنة أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون وخلق للنار أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون." 312

فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، فالعمل الصالح لا بد أن يراد به وجه الله تعالى؛ فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده: كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو كله للذي أشرك». كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "أخلصه وأصوبه، وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق،

³¹¹ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "الأذكار"، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414 هـ - 1994 م، ص 6 - 7.

³¹² تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "جامع الرسائل"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م، 1 / 164.



وهو حقه على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ولا بد مع ذلك أن يكون العمل صالحاً، وهو ما أمر الله به ورسوله؛ وهو الطاعة، فكل طاعة عمل صالح، وكل عمل صالح طاعة، وهو العمل المشروع المسنون؛ إذ المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، وهو العمل الصالح، وهو الحسن، وهو البر وهو الخير؛ وضده المعصية والعمل الفاسد، والسيئة، والفجور، والظلم.³¹³

فما أمر به العبد من عمل فيه تعب أو امتناع عن شهوة هو من الأسباب التي تتال بها السعادة. والمقدر المكتوب هو السعادة والعمل الذي به ينال السعادة وإذا ترك العبد ما أمر به متكللاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدر الذي يصير به شقياً وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا أكل ولا أشرب. فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل وإلا لم يحصل... وكذلك من غلط فترك الدعاء أو ترك الإستعانة والتوكل ظاناً أن ذلك من مقامات الخاصة ناظرًا إلى القدر فكل هؤلاء جاهلون ضالون؛ ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان". هذا العمل الصالح يجلب السعادة كما يعلم سائر الأسباب والمسببات كما يعلم أن هذا يأكل السم فيموت وأن هذا يأكل الطعام فيشبع ويشرب الشراب فيروى وظهر فساد قول السائل: فلا وجه لإتعب النفس في عمل ولا لكفها عن ملذذات والمكتوب في القدم واقع لا محالة.

³¹³ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، ص 18.

وذلك أن المكتوب في القدم هو سعادة السعيد لما يسر له من العمل الصالح وشقاوة الشقي لما يسر له من العمل السيئ ليس المكتوب أحدهما دون الآخر .³¹⁴

وقد قال أبي بن كعب: " عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليًا فاقشعر جلده من خشية الله، إلا تحاتت عنه خطايا، كما يتحات الورق اليابس عن الشجر، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليًا. ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهادًا أو اقتصادًا على منهاج الأنبياء وسنتهم ". الصالح ما كان أطوع للرب، وأنفع للعبد، فإذا كان يضره ويمنعه مما هو أنفع منه، لم يكن ذلك صالحًا، وقد ثبت في الصحيح «أن رجالًا قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما بال رجال يقول أحدهم كيت وكيت، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني» فبين - صلى الله عليه وسلم - أن مثل هذا الزهد الفاسد، والعبادة الفاسدة ليست من سنته، فمن رغب فيها عن سنته فرأها خيرًا من سنته فليس منه.³¹⁵

³¹⁴ ابن تيمية: " مجموع الفتاوى"، 8 / 284 - 285.

³¹⁵ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، 2 / 138.



وذكر ابن القيم أن الدرجة الأولى إخراج رؤية العمل عن العمل والخلص من طلب العوض على العمل، قال صاحب " المنازل ": الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب. أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجهم، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنًا ما كان. قال: وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل عن العمل، والخلص من طلب العوض على العمل، والنزول عن الرضا بالعمل. يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات: رؤيته وملاحظته، وطلب العوض عليه، ورضاه به وسكونه إليه. ففي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية. فالذي يخلصه من رؤية عمله مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له، وأنه بالله لا بنفسه، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو، كما قال تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير: 29].³¹⁶

³¹⁶ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 2 / 93.

المبحث الثاني

وعملوا الصالحات

قال تعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ﴿البقرة: ٢٥﴾.

قال الطبري في تأويل قوله: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (البقرة: 25). " أما قوله تعالى: "وبشِّر"، فإنه يعني: أخبرهم. والبشارة أصلها الخبرُ بما يُسرُّ به المخبرُ، إذا كان سابقًا به كل مخبرٍ سواه. وهذا أمر من الله تعالى نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه، وصدّقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد، بشِّر من صدّقك أنك رسولي - وأن ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي، وحقّق تصديقه ذلك قولًا بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه، وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه - أن له جنات تجري من تحتها الأنهار، خاصةً، دون من كذب بك وأنكر ما جئته به من الهدى من عندي وعانذك، ودون من أظهر تصديك، أن ما جئته به فمن عندي قولًا وجحده اعتقادًا، ولم يحقّقه عملاً. فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة، مُعدّةً عندي. والجنات: جمع جنة، والجنة: البستان. وإنما عنى جلّ ذكره بذكر الجنة: ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسةا، دون أرضها - ولذلك قال عز ذكره: تجري من تحتها



الأنهار". لأنه معلوم أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبرَ عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها. لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض، فلا حظَّ فيها لعيون من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه. على أن الذي تُوصف به أنهار الجنة، أنها جارية في غير أخاديد. " 317

وقال البغوي: { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }، أي: الْفِعْلَاتِ الصَّالِحَاتِ، يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ [الَّذِينَ هُمْ] مِنْ أَهْلِ الطَّاعَاتِ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }، أي: أَخْلَصُوا الْأَعْمَالَ كَمَا قَالَ: { فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا } [الكهف: 110] ، أي: خالبا عن الرِّياءِ، قَالَ مُعَاذُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ وَالنِّيَّةُ وَالصَّبْرُ وَالْإِخْلَاصُ. " 318

وقال سبحانه: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ﴿البقرة: ٨٢﴾.

قال الطبري في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) } (البقرة: 82) .: " ويعني بقوله: { وَالَّذِينَ آمَنُوا } ، أي صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. ويعني بقوله: { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، أطاعوا الله فأقاموا حدوده، وأدوا فرائضه، واجتنبوا محارمه. ويعني بقوله: { أُولَئِكَ } ، فالذين هم كذلك { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }، يعني أهلها الذين هم أهلها هم فيها { خَالِدُونَ }، مقيمون أبداً. وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبار

³¹⁷ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 1 / 384.

³¹⁸ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى،

من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها، [وبقاء الجنة وبقاء أهلها فيها] ، ودوام ما أعد في كل واحدة منهما لأهلها... وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ﴿البقرة: ٢٧٧﴾. 319 .

قال الطبري في تأويل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (277): وهذا خبر من الله عز وجل بأن الذين آمنوا يعني الذين صدقوا بالله وبرسوله، وبما جاء به من عند ربهم، وغير ذلك من سائر شرائع دينه "وعملوا الصالحات" التي أمرهم الله عز وجل بها، والتي نذبهم إليها { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } المفروضة بحدودها، وأدوها بسننها { وَآتَوُا الزَّكَاةَ } المفروضة عليهم في أموالهم، بعد الذي سلف منهم، قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم { لَهُمْ أَجْرُهُمْ }، يعني ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقتهم { عِنْدَ رَبِّهِمْ } يوم حاجتهم إليه في معادهم { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم قبل مجيئهم موعظة من ربهم، بما كان من إنابتهم، وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم، وتصديقهم بوعد الله ووعيده { وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به، إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى، وهم على تركهم ما تركوا من ذلك في الدنيا ابتغاء رضوانه في الآخرة، فوصلوا إلى ما وعدوا على تركه³²⁰.

³¹⁹ الطبري: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، 2 / 287.

³²⁰ الطبري: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، 6 / 21 - 22.



{ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }
 ﴿آل عمران: ٥٧﴾. وأما قوله: { وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فإنه يعني
 تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بك يا عيسى - يقول: صدقوك - فأقروا بنبوتك وبما
 جئتهم به من الحق من عندي، ودانوا بالإسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من
 فرائضي على لسانك، وشرعت من شرائعي، وسننت من سنني. ³²¹

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا } ﴿النساء: ٥٧﴾.

قال الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، والذين
 آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وصدقوا بما أنزل الله على محمد
 مصدقًا لما معهم { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، يقول: وأدوا ما أمرهم الله به من فرائضه،
 واجتنبوا ما حرم الله عليهم من معاصيه، وذلك هو "الصالح" من أعمالهم { سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } ، يقول: سوف يدخلهم الله يوم القيامة { جَنَّاتٍ } ،
 يعني: بساتين { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } ، يقول: تجري من تحت تلك الجنات
 الأنهار { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } ، يقول: باقين فيها أبدًا بغير نهاية ولا انقطاع، دائمًا ذلك
 لهم فيها أبدًا { لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ } ، يقول: لهم في تلك الجنات التي وصف صفتها {
 أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } ، يعني: بريئات من الأنداس والرَّيب والحَيْض والغائط والبول والحَبَل
 والبُصاق، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا . ³²²

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } (النساء: 57) ، " هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ مَالِ السُّعَدَاءِ فِي جَنَّاتِ

³²¹ الطبري: " جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، 6 / 456.

³²² الطبري: " جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، 8 / 488 - 489.

عَدْنِ، الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ فِي جَمِيعِ فِجَاجِهَا وَمَحَالِّهَا وَأَرْجَائِهَا حَيْثُ شَاؤُوا وَأَيَّنَ
أَرَادُوا، وَهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يُحَوَّلُونَ وَلَا يَرْوَلُونَ وَلَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا . " 323

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) } { سُورَةُ النَّسَاءِ (4) :
آيَةٌ 122] " عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ أَوْلَيْكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ [النِّسَاءُ : 121] جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ
الْقُرْآنِ فِي تَعْقِيبِ الْإِنْدَارِ بِالْبَشَارَةِ، وَالْوَعِيدِ بِالْوَعْدِ ، وَقَوْلُهُ: وَعَدَّ اللَّهُ مَضْرًّا مُؤَكَّدًا
لِمَضْمُونِ جُمْلَةٍ: سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْخِ، وَهِيَ بِمَعْنَاهُ، فَلِذَلِكَ يُسَمَّى النُّحَاةُ مِثْلَهُ
مُؤَكَّدًا لِنَفْسِهِ، أَيُّ مُؤَكَّدًا لِمَا هُوَ بِمَعْنَاهُ. وَقَوْلُهُ: حَقًّا مَضْرًّا مُؤَكَّدًا لِمَضْمُونِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ، إِذْ كَانَ هَذَا فِي مَعْنَى الْوَعْدِ، أَيُّ هَذَا الْوَعْدُ أَحَقُّهُ حَقًّا، أَيُّ لَا يَتَخَلَّفُ . " 324

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } قال الحدادي انما ذكر الطاعة مع الايمان
وجمع بينهما فقال { آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ليتبين بطلان توهم من يتوهم انه لا
تضر المعصية والإخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين
استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين { وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا } أي وعد الله لهم هذا
وعداً وحق ذلك حقاً فالأول مؤكد لنفسه لأنه مضمون الجملة الاسمية التي قبل وعد
لأن الوعد عبارة عن الإخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثاني مؤكد لغيره لأن
الخبر من حيث أنه خبر يحتمل الصدق والكذب { وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } إستفهام
إنكاري أي ليس أحد أصدق من الله قولاً ووعداً وأنه تعالى أصدق من كل قائل فوعده

323 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم"،

المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 2 / 338.

324 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ): "التحرير والتنوير «تحرير

المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»"، 5 / 207.



أولى بالقبول ووعده الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول. صلاح الأعمال في إخلاصها فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى وينتظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما { سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } إي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } أي مقيمين في الجنة إلى الأبد فنصب ابدأ على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل. ³²⁵

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } ﴿النساء: ١٧٣﴾ .

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ } يوفيههم جزاء أعمالهم الصالحة { وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ }، يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر... ³²⁶

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } ﴿المائدة: ٩﴾ :

يقول الطبري: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } [المائدة: 93] منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن الله تعالى حرمه عليهم، { إِذَا مَا اتَّقَوْا

³²⁵ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 2 / 290.

³²⁶ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): "الباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 1 / 435.

وَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ { [المائدة: 93] ، إذا ما اتقى الله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرم عليهم منه، وصدقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهاهم، فأطاعوهما في ذلك كله { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ { [البقرة: 25]، واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم { ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا { [المائدة: 93]، ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضًا، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدلوا { ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسَنُوا { [المائدة: 93]، ثم خافوا الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه وهربًا من عقابه { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ { [آل عمران: 134]، والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاهما. فالإتقاء الأول: هو الإتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل، والإتقاء الثاني: الإتقاء بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير، والإتقاء الثالث: هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال.³²⁷

وفي سورة الحجرات :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۗ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

³²⁷ الطبري: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، 8/ 665.



نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ { (الحجرات: 1 - 8) .

ومن الأعمال الصالحات:

أداء الأمانات:

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) }.

قال البغوي : "نزلت في عثمان بن طلحة الحنفي من بني عبد الدار، وكان سادس الكعبة، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أعلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله فآبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآنا، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وكان المفتاح معه فلما مات دفعه إلى أخيه شيبه، فالمفتاح والسدانة في

أَوْلَادِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . " وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ جَمِيعِ الْأَمَانَاتِ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَلِمَا خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِلَّا] قَالَ: «أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» . عن عمرو بن دينارٍ عن عمرو بن أوسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، هُمْ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا» .³²⁸

ومن الأعمال الصالحة:

باب: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» .

وباب: لَا يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» .³²⁹

³²⁸ البغوي: " معالم التنزيل"، 1 / 648 - 650.

³²⁹ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 8 / 2 - 3.



باب فضل صلة الرحم:

قال البخاري: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا بِهِزُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، وَأَبُوهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُمَا سَمِعَا مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَبٌ مَا لَهُ» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، ذَرَهَا» قَالَ: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ.

باب: جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ:

عَنِ الرَّهْرِيِّ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، حَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ».³³⁰

باب: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

³³⁰ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 8 / 5 - 8.

بَابُ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

بَابُ طَيْبِ الْكَلَامِ:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ».³³¹

بَابُ «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا»:

عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، سَمِعْتُ مَسْرُوقًا، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ح
وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ:
دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ خُلُقًا».

بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ:

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا
يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ، لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ

³³¹ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 8/ 11.



لأخيه: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: «رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ». 332

بَابُ: كَيْفَ السَّلَامُ وَالرَّدُّ:

عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ، قَالَ: سَلَّمَ أَبُو جُرَيْجٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمُ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى، وَلَكِنْ قُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ».

بَابُ سَلَامِ الْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسَلِّمُ الرَّكَّابُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ، وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَإِذَا مَرَّ الْقَوْمُ بِالْقَوْمِ فَسَلِّمْ مِنْهُمْ وَاحِدًا أَوْ جَمَاعَةً، وَإِذَا رَدَّ مِنَ الْأَخْرَيْنِ وَاحِدًا أَوْ جَمَاعَةً».³³³

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } أَيِ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ وَهِيَ الْخَالِصَةُ الْمُوَافِقَةُ لِلشَّرْعِ فَيَدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَهِيَ الْجَنَّةُ

³³² محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 8 / 12 - 13.

³³³ معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ): "الجامع (منشور كملحوق بمصنف عبد الرزاق)"، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ، 1 / 384 - 387.

كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ. ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ أَيِ النَّيِّبِ الْوَاضِحِ .³³⁴

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} اى قد أذعنوا وأيقنوا بوحدة الحق وصدقوا رسله وكتبه ومع كمال ايمانهم ويقينهم قد عملوا الصَّالِحَاتِ من الأخلاق والأفعال تقرباً الى الله وتأدباً معه سبحانه بما يليق بعبوديته وتعظيم شأنه فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ الَّذِي يُوَفِّقُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ والتوحيد في سعة رَحْمَتِهِ وفسحة وحدته بفضلها ولطفه ذلك الذي بشر به سبحانه عباده المؤمنين المخلصين هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ والفضل العظيم لا فوز أعظم منه وأعلى .³³⁵

وقال الشافعي رضي الله عنه: " المراد بالخير الاكتساب والأمانة فإن الخير ورد بمعنى المال في قوله تعالى { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } وبمعنى العمل الصالح في قوله تعالى {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} ."³³⁶

إِنَّ الْإِشْتِعَالَ بِالْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَجَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَهَمِّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَآكِدِ الْعِبَادَاتِ، وَأَوْلَى مَا أَنْفَقْتُ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَوْقَاتِ، وَشَمَّرَ فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّمَكُّنِ فِيهِ أَصْحَابُ الْأَنْفُسِ الرَّكِيَّاتِ، وَبَادَرَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِهِ الْمُسَارِعُونَ إِلَى الْمَكْرَمَاتِ، وَسَارَعَ إِلَى التَّحَلِّيِ

³³⁴ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ، 7 / 250.

³³⁵ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ): "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، دار ركايب للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، 2 / 317.

³³⁶ أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحسني، تقي الدين الشافعي (المتوفى: 829هـ): "كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار"، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دار الخير - دمشق، الطبعة: الأولى، 1994، ص 581. وانظر: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: 710هـ): "كفاية النبيه في شرح التنبيه"، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م 2009، 12 / 363.



بِهِ مُسْتَبْتَهُ الْخَيْرَاتِ، وَقَدْ تَظَاهَرَ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ جُمْلٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمَاتِ،
وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَشْهُورَاتِ، وَلَا ضَرُورَةَ إِلَى الْإِطْنَابِ بِذِكْرِهَا هُنَا لِكَوْنِهَا
مِنَ الْوَاضِحَاتِ الْجَلِيَّاتِ " 337

ومن الأعمال الصالحات: الوصايا، والإيصال لغةً طلب شيء من غيره ليفعله على غيب منه حال حياته وبعد وفاته. فشرعها الشارع تمكيناً منه جل وعلا من العمل الصالح وقضاءً لحاجته عند احتياجه إلى تحصيل المصالح، ومثله الإجارة لا تجوز قياساً لما فيها من إضافة تملك المنافع إلى ما يستقبل من الزمان وأجازها الشارع. وذكر في المختصر المختصر فقال (الوصية تملك مضاف إلى ما بعد الموت) يعني بطريق التبرع سواء كان عيناً أو منفعةً قال وهي مستحبة، أي الوصية مستحبة هذا إذا لم يكن عليه مستحق لله تعالى فإن كان عليه حق مستحق لله كالزكاة أو الصيام أو الحج أو الصلاة التي فرط فيها فهي واجبة والقياس يأبى جوازها؛ لأنها تملك مضاف إلى حال زوال الملك، ولو أضافه إلى حال قيامه بأن قال ملكتك غداً كان باطلاً فهذا أولى إلا أن الشارع أجازها لحاجة الناس إليها؛ لأن الإنسان مغرور بأمله مقصر في عمله فإذا عرض له عارض وخاف الهلاك يحتاج إلى تلافى ما فاتته من التقصير بماله على وجه لو تحقق ما كان يخافه يحصل مقصوده المآلي، ولو اتسع الوقت وأحوجه إلى الانتفاع به صرفه إلى حاجته الحالي³³⁸.

³³⁷ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م، 1 / 4.

³³⁸ عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ): "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي"، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (المتوفى: 1021 هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313 هـ، (ثم صورتها دار الكتاب

ومن الأعمال الصالحات: الصوم المندوب، ويشمل :

1- صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فيكون كمن صام الشهر. ويندب كونها أيام البيض أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لما روي عن ابن ملحان القيسي عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نصوم البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، قال: قال: هُن كهيئة الدهر .

2- صوم يومي الاثنين والخميس: لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم" .

3- صوم ستة أيام من شوال: لما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر". ويستحب أن تكون متفرقة، وقيل: الأفضل وصلها.

4- صوم يوم عرفة لغير الحاج، لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده" .

5- صوم الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، وأفضلها صوم محرم، لما روي عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك. وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها". ولحديث: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة



بعد الفريضة صلاة الليل". وكذلك يندب صوم شعبان لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيت أكثر صياماً منه في شعبان".

6- صوم يوم وإفطار يوم: لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام".

7- النفل المطلق: وهو ما لم يثبت عند الشارع كراهته ولا يخصص بوقت، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً".

339

8- وصيام عشر ذي الحجة يعني أنه يستحب صيام عشر ذي الحجة؛ لأنه روي أن صيام يوم منها كصيام شهر، هكذا قال في المقدمات، وقال في الذخيرة: روي أن صيام كل يوم منها يعدل سنة، قال في المقدمات: وقيل في قوله تعالى: { وَآيَاتٍ عَشْرٍ } [الفجر: 2] أنها عشر ذي الحجة، وأن الشفع يوم النحر، وأن الوتر يوم عرفة. قال في المواهب اللدنية: عن هبة بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -، قالت: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصوم تسع ذي الحجة» رواه أبو داود، «عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: ما رأيت رسول الله

³³⁹ الحاجة نجاح الحلبي: "فقه العبادات على المذهب الحنفي"، بدون بيانات أخرى، 1 / 137.

- صلى الله عليه وسلم - صائماً في العشر قط» رواه مسلم والترمذي، وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة، بل هي مستحبة استحباباً شديداً لا سيما التاسع منها وهو يوم عرفة، وقد ثبت في صحيح البخاري أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه» يعني العشر الأول من ذي الحجة، وفي قوله: { وَشَاهِدِ وَمَشْهُودٍ } [البروج: 3] أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والمراد بعشر ذي الحجة التسعة الأيام من أول الشهر، قاله في الشرح الكبير، وهو ظاهر، إذ لا يصام يوم النحر، وعطفه على يوم عرفة من عطف الكل على الجزء، عكس ما فعل القاضي عياض في قواعده، فإنه قال في الصيام المستحب والعشر الأول من ذي الحجة وصوم يوم عرفة: قال القباب: هو من باب عطف الجزء على الكل؛ لأنه آخرها وهو آخر ما يصام منها، ومراده بقوله: صوم يوم العشر: التسع خاصة، وهو معظم العشر، ويجوز إطلاق الكل، والمراد البعض .³⁴⁰

وهناك الأعمال الصالحة المتعلقة بالقلوب، وهي عشرون (الأول) الخوف من الله تعالى وهو الناهي عن المعاصي وسببه معرفة شدة عذاب الله ويسمى خشية ورهبة وتقوى والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف مما يستقبل والحزن على ما تقدم

³⁴⁰ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (المتوفى: 954هـ): "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م، 2 / 204. وانظر: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: 682 هـ): "الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م، 7 / 526.



وكلاهما يثير البكاء والإنكسار ويبعث العبد على الرجوع إلى الله تعالى، (الثاني) الرجاء وهو ناتج عن معرفة سعة رحمة الله ويسمى طمعاً ورغبة، (الثالث) الصبر وأجره بغير حساب بخلاف سائر الأعمال فإن أجورها بمقدار وهو أربعة أنواع صبر على بلاء الله وهو المقصود بالذكر وصبر على نعم الله أن لا يطغي بها وصبر على طاعة الله وصبر على معاصي الله، (الرابع) الشكر وهو بالقلب واللسان والجوارح فشكر اللسان الثناء وشكر القلب معرفة المنة وقدر النعمة وشكر الجوارح بطاعة المنعم، (الخامس) التوكل وهو الاعتماد على الله تعالى في دفع المكاره والمخاوف وتيسير المطالب والمنافع وخصوصاً في شأن الرزق، (السادس) التفويض إلى الله تعالى وهو خروج العبد عن مراد نفسه إلى ما يختاره الله له وسببه المعرفة بأن اختيار الله خير من اختيار العبد لنفسه لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور والعبد لا يعلمها .

341

(السابع) حسن الظن بالله فإن الله يقول: "أنا عند ظن عبدي بي" وسببه المعرفة بفضل الله وكرمه وسعة رحمته، (الثامن) التسليم لأمر الله تبارك وتعالى بترك الاعتراض ظاهراً وترك الكراهة باطناً، (التاسع) الرضا بالقضاء وهو سرور النفس بفعل الله زيادة على السليم وسببها ثلاثة أشياء محبة الله تعالى فإن فعل المحبوب ومعرفة حكمته في كل ما يفعل وإن المالك يفعل في ملكه ما يشاء، (العاشر) الإخلاص لله تعالى ويسمى نية قصداً وهو إرادة وجه الله تعالى بالأقوال والأفعال وضده الرياء وسببه المعرفة بأن الله لا يقبل إلا الخالص وإنه يطلع على النيات والضمان كما يطلع على الظواهر، (الحادي عشر) المراقبة وهي معرفة العبد باطلاع الله عليه على الدوام فيثمر ذلك الحياء والهيبة والتقوى، (الثاني عشر) المشاهدة وهي

³⁴¹ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى: 741هـ): "القوانين الفقهية"،

بدون بيانات أخرى، 1 / 284 .

النظر بالقلب إلى الله تعالى واستغراق في صفاته وأفعاله وذلك مقام الإحسان الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عليه السلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ثم أشار إلى مقام المراقبة بقوله صلى الله عليه وسلم فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (الثالث عشر) التفكير وهو ينبوع كل حال ومقام فمن تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل ومن تفكر في عذابه استفاد الخوف ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء ومن تفكر في الموت وما بعده استفاد قصر الأمل ومن تفكر في ذنوبه اشتد خوفه وصغرت عنده نفسه، (الرابع عشر) معرفة الله تعالى وهي نوعان خاصة وعامة فالعامة حاصلة لكل مؤمن والخاصة هي التي ينفرد بها الأنبياء والأولياء وهو البحر الأعظم الذي لا ساحل له ولا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، (الخامس عشر) التوحيد وهو نوعان عام وخاص فالعام هو عدم الإشراف الجلي وذلك حاصل لجميع المسلمين والخاص عدم الإشراف الخفي .³⁴²

(السادس عشر) اليقين وهو صدق الإيمان حتى يطمئن به القلب بحيث لا يتطرق إليه شك ولا احتمال وسببه شيان أحدهما قوة الأدلة وكثرتها والآخر نور من الله يضعه في قلب من يشاء، (السابع عشر) محبة الله تعالى وهي نوعان عامة وخاصة فالعامة لجميع المسلمين ولا يصح الإيمان إلا بها وهو مقام أصحاب اليقين والخاصة مقام المقربين وهي أعلى المقامات وأرفع الدرجات، (الثامن عشر) والتواضع وهو ضد التكبر وسببه شيان التحقق بمقام العبودية ومعرفة الإنسان بعيوب نفسه، (التاسع عشر) الحياء وهو نوعان حياء من الله وحياء من الناس وهو مستحسن في كل حال إلا طلب العلم، (العشرون) سلامة الصدر للمسلمين وهو يثمر طيب النفس

³⁴² ابن جزى الكلبي الغرناطي: "القوانين الفقهية"، 1 / 284 - 285.



وسماحة الوجه وإرادة الخير لكل أحد والشفقة والمودة وحسن الظن ويذهب الشحناء
والبغضاء والحقد والحسد ولذلك ينال بهذه الخصلة ما ينال بالصيام والقيام .³⁴³

³⁴³ ابن جزي الكلبي الغرناطي: "القوانين الفقهية"، 1 / 285.

الفصل الثاني أمة وسطاً في الوسطية مفهوماً وتطبيقاً



المبحث الأول

مفهوم الوسطية

وسط: قال الله جل وعز: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } (البقرة: 143).

قال أبو إسحاق في قوله: { أُمَّةً وَسَطًا } قولان، قال بعضهم: وسطاً عدلاً. وقال بعضهم: خياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير، والخير عدل.

وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من أوسط قومه، أي: من خيارهم. والعرب تصف الفاضل النسب بأنه من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة، لأن العرب تستعمل التمثيل كثيراً، فتمثل القبيلة بالوادي، والقاع، وما أشبهه، فخير الوادي وسطه، فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسرر الوادي، وسرارته، وسره، ومعناه كله من خير مكان فيه، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت أمته أمةً وسطاً، أي: خياراً.

وقال الليث: الوسط مخففاً يكون موضعاً للشيء، كقولك: زيد وسط الدار. وإذا نصبت السنين صار اسماً لما بين طرفي كل شيء.

وقال أحمد بن يحيى: الفرق بين الوسط والوسط: أن ما كان يبين جزء من جزء فهو وسط، مثل الحلقة من الناس، والسبحة والعقد.

قال: وما كان مصمماً لا يبين جزء من جزء فهو وسط، مثل وسط الدار والراحة والبقعة وقد جاء في (وسط) التسكين. 344

إن كلمة (وسط) ، تستعمل في معانٍ عدّة أهمّها:

- 1- بمعنى الخيار والأفضل والعدل.
 - 2- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.
 - 3- وتستعمل لما كان بين شرّين وهو خير.
 - 4- وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشرّ.
 - 5- وقد تُطلق على ما كان بين شيئين حسّاً، كوسط الطريق، ووسط العصا.
- وما ورد في القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب فيما أُطلق وأريد به مصطلح (الوسطية) ، فهذا المصطلح لا يصحّ إطلاقه إلا إذا توافرت فيه صفتان:

- 1- الخيريّة، أو ما يدلّ عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.
 - 2- البينيّة، سواء أكانت حسبيّة أو معنويّة.
- فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية.
- والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية - أي أنّ كلّ أمر يوصف بالخيرية فهو (وسط) - فيه نظر، والعكس هو الصّحيح، فكل وسطية تلازمها الخيرية فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس.

فلا بدّ مع الخيرية من البينيّة حتى تكون وسطاً.

وكذلك البينيّة - أيّاً - فليس كل شيء بين شيئين أو أشياء يُعتبر وسطياً وإن كان وسطاً. فقد يكون التوسّط حسبياً أو معنوياً، ولا يلزم أن يوصف بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك.

³⁴⁴ محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "تهذيب اللغة"، 13 / 21.



ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلا بد أن يكون بينياً حساً أو معنى. ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيرية والبيئية جميعاً فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف: الوسطية، وما عدا ذلك فلا³⁴⁵.

يرى اللغويون أن الوسط بالسكون لا يراد به إلا مجرد التوسط بين أمرين، أما الوسط بالفتح فيراد به شيء أهم وأسمى من مجرد التوسط. ولفظة وسط وما شابهها من مشتقات أخرى كواسط، وأوسط، ووسيط، وواسطة ووساطة تطلق في اللغة العربية على معنيين: المعنى الأول بديهي وعام، يقصد به مجرد التوسط بين شيئين مطلقاً معنوياً كان أو حسياً. كقولهم: فلان يقوم بدور الوسيط أو الوساطة بين خصمين، أما المعنى الثاني للفظ وسط فهو المعنى الخاص، حيث يراد به في لغة العرب الأعدل والأفضل والأحسن والأخير بسكون الخاء. ومن ذلك قولهم فلان وسط قومه أي: من أحسن القوم وأخير الناس. وقولهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان من أوسط قومه نسباً وشرفاً أي: أنه من أخير الناس وأفضلهم وأعدلهم.³⁴⁶

والصلة وثيقة بين الوسطية والصراف المستقيم، الصراف المستقيم يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي الذي سبق تقريره، وبخاصة أن ما جعلته لازماً لمفهوم الوسطية وإطلاقها قد تحقق في معنى الصراف المستقيم، فالخيرية والبيئية ظاهرتان في هذا الأمر. فنجد في سورة الفاتحة لمّا قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (الفاتحة:6) عرّفه فقال: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (الفاتحة: من الآية 7) ثم حدّده

³⁴⁵ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص 38 - 39.

³⁴⁶ أ. د. محمد بن أحمد الصالح: "الإسلام وسماحته ودعوته للحوار"، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف

السعودية بدون بيانات، ص 1.

فقال: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (الفاحة: من الآية 7) فجعل الصراط المستقيم طريق الخيار، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالين. وكذلك في سورة البقرة قال الله - تعالى - : {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة: من الآية 142) فقال بعدها مباشرة: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة: من الآية 143) وقد تحدّث المفسرون عن الكاف في هذه الآية، وذكر غير واحد أن (الكاف) للربط بين جعلهم أمةً وسطاً وهدايتهم للصراط المستقيم .³⁴⁷

ومعنى هذا أن لفظ وسط في لغة العرب كما ذكرت سابقاً يعني الأعدل والجيد والأفضل لا مجرد التوسط بين أمرين، ويتضح هذا المفهوم أو هذا المعنى من الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ وسط وأوسط ووسطى وذلك في خمسة مواضع في القرآن الكريم.

قال تعالى: {فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا} (سورة العاديات، الآية: 5).

وقال تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} (سورة القلم، الآية: 28).

وقال تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}

(سورة البقرة، الآية: 238) ، وهي أفضل أوقات الصلاة عند المفسرين.

وقال تعالى: {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ

كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} (المائدة من الآية: 89)³⁴⁸.

(وس ط) قوله في الجنازة فقام وسطها وفي الحديث الآخر فوجدته في وسط

الناس كذا ضبطنا هذا الحرف بسكون السين على أبي بحر وغيره وبعضهم بالفتح قال

³⁴⁷ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، ص 85 - 86.

³⁴⁸ أ. د. محمد بن أحمد الصالح: "الإسلام وسماحته ودعوته للحوار"، ص 2 - 3.



الجياني، وقال ابن دريد وسط الدار وسطها سواء وقال ثعلب جلس وسط القوم ووسط الدار، وسطة كل شيء خياره وأعدله ومنه أمة وسطا ومنه الفردوس أوسط الجنة وأعلىها قيل أفضلها ويكون أنه أوسطها مساحة ثم هو مع ذلك أرفعها منازل وأفضلها مراتب وقوله: " شغلونا عن الصلاة الوسطى "، سميت بذلك أما لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجراً ولهذا خصت بالمحافظة بعد إجمالها في عموم الصلوات أو لأنها وسط بين صلاتي نهار وصلاتي ليل على من جعلها العصر أو الصبح أو لأنها في وسط النهار لمن قال أنها الظهر أو لأنها وسط ما بين الليل والنهار لمن جعلها الصبح أو لأنها خمس صلوات فكل صلاة منهن وسطا لأنها بين صلاتين من كل طرف. واختلف العلماء في تعيينها وتعميتها في كتاب الإكمال . وجاء في بعض الروايات صلوات الوسطى أي عن صلاة الصلاة الوسطى أو من إضافة الشيء إلى نفسه وقوله كان يعتكف العشر الوسط من رمضان بضم الواو والسين كذا رواه القاضي أبو الوليد الباجي في الموطأ جمع واسط كنازل ونزل ورواه غيره من شيوخ ابن عياض وسط بفتح السين جمع وسطى مثل كبرى وكبر قال الله تعالى: { إِنَّهَا لَأَحَدَى الْكُبْرِ }.

349

وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه فيقولون: نعم.

³⁴⁹ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): "مشارك الأنوار

على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون بيانات أخرى، 2 / 295.

فيقال: وما علمكم فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } قال: عدلا { لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت فيقول: نعم، فيدعو قومه فيقال لهم: هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته فذلك قوله { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم.³⁵⁰

{أُمَّةً وَسَطًا} أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض، خياراً وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطاً بين العلو والتقصير³⁵¹.

قال الطبري في تأويل قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }: يعني جل ثناؤه بقوله: { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً } كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على

³⁵⁰ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): " الدر المنثور"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 1 / 349.

³⁵¹ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ): "تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)"، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 1 / 137.



غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً. و"الأمة"، هي القرن من الناس والصِّنف منهم وغيرهم. وأما "الوسط"، فإنه في كلام العرب الخيارُ. يقال منه: فلان وَسَطُ الحسب في قومه"، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، و"هو وَسَطُ في قومه، وواسطٌ".³⁵²

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح، فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد -عليه السلام- وأمته. فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ، وذلك قول الله -عز وجل: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ } [البقرة: 143]."³⁵³

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فتدعى أمته فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد قال: فيقال: من شهودك؟ قال: فيقول: محمد وأمته قال: فيؤتى بكم فتشهدون أنه قد بلغ، وذلك قول الله عز وجل: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ } [البقرة: 143] " رواه البخاري في الصحيح، عن إسحاق بن منصور، عن جعفر بن عون وبمعناه رواه أبو أسامة، عن الأعمش ورواه أبو معاوية، عن الأعمش فقال في الحديث: "يجيء النبي يوم القيامة، ومعه الثلاثة والأربعة والرجلان حتى يجيء النبي

³⁵² الطبري: "جامع البيان في تأويل القرآن"، 3 / 141.

³⁵³ أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسبي ويقال له: الكشي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ): "المنتخب من مسند عبد بن حميد"، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1423 هـ - 2002م، 2 / 89.

وليس معه أحد قال: فيقال لهم: هل بلغت فيقولون: نعم، قال: فيدعى قومهم فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، قال: فيقال للنبيين: من يشهد لكم أنكم قد بلغت؟ قال: فيقولون: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: فتدعى أمة أحمد فيشهدون أنهم قد بلغوا قال: فيقال: وما علمكم بهم أنهم قد بلغوا قال: فيقولون جاءنا رسولنا بكتاب أخبرنا أنهم قد بلغوا فصدقناه، قال: فيقال صدقتم قال: وذلك قول الله عز وجل في كتابه: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: 143]. " 354

354 أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 1 / 422 - 423. وانظر: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، ص 370. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "الجامع الكبير - سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م، 5 / 57. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 17 / 383. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ): "الكبرى"، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 10 / 18. ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): "سنن ابن ماجة ت الأرنؤوط"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 5 / 347.



و" قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطاً بين المشرق والمغرب { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } يعني عدولاً خياراً (قال عدلاً) أي قال النبي في تفسير قوله تعالى وسطاً عدلاً. " 355

وشرح ابن حجر العسقلاني الحديث الوارد في صحيح البخاري، قوله: "يدعى نوح يوم القيامة فيقول أبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم"، زاد في الاعتصام: "نعم يا رب"، قوله: فيقول: من يشهد لك في الاعتصام، فيقول: من شهودك، قوله: "فيشهدون"، في الاعتصام فيجاء بكم فتشهدون وقد روى هذا الحديث أبو معاوية عن الأعمش بهذا الإسناد أتم من سياق غيره وأشمل ولفظه: "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه أكثر من ذلك، قال: فيقال لهم أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي أبلغتكم، فيقول: نعم فيقال: له من يشهد لك"، الحديث أخرجه أحمد عنه والنسائي وابن ماجه والإسماعيلي من طريق أبي معاوية أيضاً قوله: "فيشهدون أنه قد بلغ"، زاد أبو معاوية فيقال وما علمكم فيقولون أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ويؤخذ من حديث أبي بن كعب تعميم ذلك فأخرج بن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب في هذه الآية، قال: لتكونوا شهداء وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم. قال أبو العالية: وهي قراءة أبي لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة ما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم

³⁵⁵ أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: 1353هـ): "الأحوذى بشرح جامع الترمذي"،

قوله فذلك قوله عز وجل { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } في الاعتصام ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله والوسط العدل هو مرفوع من نفس الخبر وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم وفي الاعتصام بلفظ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } عدلاً وأخرج الإسماعيلي من طريق حفص بن غياث عن الأعمش بهذا السند في قوله وسطاً قال عدلاً كذا أورده مختصراً مرفوعاً وأخرجه الطبري من هذا الوجه مختصراً مرفوعاً ومن طريق وكيع عن الأعمش بلفظ والوسط العدل مختصراً مرفوعاً ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش مثله وكذا أخرجه الترمذي والنسائي من هذا الوجه وأخرجه الطبري من طريق جعفر بن عون عن الأعمش مثله وأخرجه عن جماعة من التابعين كمجاهد وعطاء وقتادة ومن طريق العوفي عن ابن عباس مثله قال الطبري الوسط في كلام العرب الخيار يقولون فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه . 356

وفي قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }، وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ. { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة: 143]، أي: بلزوم قول الجماعة، وهم أهل العلم؛ أي: يجب متابعتهم الإجماع، والاعتصام به، فهذه الآية من أدلة حجية الإجماع من حيث إنه عدلهم بقوله: { وَسَطًا } [البقرة: 143]؛ أي: عدولاً، فوجب أن يكونوا معصومين قولاً وفعلاً. 357

³⁵⁶ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 8 / 172

³⁵⁷ شمس الدين البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: 831 هـ): "اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م، 17 / 280.



وقوله تعالى: {أُمَّةً وَسَطًا} (2) أى عدلاً خياراً .³⁵⁸

{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } كل واحد من الأمة؛ لأنه يلزم منه وصف كل واحد من الأمة بأنه خير أمة والشخص الواحد لا يوصف بأنه أمة حقيقةً ولأنه يلزم منه أن يكون كل واحد خيراً من صاحبه، وهو مستحيل فكان المخاطب به مجموع الأمة؛ فإنه لا يفهم منه أن الملك وصف كل واحد من آحاد العسكر بذلك بل يفهم منه أنه وصف المجموع به بمعنى أن في العسكر من هو كذلك، فكذا هاهنا وصف مجموع الأمة بالخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعنى أن فيهم من هو كذلك أو بمعنى أن أكثرهم موصوفون به .. وقال الله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143] أي ومثل ذلك جعل العجيب، وهو جعل الكعبة قبلةً جعلناكم أي صيرناكم أمةً وسطاً أي خياراً وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقيل للخيار وسط؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية. وقيل عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليست إلى بعضها أقرب من بعض، والتمسك به من وجهين: أحدهما: أنه تعالى وصف هذه الأمة بكونهم وسطاً والوسط هو العدل الذي يرتضى بقوله قال تعالى {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم: 28] أي أعدلهم وأرضاهم قولاً، فيقتضي ذلك أن يكون مجموع الأمة موصوفاً بالعدالة إذ لا يجوز أن يكون كل واحد موصوفاً بها؛ لأن الواقع خلافه فوجب أن يكون ما أجمعوا عليه حقاً؛ لأنه لو لم يكن حقاً كان باطلاً وكذباً والكاذب المبطل يستحق الذم فلا يكون عدلاً، وهو معنى قوله وذلك أي كونهم وسطاً

³⁵⁸ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): "شَرَحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاذِ الْمُسَمَّى إِكْمَالِ الْمُعَلِّمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ"، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 3 / 294.

يضاد الجور أي الميل عن سواء السبيل قال القاضي الإمام: الوسط في اللغة من يرتضى بقوله ومطلق الارتضاء في إصابة الحق عند الله تعالى؛ لأن الخطأ في الأصل مردود ومنهي عنه إلا أن المخطئ ربما يعذر بسبب عجزه ويؤجر على قدر طلبه للحق بطريقه لا أن يكون الخطأ مرضياً عند الله عز وجل. ³⁵⁹

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143] وتقريره أن الله تعالى عدل هذه الأمة؛ لأنه تعالى جعلهم وسطاً وقد قال الجوهري: والوسط من كل شيء أعدل، قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} أي: عدولاً هذا لفظه، ولأنه تعالى علل ذلك بكونهم شهداء والشاهد لا بد وأن يكون عدلاً. وهذا التعديل الحاصل للأمة وإن لزم منه تعديل كل فرد منها بالضرورة لكونه عن واحد مستلزماً لنفيه عن المجموع، لكنه ليس المراد تعديلهم فيما ينفرد به كل واحد منهم؛ لأننا نسلم بالضرورة خلافه فتعين تعديلهم فيما يجتمعون عليه، وحينئذ فتجب عصمتهم عن الخطأ قولاً وفعلاً، صغيرة وكبيرة؛ لأن الله تعالى يعلم السر والعلانية، فلا يعدلهم من ارتكابهم بعض المعاصي، بخلاف تعديلنا فإنه قد لا يكون كذلك لعدم اطلاعنا عن الباطن. واعترض الخصم بوجهين، الأول: سلمنا أن الله تعالى عدلهم، لكن تعديلهم ليشهدوا على الناس يوم القيامة بأن الأنبياء بلغوهم الرسالة، وعدالة الشهود إنما تعتبر وقت أداء الشهادة لا قبلها، فتكون الأمة عدولاً في الآخرة لا في الدنيا ونحن نسلمه، والجواب أن سياق الآية يدل على تخصيص هذه الأمة بالتعديل وتقضيلهم على غيرها، فيتعين حملها على الدنيا؛ لأننا لو حملناه على الآخرة لم يكن لهم مزية لأن كل الأمم إذ ذاك عدول، وفي الجواب نظر لأن الله تعالى قد

³⁵⁹ عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ): "الأسرار شرح أصول البيهقي"، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ، 3 / 256.



أخبر عن بعض أهل الموقف بإنكار المعاصي وإنكار التبليغ إليهم، بل الجواب أن يقول: العدالة لا تتحقق إلا مع التكليف، ولا تكليف في الدار الآخرة، ويؤيده قوله تعالى: {جَعَلْنَاكُمْ} ولم يقل: سنجعلكم. الثاني: إن العدالة فعل العبد؛ لأنها عبارة عن أداء الواجبات واجتناب المنهيات، والوسط فعل الله تعالى لقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143] فيكون الوسط غير العدالة، فلا يكون جعلهم وسطاً عبارة عن تعديلهم، وكيف والمعدل لا يجعل الرجل عدلاً ولكن يخبر عن عدالته، وجوابه أن فعل العبد من أفعال الله تعالى على مذهب أهل الحق لما تقرر في علم الكلام أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.³⁶⁰

قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143] الآية والوسط العدل كما في اللغة وحيث عدلهم الله تعالى وجب عصمتهم عن الخطأ قولاً وفعلًا كبيرةً ولا صغيرةً. وأجيب بأنه بعد تسليم عدالة الجميع وأنه لا يصدر عنهم كبيرة ولا صغيرة لا يلزم منه أن لا يصدر عنهم الخطأ المؤدي اجتهادهم إليه؛ لأنه ليس بعصيان لا من الكبائر ولا من الصغائر ولذا يكون المجتهد مأجوراً وإن أخطأ، وقد استدلل المحقق العبري في شرح المنهاج بدليل عقلي وهو أنه لو لم يكن الإجماع حجةً لما أجمعوا على القطع بتخطئة المخالف للإجماع واللازم باطل، أما الملازمة فلأن العادة تحكم قطعاً بأن جميعهم لا يجتمعون على القطعي في شرعي بمجرد التواطؤ أو ظن فهناك قاطع بلغهم فالمخالف مخطئ فالإجماع حق وأورد عليه أن قولكم أجمعوا على تخطئة المخالف فيكون حجةً فيه مصابرة؛ لأنه إثبات الإجماع بالإجماع، وإن أردتم أن الإجماع دل على نص قاطع في تخطئة المخالف ففيه إثبات

³⁶⁰ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ): "نهاية السؤل شرح منهاج الوصول"، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ - 1999م، ص 287.

الإجماع بنص يتوقف على الإجماع وهو مصادرة أيضًا. وأما ما قيل إن تعديل الله تعالى إياهم لا ينافي صدور الصغيرة عنهم؛ لأنها لا تقدر في العدالة فيجوز أن يكون إجماعهم من جملة صغائرهم فمدفوع بأن الإصرار مناف للعدالة والمجمعون مصررون، وكذا ما قيل إن الآية تفيد عدالتهم وقت الشهادة؛ لأنها إنما تعتبر حال الأداء لا حال التحمل ومعلوم أن شهادتهم في الآخرة فلا تجب عصمتهم في الدنيا حتى يكون اتفاقهم حجة؛ لأنه لا مزية لهم حينئذ على غيرهم مع أن الآية سبقت لتمدحهم فإن جميع الأمم يكونون كذلك لاستحالة ارتكاب الخطأ يوم القيامة، وما أجاب به الإمام في المحصول بأنه لو أريد صيرورتهم عدولاً في الآخرة لقل سنجعلكم أمةً وسطاً لا يتم؛ لأن الأمر الواجب الوقوع في حكم الواقع .³⁶¹

³⁶¹ حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ): "حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع" دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ، 2 / 232.



المبحث الثاني

وإياكم والغلو في الدين

إن وسطية الإسلام من أبرز خصائصه، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } [البقرة: 143]، ولذلك يقدم الإسلام المنهج الوسط في كل الشؤون الحياتية، بل يحذر من الغلو والتقصير. وصور هذه الوسطية ومظاهرها في الدين كثيرة، وهي شاملة لجميع نواحي الحياة، فكل أمر من أوامر الإسلام ونواهيه جاء وفقاً للعدل والحكمة الإلهية. ولذلك فالأصل في الإسلام مخالفة الغلو، فهو دين الوسطية والإعتدال والتسامح.³⁶²

الوسطية الأخلاقية:

سُئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن»، وقد أثنى الله على رسوله، صلى الله عليه وسلم فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:4) . أما المعاملة فهي قرينة الأخلاق، حيث إن معاملة المرء نتاج طبيعي لأخلاقه، ولقد رسم القرآن المنهج السوي لما يجب أن تكون عليه أخلاق المسلم ومعاملاته. وهذا الباب يسوده الغلو والجفاء، ويندر فيه المنهج

³⁶² عبد الرحمن بن معلا اللويحق: " الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية"، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412 هـ - 1992م، ص 25 - 33.

الوسط، ولذلك فقد عني القرآن الكريم به عناية خاصة، وجاءت الآيات تترى توضح هذا المنهج، وتدعو إليه، وتربي الأمة عليه، وتحذر مما يضاده غلوًا أو جفاءً، إفراطاً أو تفريطاً. الكبر والطغيان خلق نميم، ذمه الله في أكثر من موضع في كتابه، لما له من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع، والكبر خروج عن المنهج الوسط إلى الإفراط والغلو وحب الذات. والتفريط في حق الآخرين. قال - تعالى - مبيناً أثر الكبر على الإنسان، وكيف أنه يؤدي إلى الحيلولة بينه وبين الإيمان. {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر: 56). قال ابن كثير في تفسير الآية: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} (غافر: من الآية 35) أي: يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة، بلا برهان ولا حجة من الله {إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ} (غافر: من الآية 56) أي: ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به .³⁶³

وقال - تعالى - : {وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} (غافر: 27). وقال: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} (غافر: من الآية 35). وقال: {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر: من الآية 60) وقال: {قَلْبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} (النحل: من الآية 29). وقال - سبحانه - : {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} (الإسراء: 37). ومن وصايا لقمان لابنه كما ذكر الله عز وجل {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (لقمان: 18). ومن الآيات التي جاءت تنهي عن بعض الأخلاق الممقوتة، قوله - تعالى - :

³⁶³ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، ص 278 - 288.



{وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان:19) . ونهى الله - سبحانه - عن كتمان الشهادة لما لها من آثار في إضاعة الحقوق وسوء المعاملة بين الناس، فقال - جل وعلا - : {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} (البقرة: من الآية 283)³⁶⁴.

الوسطية المالية:

قضية المال من القضايا الكبرى التي عني بها الإسلام كسبًا، وحفظًا، وإنفاقًا. وذلك أن المال عصب الحياة، وهو بالنسبة للحياة الدنيا كالماء الذي يمشي في غصون الشجر، وكالدماغ التي تجري في عروق البشر. ولذلك جاء القرآن الكريم مبينًا خطورة هذا الانحراف، وهاديًا إلى الصراط المستقيم. وفي ضوء المنهج الذي أشرت إليه مرارًا، سأذكر بعض ما ورد في كتاب الله من آيات تبين خطوط الانحراف، وطريق الوسط الذي يجب أن يسلكه المؤمنون. ولقد سلك الناس - ولا يزالون - مسالك شتى في هذا المال، كسبًا، وجمعًا، وإنفاقًا. والكثرة الكاثرة، والغالبية العظمى ضلوا الطريق، وحادوا عن سواء السبيل. فمن الأمثلة جمع المال وحبه: وردت عدة آيات تبين خطورة الانهماك في جمع المال والمبالغة، والإفراط في حبه، وقد وردت هذه الآيات في سياق الذم لذلك. ومن تلك الآيات: قال - تعالى - : {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} (الفجر:19، 20)³⁶⁵.

قال - سبحانه - : {اعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

³⁶⁴ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، ص 280 - 281.

³⁶⁵ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، ص 293.

يَكُونُ حُطَامًا} (الحديد: من الآية 20) . هذه بعض الآيات التي تبين خطوط الانحراف عن الصراط المستقيم في جمع المال وحبه، والآيات كثيرة جدًا. وقصة قارون فيها العظة والعبرة، والتحذير من الإفراط في حب الدنيا، وعدم أداء حق الله فيها: {وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} (القصص: من الآية 76) ثم يذكر الله حالة من حالات بطره وفرحه: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (القصص: 79) . وماذا كانت النتيجة: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} (القصص: 81) ولم يخسر الدنيا فقط بل والآخرة: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص: 83) .³⁶⁶

حول الغلو في الدين:

قال الله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} [النساء: 171] وقال تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141] وقال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا} [البقرة: 229] وقال تعالى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: 190] وقال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: 55] . وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ: رَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ". وقال ابن

³⁶⁶ ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، ص 293 - 297.



عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، غداة العقبة وهو على ناقته:

"الْقُطُّ لِي حَصَى، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمُ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ". رواه الإمام أحمد والنسائي. فنهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن التشديد فى الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالانذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس. فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم. قال أبى بن كعب رضى الله عنه: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله عز وجل فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا تحانت عنه خطاياها كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها. وإن اقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة. فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم". قال البخارى: "وَكِرَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْإِسْرَافَ فِيهِ - يَعْنِي الْوُضُوءَ - وَأَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ: الْإِنْتِئَاءُ". فالفقه كل الفقه الاقتصاد فى الدين، والاعتصام بالسنة. 367

³⁶⁷ محمد بن أبى بكر بن أبوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان"، 1 / 131 - 132.

ولفظ الغلو يستعمل في الزيادة في الشيء قال الله تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [النساء: 171] فالله تعالى واحد فقالوا ثالث ثلاثة فزادوا من ذكر الزوجة والولد فغلوا في دينهم فمن زاد في الدين ما ليس منه فهو الذي ينسب إلى الغلو بخلاف من ترك البدعة وضمها فإنه لم يزد شيئاً على ما قرره الشرع الشريف وقد ذم الله تعالى المسرفين في كتابه بقوله {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31] . 368

وقف - صلى الله عليه وسلم - في موقفه، وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس وهو يلبي في مسيره، وانطلق أسامة بن زيد على رجليه في سباق قريش. وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلقط له حصى الجمار، سبع حصيات، ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده، ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول: " «بأمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. 369»

يتحدث سراج الدين الحنبلي عن قوله تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) }، فيشير إلى: لا تغلوا في دينكم وهو باطل، بل اغلوا فيه وهو حق؛ ويؤيد

³⁶⁸ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ): "المدخل"، دار التراث، بدون طبعة وبدون تاريخ، 4 / 251.

³⁶⁹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415 هـ / 1994م، 2 / 235.



هذا ما قاله الزمخشري؛ فإنه قال: «لأنَّ الغُلُوَّ في الدين غُلُوَانٍ: حقٌّ؛ وهو أن يُفَحَّصَ عن حقائقه، ويُفْتَشَّ عن أبعادِ معانيه، ويُجْتَهَدَ في تحصيله حُجْجَه، وغلُوُّ باطلٌ؛ وهو أن يتجاوز الحقَّ ويتخطَّاه بالإعراضِ عن الأدلة.»³⁷⁰

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الزمخشري يقصد النهي عن الغلو السلبي في الدين عن طريق التشدد والتطرف، بل إن الصحيح فهم حقائق الدين وتطبيقها تطبيقاً صحيحاً .³⁷¹

وينبه القاسمي أن الآية تشير على أن الغلو في الدين غلوَان: (غلو حق) كأن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أبعاد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه و (غلو باطل) وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه.³⁷²

فن الغلو في قوله: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} والغلو: الإفراط في وصف الشيء المستحيل، عقلاً وعادةً، وهو ينقسم إلى قسمين: مقبول وغير مقبول :

³⁷⁰ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) الباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 4 / 465 - 466.

³⁷¹ وانظر : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ): "البحر المحيط في التفسير"، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ، 4 / 335.

³⁷² محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 4 / 218.

القسم الأول: فالمقبول لا بد أن يقربه المتكلم إلى القبول، بأداة التقريب، ويجب على المتكلم أن يسبكه في قالب التخيلات، التي تدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة، كآلية الكريمة، فإن إضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلاً، ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولاً.

والقسم الثاني: وهو الغلو غير المقبول، كقول أبي نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

ومنها: التشبيه التمثيلي الرائع في قوله: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور: 39). وكذلك في قوله: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} (النور: 40). الآية. ووجه التشبيه، أن الذي يأتي به غير المؤمن من أعمال البر، ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى، وليس كذلك، فإذا وفي عرصات القيامة، لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم، والعذاب الأليم. فعظمت حسرته، وتناهى غمه، فشبه حاله بحال الظمان، الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في البر .. تعلق قلبه، فإذا جاءه .. لم يجده شيئاً، فكذلك حال غير المؤمن، يحسب أن عمله نافع، فإذا احتاج إلى عمله .. لم يجده أغنى عنه شيئاً.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: {تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور: 37).
فقد أسند إلى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفرع، وحق الإسناد أن
يكون لصاحبها. ³⁷³

ولما كان الغلو في الدين كغيره من أمور البشر يقوى الاستعداد له في بعض
الناس من كل أمة، بدأ بعض الصحابة المبالغين في العبادة بترك أكل اللحوم، وهم
بعضهم بالاختصاص، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وعن المبالغة في
العبادة، ونزل في شأنهم: لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا (5: 87)
الآيات من سورة المائدة. ولم يمنع ذلك كله بعض المسلمين من الغلو في ترك الزينة
والطيبات، وصار الجاهلون بكنه الإسلام يعدون الغلو في ذلك هو الكمال في الدين،
وأهله من أولياء الله المقربين، وإن كانوا جاهلين خرافيين. ³⁷⁴

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ... }
(77) خاطب الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالنهي عن الغلو في الدين أهل الكتاب، لم يخاطب
أهل الشرك بذلك فيما خاطب بقوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)؛ فكأنه - والله أعلم - قال: لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه
بنسبة الألوهية والربوبية إلى غير الله والعبادة له، وذلك أن أهل الكتاب ادعوا أنهم

³⁷³ ينظر: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي: "تفسير حدائق الروح والريحان
في روابي علوم القرآن"، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت -
لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 19 / 369.

³⁷⁴ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني
(المتوفى: 1354هـ): "القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، 9 /
476 - 477.

على دين الأنبياء والرسل الذين كانوا من قبل، فنهاهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - عن الغلو في الدين. والغلو: هو المجاوزة عن الحد الذي حد، والإفراط فيه والتعمق .³⁷⁵

عقد البخاري في كتابه (باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والعلو في الدين والبدع)، ويراد به باب في بيان ما يكره من التعمق وهو التشدد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه. قوله: والتنازع في العلم، أي: التجادل فيه يعني عند الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل فيه. قوله: والغلو، بضم الغين المعجمة واللام وتشديد الواو وهو التجاوز في الحد، قاله الكرمانى. قلت: الغلو فوق التعمق وهو من غلا في الشيء يغلو غلواً، وغلا في السعر يغلو غلاءً، وورد النهي عنه صريحاً فيما أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس، قال: قال رسول الله فذكر حديثاً وفيه: وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين، وهو مثل البحث في الربوبية حتى يحصل نزعة من نزعات الشيطان فيؤدي إلى الخروج عن الحق، والذين غلوا في الفكرة آل بهم الأمر إلى أن جعلوا آلهة ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قوله: والبدع جمع بدعة وهي ما لم يكن له أصل في الكتاب والسنة، وقيل: إظهار شيء لم يكن في عهد رسول الله ولا في زمن الصحابة، رضي الله تعالى عنهم .³⁷⁶

وذكر ابن حجر في شرحه على البخاري وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلواً وغلا

³⁷⁵ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ): "تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)"،

3 / 569.

³⁷⁶ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ):

"عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ، 25 / 37.



السعر يغلو غلاءً إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوًا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى وورد النهي عنه صريحًا فيما أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه بن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً في حصى الرمي وفيه: " وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين"، وأما البدع فهو جمع بدعة وهي كل شيء ليس له مثال تقدم فيشمل لغةً ما يحمد ويذم ويختص في عرف أهل الشرع بما يذم وإن وردت في المحمود فعلى معناها اللغوي. وعن (باب ما يكره من التعمق والتنازع) في البخاري، قال ابن حجر: زاد غير أبي ذر في العلم وهو يتعلق بالتنازع والتعمق معاً كما أن قوله والغلو في الدين والبدع يتناولهما وقوله لقول الله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } (النساء: 117)، صدر الآية يتعلق بفروع الدين وهي المعبر عنه بالعلم وما بعده يتعلق بأصوله فأما التعمق فهو بالمهملة وبتشديد الميم ثم قاف ومعناه التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه، على الوصال في الصيام حيث قال حتى يدع المتعمقون تعمقهم وأما التنازع فمن المنازعة وهي في الأصل المجادبة ويعبر بها عن المجادلة والمراد بها المجادلة عند الاختلاف في الحكم إذا لم يتضح الدليل والمذموم منه اللجاج بعد قيام الدليل .³⁷⁷

نقل ابن القيم عن قال صاحب " المنازل " : الأدب: حفظ الحد، بين الغلو والجفاء، بمعرفة ضرر العدوان. هذا من أحسن الحدود. فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء: هو قلة الأدب. والأدب: الوقوف في الوسط بين الطرفين، فلا يقصر

³⁷⁷ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري". دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 13 / 278.

بحدود الشرع عن تمامها. ولا يتجاوز بها ما جعلت حدوداً له. فكلاهما عدوان. والله لا يحب المعتدين. والعدوان: هو سوء الأدب. وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. فإضاعة الأدب بالجفاء: كمن لم يكمل أعضاء الوضوء. ولم يوف الصلاة آدابها التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعّلها. وهي قريب من مائة أدب: ما بين واجب ومستحب. وإضاعته بالغلو: كالوسوسة في عقد النية. ورفع الصوت بها. وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على ما يظنه سراق الصلاة والنقارون لها ويشتهونه. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه. وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصفات، ويأمرهم بالتخفيف وتقام صلاة الظهر، فيذهب الذاهب إلى البقيع، فيقضي حاجته. ويأتي أهله ويتوضأ. ويدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى. والجهر بالأذكار والدعوات التي شرعت سرّاً. وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه. كالشهاد الأول والسلام الذي حذفه سنة. فهذا هو التخفيف الذي أمر به. لا نقر الصلاة وسرقها. فإن ذلك اختصار، بل اقتصار على ما يقع عليه الاسم. ويسمى به مصلياً، وهو كأكل المضطر في المخمصة ما يسد به رمقه: فليته شبع على القول الآخر، وهو كجائع قدم إليه طعام لذيذ جداً. فأكل منه لقمةً أو لقمتين. فماذا يغنيان عنه؟ ولكن لو أحس بجوعه لما قام من الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك. لكن القلب شبعان من شيء آخر.³⁷⁸

وفي حديثه عن (درجات التعظيم)، وتحديداً في (الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهي)، نقل ابن قيم الجوزية قول صاحب " المنازل " رحمه الله: " التعظيم: معرفة

³⁷⁸ ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 2 / 370.



العظمة، مع التذلل لها. وهو على ثلاث درجات. الأولى: تعظيم الأمر والنهي، وهو أن لا يعارضا بترخص جاف. ولا يعرضا لتشدد غال. ولا يحمل على علة توهن الانقياد. هاهنا ثلاثة أشياء، تنافي تعظيم الأمر والنهي. أحدها: الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال. والثاني: الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي. فالأول: تفريط. والثاني: إفراط. وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه. كالوادي بين جبلين. والهدى بين ضلالتين. والوسط بين طرفين ذميمين. فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له. هذا بتقصيره عن الحد. وهذا بتجاوزه الحد. " 379

وأضاف ابن القيم: وقد نهى الله عن الغلو بقوله: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [المائدة: 77]. والغلو نوعان: نوع يخرج عن كونه مطيعاً. كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً، أو نحو ذلك عمداً. وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار. كقيام الليل كله. وسرد الصيام الدهر أجمع. بدون صوم أيام النهي. والجور على النفوس في العبادات والأوراد، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. فسددوا وقاربوا ويسروا. واستعينوا بالغدوة والروحة. وشيء من الدلجة» يعني استعينوا على طاعة الله بالأعمال في هذه الأوقات الثلاثة. فإن المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها. وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه

³⁷⁹ ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 2 / 464 - 465.

وسلم أنه قال: «هلك المتطعون - قالها ثلاثاً - وهم المتعمقون المتشددون. «وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا. «وقال صلى الله عليه وسلم «ليصل أحدكم نشاطه. فإذا فتر فليرقد» رواهما البخاري. 380

روى الإمام أحمد بن حنبل في كتابه: "الزهد" عن الحسن قوله: "«وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير» 381

ومن أمثلة الغلو في الدين مسح الرقبة في الوضوء، قال الصاوي المالكي: "ويكره مسح الرقبة في الوضوء؛ لأنه من الغلو في الدين، فهو بدعة مكروهة خلافاً لمن قال بنديه. " 382

ومنه "الغسل أو المسح على محل الفرض لأنها من الغلو في الدين ويندب التجديد وإدامة الطهارة (و) لا يندب (مسح الرقبة بالماء) بعد مسح الأذنين بل يكره لأنه من الغلو في الدين. " 383

والمصلي لا يغطي أنفه، " ويكره أيضاً التلثم بأن يغطي شفته السفلى؛ لأنه من الغلو في الدين وهو مناف للخشوع، وأما في غير الصلاة فإن كان الفاعل عادته ذلك

³⁸⁰ ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 2 / 465.

³⁸¹ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "الزهد"، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 229.

³⁸² ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ): "بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)"، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ، 1 / 128.

³⁸³ ينظر: محمد بن أحمد بن محمد عيش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ): "منح الجليل شرح مختصر خليل"، دار الفكر - بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م، 1 / 96.



فلا كراهة حيث كان ممن عرفوا بذلك، ويستحب تركه في الصلاة، وأما من لم تكن عاداته ذلك فيكره له حتى في غير الصلاة؛ لأنه من فعل المتكبرين . " 384

(ولا تتدب إطالة الغرة) أي الإطالة فيها والمراد بالإطالة الزيادة والمراد بالغرّة المغسول فكأنه قال ولا تتدب الزيادة في المغسول على محل الفرض، وإنما يندب دوام الطهارة والتجديد لها، ويسمى ذلك أيضاً إطالة الغرة كما حمل عليه قوله: - عليه الصلاة والسلام - «من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل». وإطالة الغرة الزيادة في غسل أعضاء الوضوء على محل الفرض بل يكره لأنه من الغلو في الدين وإنما يندب دوام الطهارة والتجديد . 385

ومن الغلو المغالاة في الصداق كالمغالاة فيه، والمعنى أن التغالي في الصداق مكروه وتختلف أحوال الناس فيه فرب امرأة يكون الصداق بالنسبة إليها قليلاً وإن كان في نفسه كثيراً ورب امرأة يكون الصداق بالنسبة إليها كثيراً ولو كان قليلاً في نفسه وكذلك الرجال فالرخص فيه والمغالاة ينظر فيهما لحال الزوجين والمغالاة ليست على بابها مثل سافر؛ لأن الغلو لا يطلبه الزوج بل المرأة أو وليها فقط وكذلك يكره الأجل في الصداق ولو إلى سنة لئلا يتدرع الناس إلى النكاح بغير صداق ويظهرون أن هناك صداقاً ثم تسقطه المرأة ولمخالفة السلف . 386

³⁸⁴ أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي (المتوفى: 1126هـ): "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م، 1 / 216.

³⁸⁵ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: 1230هـ): "حاشية الدسوقي على الشرح الكبير"، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ، 1 / 103.

³⁸⁶ محمد بن عبد الله الخرشى المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ): "شرح مختصر خليل للخرشي"، دار الفكر للطباعة - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، 3 / 269.

وبحث الفقهاء في صوم يوم الشك فصل في صوم يوم الشك، وبينوا أن الإختلاف في صوم يوم الشك على وجه التطوع، وعلى وجه الاحتياط خوفاً أن يكون من رمضان، وفي الإجزاء به إن ثبت بعد ذلك أنه من رمضان، فأجاز مالك صومه على وجه التطوع، ومنعه على وجه الاحتياط أن يكون من رمضان .

وأجازت عائشة - رضي الله عنها - وأسماء صومه على وجه الاحتياط، قالت عائشة - رضي الله عنها - : "لأن أصوم يوماً من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوماً من رمضان"، وأجاز ذلك عبد الله، بن عمر، وأحمد بن حنبل في الغيم دون الصحو.

وقال محمد بن مسلمة: من شاء صامه ومن شاء أفطره. يريد: يصومه متطوعاً. قال: ويكره أن يؤمر الناس بفطره لئلا يظن أنه يجب عليه فطر قبل الصوم كما يجب بعده، وقيل: يكره صومه تطوعاً؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا تقدموا الشهر بيوم أو يومين. . ." وحمل الحديث على عمومته.

ويرى الفقيه اللامي جواز صومه على وجه التطوع؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - لأحد أصحابه: "هل صمت شيئاً من هذا الشهر - يعني: شعبان؟ قال: لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين". ولا يجوز على معنى الاحتياط أن يكون من رمضان مع الصحو؛ للحديث في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تقدموا الشهر بيوم ولا بيومين. . ."، ولأن ذلك من الغلو والتعمق في الدين والاحتياط في غير موضع شبهة، ويجوز مع الغيم بل يؤمر به على طريق الوجوب أو الاستحسان، قياساً على الشك



في الفجر مع الغيم، فلم يختلف المذهب أنه لا يكره بل يؤمر به على وجه الوجوب أو الاستحسان . 387

وذكر الفقهاء أن لا حرج على المعلم المعلم هل يذهب إلى قريته لإصلاح ضيعته فيقيم عن صبيانه اليومين والثلاثة، قال محمد بن رشد: هذا بين على ما قال: إن الأمر في ذلك واسع؛ لأنه المعروف من الفعل الذي جرى عليه الناس، فالتضييق فيه والتخرج منه من الغلو في الدين والحرص الذي رفعه الله عن عباده المسلمين؛ لقوله عز وجل: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: 78] . ومن كتاب الجامع وسئل عن المعلم: هل يذهب إلى قريته لإصلاح ضيعته، فيقيم عن صبيانه اليومين والثلاثة ونحو ذلك، قال: نعم، يفعل ذلك إن شاء، وقد يفعل ذلك القاضي وهو أجير المسلمين، وقاله أصبغ، وقد يستراح بمثل ذلك المرة بعد المرة في القرية . 388

³⁸⁷ علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: 478 هـ): "التبصرة"، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، 2 / 776.

³⁸⁸ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520 هـ): "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، حققه: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 4 / 252.

الفصل الثالث

سمحاً

في السماحة الدينية



المبحث الأول

في مفهوم السماحة الدينية

جاء في اللغة [سمح] ورجل سمح بين السماحة من قوم سمحاء أجواد يقال: سمح سماحة إذا صار سمحاً. والسماح: الجود. وسمح لي بالشيء إذا جاد به فهو سمح. وأسمح الدابة بقياده إذا انقاد بعد تصعب. وقد سمت العرب سمحاً وسميحاً. ومن أمثالهم: اسمح يسمح لك وقطع قوم هذه الألف فقالوا: أسمح يسمح لك.³⁸⁹

وجاء أيضاً [سمح] فيه: "إسمحو" لعبدى كإسماحه إلى عبادي، هو لغة في السماح، سمح وأسمح إذا حاد وأعطى من كرم وسخاء، وقيل: سمح كما مر، وأسمح يقال في المتابعة والانقياد، يقال أسمحت نفسه انقادت، والمسامحة المساهلة. وفيه: "اسمح يسمح" لك، أي سهل يسهل عليك. ومنه ح: "السماح" رباح، أي المساهلة في الأشياء يربح صاحبها. ك: أنن أذناً "سمحاً" هو بسكون ميم أي بلا نغمات ولا تطريب. ش: كان "سمحاً" سهلاً، بفتح سين وسكون ميم أي جواداً. ط: الصبر و"السماحة" أي الإيمان الصبر عن المعاصي والسماحة على أداء الطاعات. وفيه: ليكون "أسمح" لخروجه، يعنى كان ينزل بالأبطح فيترك به ثقله ومتاعه ثم يدخل مكة ليكون خروجه منها إلى المدينة أسهل، وليس نزوله بنسك واجب ولذا قال: افعل ما

³⁸⁹ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ): "جمهرة اللغة"، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار

العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، 1 / 535.

يفعل أمراؤك. وفيه: ولكن بالحنيفية "السمة" أي ما بعثت بالرهبانية الشاقة ولكن بكذا. 390

و"سَمَحَ" لي بالشيء سَمَاحَة وافقني على ما طلبت وأيضاً أعطاني وما كان سَمَحا ولقد "سَمُح". 391

وقال اخرون: السماحة - الجود سمح سماحة وسموحة وسماحا وسموحاً وسمحاً وسماحاً ورجال سماح ورجل مسماح وتسمح في الأمر - سهله، ابن السكيت، هو أسمح من لافظة - وهي التي تزق فراخها لا تبقي في حوصلتها شيئاً وقيل يعني بذلك البحر وقيل الديك لأنه يلقي ما في فيه لدجاجته وقيل هي الشاة إذا أشلوها تركت جرتها وأقلت إلى الحلب، صاحب العين، رجل أبلج وبلج - طلق بالمعروف، ابن دريد، تبلج الرجل إلى الرجل - ضحك، وقال، رجل لهميم ولهموم - جواد، ثعلب، رجل خذم العطاء - سمح بذلك والجميع خذمون وقد تقدم في حسن الخلق والخال - الرجل السمع يشبه بالغيم الذي يبرق وقيل هو غيم ينشأ يتخيل لك أنه ماطر ثم يعدوك، ابن السكيت. وقال أحمد بن يحيى رجل سمح - كريم ورجال سمحاء كسروه على فعلاء لأن أكثر هذا الباب على فعيل نحو كريم وسخي، وقال، امرأة سمح ونسوة

³⁹⁰ جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفُتَي الكجراتي (المتوفى: 986هـ): ،مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار"، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م، 114 / 3.

³⁹¹ علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطّاع الصقلي (المتوفى: 515هـ): "كتاب الأفعال"، عالم الكتب، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، 2 / 150.



سماح، أبو عبيد، سمح لي بذلك يسمح سماحة - واقني عليه وسمح لي - أعطاني وما كان سمحاً ولقد سمح وحكى الزجاج سمح وأسمح .³⁹²

يُبين المفسر الطاهر بن عاشور بعضاً من مفاهيم التسامح الواردة في القرآن الكريم، وذكر أنه ورد في الصحيح وفي حديث المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فظهر عليه أنه لم يقبلها وأن رجلاً من أصحابه قال له: إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها. قال: هل عندك ما تصدقها؟ إلى أن قال له صلى الله عليه وسلم «إلتمس ولو خاتماً من حديد» قال: ما عندي ولا خاتم من حديد، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ما معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا لسور سماها. قال له: قد ملكتها بما معك من القرآن. وفي رواية أن النبي أمره أن يعلمها عشرين آيةً مما معه من القرآن وتكون امرأته. فإن صحت هذه الزيادة كان الحديث جاريًا على وفق ما في هذه الآية وكان حجةً لصحة جعل الصداق إجارةً على عمل، وإن لم تصح كما هو المشهور في كتب الصحيح فالقصة خصوصية يقتصر على موردها. ولم يقع التعرض في الآية للعمل المستأجر عليه. وورد في سفر الخروج أنه رعى غنم يثرون (وهو شعيب) ، ولا غرض للقرآن في بيان ذلك. ولم يقع التعرض إلى الأجر وقد علمت أن الظاهر أنه إنكاحه البنت فإذا لم نأخذ بهذا الظاهر كانت الآية غير متعرضة للأجر إذ لا غرض فيه من سوق القصة فيكون جاريًا على ما هو متعارف عندهم في أجور الأعمال وكانت للقبائل عوائد في ذلك .³⁹³

³⁹² أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ): "المخصص"، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ، 1996م، 1 / 245.

³⁹³ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): "التحرير والتتوير" تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، 20 / 108.

ويضيف الطاهر بن عاشور وقوله: { فَإِنْ أَنْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ } (القصص: 27) جعل ذلك إلى موسى عليه السلام تفضلاً منه أن اختاره ووكله إلى ما تكون عليه حاله في منتهى الحجج الثمان من رغبة في الزيادة. و (من) ابتدائية. و (عند) مستعملة في الذات والنفس مجازاً، والمجرور خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: فإتمام العشر من نفسك، أي لا مني، يعني: أن الإتمام ليس داخلاً في العقدة التي هي من الجانبين فكان مفهوم الظرف معتبراً هنا. واحتج مالك بقوله: "إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين" على أن لأب إنكاح ابنته البكر بدون إذنها وهو أخذ بظاهرها إذ لم يتعرض لاستئذانها. ولمن يمنع ذلك أن يقول: إن عدم التعرض له لا يقتضي عدم وقوعه. وقوله: { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } (القصص: 27)، يريد الصالحين بالناس في حسن المعاملة ولين الجانب. قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تركية النفس المنهي عنه لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداع حسن كما قال يوسف: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمِ } [يوسف: 55]. وأشق عليك معناه: أكون شاقاً عليك، أي مكلفك مشقةً، والمشقة: العسر والتعب والصعوبة في العمل. والأصل أن يوصف بالشاق العمل المتعب فإسناد أشق إلى ذاته إسناد مجازي لأنه سبب المشقة، أي ما أريد أن أشترط عليك ما فيه مشقتك. وهذا من السماحة الوارد فيها حديث: «رحم الله امرأً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى..» 394

³⁹⁴ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): "التحرير والتتوير" تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، 20 / 108 - 109.



وبين المفسر القاسمي أن الله سبحانه وتعالى جعل النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً وسمحاً، وذكر ذلك في تأويل قوله تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) } (سورة آل عمران (3) : آية 159). { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ } أي للذين تولوا عنك حين عادوا إليك بعد الانهزام، وللمؤمنين عموماً كما قال تعالى: { بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤْفٌ رَحِيمٌ } [التوبة 128]، [الغضب الموجب للعنف والسطوة لا سيما مع اعتراض من اعترض على ما أشار به، إلا بسبب رحمة عظيمة وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا أي سيئ الخلق خشن الكلام غَلِيظَ الْقَلْبِ أي قاسيه وشديدة. تعاملهم بالعنف والجفا لَانْفَضُّوا أي تفرقوا مِنْ حَوْلِكَ فلم يسكنوا إليك فلا تتم دعوتك. ولكن الله جعلك سهلاً سمحاً طلقاً لينا لطيفاً باراً رؤوفاً رحيماً. فَاعْفُ عَنْهُمْ أي فيما فرطوا في حَقِّكَ كما عفا الله عنهم وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إتماماً للشفقة عليهم وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ أي أمر الحرب وغيره تودداً إليهم وتطيباً لنفوسهم واستظهاراً بأرائهم وتمهيداً لسنة المشاورة في الأمة. وقد ساق العلامة الرازي وجوهاً أخرى في فائدة أمره تعالى له عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم. ومنها: أن الأمر بمشاورتهم لا لأجل أنه صلى الله عليه وسلم محتاج إليهم، ولكن لأجل أنه إذا شاورهم في الأمر اجتهد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصح في تلك الواقعة فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصح الوجوه فيها، وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله. وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد. ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم، وإن كان أكمل الناس عقلاً، إلا أن علوم الخلق متناهية. فلا يبعد أن يخطر

ببإل إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله. لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا. فإنه صلى الله عليه وسلم قال: " أنتم أعرف بأمور دنياكم." ³⁹⁵

ويقول الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي في بيان معنى قوله تعالى: (وليعفوا وليصفحوا)، يقول الله تبارك وتعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا} (النور: 22)، أصل العفو: الطمس، ومنه قولهم: عَفَتِ الرِّيحُ الأثرَ إذا طَمَسَتْه وَأزَالَتْه. وقوله: (وَلْيَعْفُوا) : ذلك أن الإنسان إذا أذنب آخر في حقه ولم يؤاخذه بذلك الذنب، فكأنه قد محأ أثر ذلك الذنب، فلذلك يقال: عفا عنه، وقال بعض العلماء: العفو بالأقوال، والصفح بالأفعال. فالصفح مأخوذ من صفحة العنق، وهو أن يعرض الإنسان عن الشيء الذي لا يريد، يقال: أعرض عنه صفحاً أي: أعرض عنه فلم يؤاخذه بما قال، وكل ذلك كناية عن عدم المؤاخذه. يقول الله تبارك وتعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا} : وفي هذه الآية الكريمة دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون سمحاً ليناً حليماً رحيماً رفيقاً بإخوانه، فإذا حصلت الزلة والأذية من أخيه، فإنه ينبغي له إذا كان يرجو رحمة الله ويطمع فيما عنده عز وجل أن يقابل الإساءة بالإحسان، وأن لا يقابل الإساءة بالإساءة فذلك أكمل. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث متكلم في سنده ولكن لا تبعد صحة منته أنه " إذا كان يوم القيامة نادى منادي الله عز وجل: مَنْ كان أجره على الله فليقم، فتقول الملائكة: وَمَنْ هذا الذي أجره على الله؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فلا يقوم إلا مَنْ عفا عن ذنب" ³⁹⁶.

³⁹⁵ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، 2 / 447.

³⁹⁶ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: "تفسير سورة النور"، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة



ويبين الشنقيطي أن الإنسان إذا عفا عن غيره، وكان عفوه لوجه الله عز وجل، -رجاء ما عند الله تبارك وتعالى- فإنه يرجى له مثوبة الله عز وجل، ولذلك رغب الله عز وجل في العفو والصفح لوجهه، وهذا هو شأن الفضلاء والأخيار والنبلاء أنهم يبادلون الإساءة بالإحسان، ولا يبادلون الإساءة بالإساءة، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقابل الإساءة بالإحسان، ولا يقابل السيئة بالسيئة، وكان هذا من وصفه في الكتب السماوية التي قبله أنه عليه الصلاة والسلام يعفو عن أساء إليه، ولا يؤاخذ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاءه أعرابي فأخذ بطرف قميصه عليه الصلاة والسلام حتى أثر في صفحة عنق النبي صلى الله عليه وسلم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم له ولم يزد على ذلك، ولذلك قال بعض العلماء: إن الإنسان إذا أساء إليه أحد فإن شاء أخذ حقه في الدنيا، وإن شاء أن يؤخر حقه إلى الآخرة أخره، فإن أخر حقه إلى الآخرة فهو مخير بين فضلين، أحدهما أعظم من الآخر: أما الأول: فهو أن يرضى أن يقتص الله له ممن ظلمه، وهذا أدنى الفضلين. وأما الفضل الأعلى: فهو أن يعفو عنه ويحتسب الأجر عند الله، قال بعض لعلماء: من عفا عن الذنب لوجه الله، فإنه يُرجى له من مثوبة الله أكثر مما يعطاه لو أخذ من حسنات من ظلم .³⁹⁷

والله تبارك وتعالى ندب عباده إلى العفو، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134] أي: يحب من كان بهذه الصفة من

³⁹⁷ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: "تفسير سورة النور"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

العفو عن الناس. ولذلك كان من الخطأ وصف من عفا عن حقه بكونه جباناً، بل لا يؤمن على من يتفوه بذلك أن يكون مخالفاً لهديه عليه الصلاة والسلام، ولذلك أنكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاعتقاد، بل إنه صلى الله عليه وسلم أنكره بأسلوب عجيب، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفَعَه" قال بعض العلماء: قوله: "ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً" قال: إن الناس تظن أن العفو ذلٌّ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العفو عزة، ولذلك تجد الإنسان إذا عفا عن أساء إليه دلٌّ ذلك على قوة شكيمته وإرادته وتحمله؛ لأن ذلك من صنيع الرجال الكاملين في الرجولة أن يتحملوا الأذى، ولذلك سُئل الأحنف بن قيس ذات يوم، قال له رجل فضولي: "سُدَّتْ قومك وأنت قصير دميم الخُلقة؟! قال رحمه الله: بتركي لِمَا لا يعنيني كما عَنَّاك من أمري ما لا يعنيني". إن هذه الآية الكريمة أدبت عباد الله المؤمنين فتخلقوا بخلق الصفح، خاصة إذا كان الإنسان ممن يُقتدى به، كأهل العلم وطلابه، فهم أحق الناس بسعة ورحابة الصدر؛ تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومن العجيب الغريب أن الناس انعكست عندهم المفاهيم، وانقلبت لديهم الموازين! فأصبح الذي يعفو عن الناس، ويتجاوز عن إساءتهم يوصف بكونه ضعيفاً وجباناً، وبكونه لا يستطيع الانتقام لنفسه، حتى ربما وصفوه بكونه امرأة وهو رجل، وهذا كله مما حرمه الله عز وجل لأنه يفضي إلى تزهد الناس في العفو والصفح الذي يوجب ألفة القلوب واتحاد الكلمة.³⁹⁸

³⁹⁸ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: "تفسير سورة النور"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة



ولذلك نجد أن الدين يسر وسماحة، يقول ابن كثير في تأويل قوله تعالى: {وَتُبَيِّرُكَ لِلسُّرَى} (الأعلى: 8) نسهل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.³⁹⁹

وعن مالك، عن يحيى بن سعيد أنه سمع محمد بن المنكدر، يقول: «أحب الله عبداً سمحاً إن باع، سمحاً إن ابتاع، سمحاً إن قضى، سمحاً إن اقتضى». قال مالك: «في الرجل يشتري الإبل أو الغنم، أو البز أو الرقيق أو شيئاً من العروض جزافاً، إنه لا يكون الجزاف في شيء مما يعد عداً» قال مالك: " في الرجل يعطي الرجل السلعة يبيعهها له، وقد قومها صاحبها قيمة، فقال: إن بعته بهذا الثمن الذي أمرتك به فلك دينار، أو شيء يسميه له يتراضيان عليه، وإن لم تبعها فليس لك شيء، إنه لا بأس بذلك، إذا سمى ثمناً يبيعهها به، وسمى أجراً معلوماً إذا باع أخذه، وإن لم يبيع فلا شيء له " قال مالك: «ومثل ذلك أن يقول الرجل للرجل إن قدرت على غلامي الأبق أو جئت بجملتي الشارد فلك كذا وكذا، فهذا من باب الجعل وليس من باب الإجارة، ولو كان من باب الإجارة لم يصلح» قال مالك: " فأما الرجل يعطي السلعة، فيقال له: بعها ولك كذا وكذا في كل دينار لشيء يسميه، فإن ذلك لا يصلح، لأنه كلما نقص دينار من ثمن السلعة نقص من حقه الذي سمى له، فهذا غرر لا يدري كم جعل له .

400

³⁹⁹ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 8 / 380.

⁴⁰⁰ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): "موطأ الإمام مالك"، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406 هـ - 1985 م، 2 / 685. وانظر الحديث عند: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): "سنن ابن ماجه"، ت الأرنبوط، المحقق: شعيب الأرنبوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد

حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ خُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ - رَجُلًا مِنْ حِمَيْرٍ - يُحَدِّثُ، عَنْ أَوْسَطَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَوْسَطَ النَّبَلِيِّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّهُ سَمِعَهُ حِينَ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْأَوَّلِ مَقَامِي هَذَا - ثُمَّ بَكَى - ثُمَّ قَالَ: " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهَمَّا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهَمَّا فِي النَّارِ، وَسَلُّوا اللَّهُ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتِ رَجُلٌ بَعْدَ الْيَقِينِ شَيْئًا خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ " ثُمَّ قَالَ: " لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ."

401

وفي رواية لمسلم فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر إسم جامع للخير كله وقيل البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة، والفجور هو الميل عن الإستقامة وقيل الإنبعاث في المعاصي، ومعنى الحديث أن الصدق يوصل إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم بل يصاحبه والكذب يوصل إلى العمل المذموم، فالزموا الصدق واعتصموا به واجتنبوا عن الكذب واحذروا عنه. قوله: " ولا تحاسدوا ولا تباغضوا"، الخ قال النووي: الحسد تمنى زوال النعم وهو حرام والتدابير والمعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره ومعنى كونوا عباد الله إخواناً أي تعاملوا

اللطف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 3 / 321 . معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ): "الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)"، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ / 11 / 459. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، 5 / 585 . محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 3 / 57.

⁴⁰¹ مسند الإمام أحمد بن حنبل، 1 / 198.



وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والمرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال. قال بعض العلماء: وفي النهي عن التباغض إشارة الى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض. قوله: ولا تقاطعوا أي الرحم، قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع تبتتر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسبة تجمعهم رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الإتصال رحماً، والمعنى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها وتعلقها في حديث قامت الرحم. وفي حديث الرحم معلقة بالعرش ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم وحقيقة الصلة العطف والرحمة قال ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ولو قصر عما يقدر عليه ينبغي له لم يسم واصلاً واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها فقليل هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكر والآخر أنثى حرمت مناكحتها فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال.⁴⁰²

قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حُمَيْرٍ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَوْسَطٍ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ

⁴⁰² شرح سنن ابن ماجه، مجموع من 3 شروح

1- مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت 911 هـ)

2- إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت 1296 هـ)

3- ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (1315 هـ)

الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي، 1 / 274.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي هَذَا عَامَ الْأَوَّلِ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَلُوا اللَّهَ
الْمُعَافَاةَ - أَوْ قَالَ: الْعَافِيَةَ - فَلَمْ يُؤْتِ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ - أَوْ
الْمُعَافَاةَ - عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ
الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا
إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ. 403

وفي حديث شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ
حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ
عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ - الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ
- وَهُوَ حَامِلُ الْحَسَنِ أَوْ الْحُسَيْنِ فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ
لِلصَّلَاةِ، فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: رَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا
الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ فِي سُجُودِي،
فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ
سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرِي الصَّلَاةِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى
إِلَيْكَ؟ قَالَ: " كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ
حَاجَتَهُ. 404

⁴⁰³ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"،
المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،
الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 1 / 148.

⁴⁰⁴ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"،
المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،
الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 45 / 613.



وفي التمهيد للحديث عن المقاصد، وتحقيق فعاليتها الخيرة في المجتمعات البشرية، ومن إمعان النظر في المقصد العام من التشريع ومسايرته لحفظ الفطرة، ومجانبته ما يمكن أن يكون سبباً في خرقها واختلالها، يتولّد المقصد العظيم في الشريعة الإسلامية وهو السماحة. ولا بدع في هذا؛ فإن السماحة هي قوام الصفات الفاضلة. فهي منبع الكمالات والاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. يدلّ على ذلك وصف الله تعالى الأمة الإسلامية أو صدرها بها: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}. وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة نذكر منها جملة تشهد بأن من استقرأ الشريعة يحصل العلم بأن السماحة واليسر من مقاصد الدين. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يسراً ولا تعسراً وبشراً ولا تنقراً". وتبعاً لهذا قرر الشاطبي: أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع. وإنما لندرك هنا أن السماحة كان لها الأثر الكبير في انتشار الشريعة وبقائها. فاليسر من الفطرة، ومن الفطرة حب الرفق، وفي ذلك جميعاً رحمة للناس. ومن المقاصد الشرعية المتولدة عن الفطرة حقائق وأوصاف كثيرة نذكر منها المساواة والحرية. ⁴⁰⁵

وقال الزرقاني في شرحه على الموطأ: في الحديث الذي يرويه مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع محمد بن المنكدر يقول: "أحب الله عبداً سمحاً إن باع سمحاً إن ابتاع سمحاً إن قضى سمحاً إن اقتضى"، قال مالك في الرجل يعطي الرجل السلعة يبيعها له وقد قومها صاحبها قيمةً فقال إن بعته بهذا الثمن الذي أمرتك به فلك دينار أو شيء يسميه له يتراضيان عليه وإن لم تبعها فليس لك شيء إنه لا بأس بذلك إذا سمى ثمناً يبيعها به وسمى أجراً معلوماً إذا باع أخذه وإن لم يبيع فلا شيء له قال

⁴⁰⁵ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): "مقاصد الشريعة الإسلامية"،

مالك ومثل ذلك أن يقول الرجل للرجل إن قدرت على غلامي الأبق أو جئت بجملتي الشارد فلك كذا وكذا فهذا من باب الجعل وليس من باب الإجارة ولو كان من باب الإجارة لم يصلح، قال مالك في الرجل يشتري الإبل أو الغنم أو البز أو الرقيق أو شيئاً من العروض جزافاً إنه لا يكون الجزاف في شيء مما يعد عدّاً، قال مالك فأما الرجل يعطى السلعة فيقال له بعها ولك كذا وكذا في كل دينار لشيء يسميه فإن ذلك لا يصلح لأنه كلما نقص دينار من ثمن السلعة نقص من حقه الذي سمي له فهذا غرر لا يدري كم جعل له .⁴⁰⁶

ويبين الصنعاني أن السهولة والتسامح سبب استحقاق الدعاء ويكون أهلاً للرحمة والقضاء والاقتضاء وهو طلب الحق.⁴⁰⁷

ويقول الشيخ عبد الكريم الخضير في شرحه على الموطأ: "سمحاً إن باع" يعني ما يشاد الناس ولا يشاحهم، ومع السماحة البركة في الغالب، والشواهد من أحوال الباعة والمشتريين ظاهر، وحتى العرف التجاري يقتضي هذا؛ لأنه إذا جاء بالسلع وكسب فيها عشرة بالمائة وجاره يكسب خمسين بالمائة، كم يريد يبيع هذا الذي يكسب عشرة؟ وكم يريد بيع من حبة الذي يكسب خمسين؟ هذا يبييع ألف حبة في الشهر، وهذا ما يبييع ولا عشر؟ فإذا ضربت العشرة بالمائة في الألف ظهرت أضعاف مضاعفة عما يكسبه الجار، هذا ظاهر حتى على مستوى التجارات الكبار، وهذه من بركات التساهل، وثمرة السماحة في البيع والشراء. "سمحاً إن ابتاع" يعني إذا جاء إلى

⁴⁰⁶ محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري: "شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

⁴⁰⁷ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التنوير شرح الجامع الصغير"، المحقق: د. محمد إسحاق محمّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، 6 / 244.



المحل وأعجبه السلعة، ف قيل له: بألف ما يقول: مائة، ثم يزيد شيئاً فشيئاً وأخذ وقت كامل من طلوع الشمس إلى الزوال وهو يماكس، يعني إذا قيل له: بثمانمائة، يعني لو نظر وقارن بين محلين أو ثلاثة بسرعة، وشاف أنه ما غبن، واشترى بسرعة هذا لا بأس، يعني ليس المطلوب من الإنسان أن يكون مغفلاً، لكن لا مانع أن يتغافل، فيتترك بعض المماكسة لصاحب المحل يكسب عليه، ويرزق من ورائه شيئاً يسيراً، لكن لا يكون مغفلاً. "سمحاً إن قضى، سمحاً إن اقتضى" سمحاً إن قضى ما عليه من دين لا يماطل، وإن اقتضى أيضاً لا يشاد المدين المدين.⁴⁰⁸

وقال المناوي: (رحم الله عبداً)، دعاء أو خبر وقرينة الاستقبال المستفاد من إذا تجعله دعاء (سمحاً) بفتح فسكون جواداً أو مساهلاً غير مضايق في الأمور وهذا صفة مشبهة تدل على الثبوت ولذا كرر أحوال البيع والشراء والتقاضي إذ قال: (إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى) أي وفي ما عليه بسهولة (سمحاً إذا اقتضى) أي طلب قضاء حقه، وهذا مسوق للحث على المسامحة في المعاملة وترك المشاحنة والتضييق في الطلب والتخلق بمكارم الأخلاق. وقال ابن العربي: فإن كان سيء القضاء حسن الطلب فمطله بما عليه يحسب له في مقابله صبره بماله على غيره . وقال القاضي: رتب الدعاء على ذلك ليدل على أن السهولة والتسامح سبب لاستحقاق الدعاء ويكون أهلاً للرحمة والاعتناء والتقاضي وهو طلب قضاء الحق .⁴⁰⁹

⁴⁰⁸ الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: "شرح الموطأ"، للإمام مالك بن أنس الأصبحي

المدني (المتوفى: 179هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير

[الكتاب مرقم آلياً، رقم الجزء هو رقم الدرس - 187 درساً]، 14 / 119

⁴⁰⁹ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري

(المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356

هـ، 4 / 26.

وبذلك يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض السماح في الشراء بصورة أدبية بليغة على سبيل التحقيق، حين عبر بإذا، التي تفيد الحقيقة لا الشك أو التردد أو الكذب، كما تفيد السماح في الشراء على سبيل الحقيقة في وقوع فعل الشراء في الماضي، الذي يدل على تحقق الوقوع، أي لا بد منه، فقال: "سمًا إذا اشترى"، فيكون سهل المساومة في شرائه، سمًا في تقويم البضاعة والسلعة فلا يبخر قيمتها، ولا يعمل على تطفيف الميزان والكيل وزيادته، فإن ذلك سحت، وأكل الأموال بالباطل، قال تعالى: {وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (هود: 85) ، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (النساء: 29)، وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (العنكبوت: 188) ⁴¹⁰

وعبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن السماح في اقتضاء الدين وقضائه؛ في صورة أدبية بليغة في قوله: "سمًا إذا اقتضى وإذا قضى" فعبر أيضًا بإذا وبالفعل الماضي على سبيل التحقيق في الوقوع والتنفيذ، فيكون الدائن "سمًا" في قضاء حقه، يطلب دينه في لين لا في فظاظة وغلظة، ولا خصومة وشدة، بل دعاه أن يتخلى عن الدين، لإعسار المدين وجعل ذلك من زكاة ماله من سهم الغارمين مصداقًا، لقوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (التوبة: 60)، وأما السماح في قضاء الدين؛ فعلى المدين أن يبر بوعده في رده في الموعد

⁴¹⁰ علي علي صبح: "التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف"، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة:

الأولى: 1423 هـ - 2002م، ص 169.



المحدد، إذا كان قادراً وحيث لا يضطر إلى أسلوب المماطلة فهي ظلم يخل بالمرءة والسماحة، قال صلى الله عليه وسلم: "مطل الغني ظلم"، ورفع في منزلة السخي فقال: "السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار"، وقال أيضاً: "أعطوه دينه أعطوه إن خيركم أحسنكم قضاء".⁴¹¹

ولذلك فمن القيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف:

1- من خصائص الإسلام السماحة والتسامح، والرقّة واللفظ واللين، فليس فظاً ولا غليظاً ولا عنيفاً، ولا متشدداً ولا عسيراً، ولا معقداً ولا متعنّتا.

2- يحث الإسلام على السماحة في البيع والشراء بلا جدال ولا قسم ولا حلف ولا غبن ولا غش، ولا تطفيف في الكيل والميزان، ولا مبالغة في الثمن ولا في الربح.

3- يحث الإسلام على السماحة في اقتضاء الدين أو الحصول عليه من المدين فلا تكلفه ما لا يطيق، بل يمهل، حتى يستطيع قضاءه، أو يتصدق عليه به من سهم الغارمين، دون أن يشعره بالإهانة أو الإذلال؛ لأن هذا حق للسائل والمحروم على الغني.

4- يحث الإسلام على السماحة في قضاء الدين لصاحبه؛ فيعطيه إياه في موعده، ولا يماطل فيه إذا كان قادراً على أدائه، بل يتبعه بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل، حتى يشجعه على أن يتعاون مع غيره بسد حاجته، وقرضه ما يحتاج إليه {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة: 2).

⁴¹¹ علي علي صبح: "التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف"، ص 169.

5- إن من اتصف بالسماحة في هذه الأمور، استحق الدعاء له من الرسول -

صلى الله عليه وسلم، ودعاؤه مستجاب، فلا يصح أن يحرم الإنسان نفسه

من رحمة الله تعالى ورضوانه. 412

وهذا الحديث أصل في باب الحوالة، وأمن حول بحقه على مليء فعليه أن

يتحول، وليس له أن يمتنع. ومفهومه: أنه إذا أحيل على غير مليء فليس عليه

التحول، لما فيه من الضرر عليه. والحق الذي يتحول به: هي الديون الثابتة بالذم،

من قرض أو ثمن مبيع، أو غيرهما. وإذا حوله على المليء فاتبعه: برئت ذمة

المحيل، وتحول حق الغريم إلى من حول عليه. والحديث يشير إلى حسن الاستيفاء،

وأن من له الحق عليه أن يتبع صاحبه بمعروف وتيسير، لا بإزعاج ولا تعسير، ولا

يرهقه من أمره عسراً، ولا يمتنع عليه إذا وجهه إلى جهة ليس عليه فيها مضرة ولا

نقص. فإذا أحاله بحقه على مليء -أي: قادر على الوفاء غير مماطل ولا ممانع -

فليتحول عليه؛ فإن هذا من حسن الاستيفاء والسماحة. ولهذا ذكر الله تعالى الأمرين

في قوله: {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ}

[البقرة:178] ، فأمر صاحب الحق أن يتبع من عليه الحق بالمعروف، والمستحسن

عرفاً وعقلاً، وأن يؤدي من عليه الحق بإحسان. وقد دعا صلى الله عليه وسلم لمن

اتصف بهذا الوصف الجميل، فقال: "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى،

سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى". فالسماحة في مباشرة المعاملة، وفي القضاء،

والاقتضاء، يرجى لصاحبها كل خير: ديني ودنيوي، لدخوله تحت هذه الدعوة المباركة

التي لا بد من قبولها. وقد شوهد ذلك عياناً. فإنك لا تجد تاجراً بهذا الوصف إلا رأيت

الله قد صب عليه الرزق صباً، وأنزل عليه البركة. وعكسه صاحب المعاصرة والتعسير،

412 علي علي صبح: "التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف"، ص 170.



وإرهاق المعاملين. والجزاء من جنس العمل. فجزاء التيسير التيسير. وإذا كان مطل الغني ظلماً: وجب إلزامه بأداء الحق إذا شكاه غريمه. فإن أدى وإلا عزر حتى يؤدي، أو يسمح غريمه. ومتى تسبب في تغريم غريمه بسبب شكايته: فعليه الغرم لما أخذ من ماله، لأنه هو السبب، وذلك بغير حق. وكذلك كل من تسبب لتغريم غيره ظلماً فعليه الضمان. 413

وأورد الطيبي الحديث في باب المساهلة في المعاملات، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)) رواه البخاري. وعن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن رجلاً كان فيمن قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم. قيل له: انظر. قال: ما أعلم شيئاً، غير إنني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر؛ فأدخله الله الجنة)) متفق عليه. الحديث الأول عن جابر رضي الله عنه: قوله: ((سمحاً)) أي سهلاً، وهو صفة مشبهة تدل على الثبوت؛ فلذلك كرر أحوال البيع والشراء والتقاضي. وقال الجوهرى: سمح به أي جاد به، وسمح بالضم فهو سمح وامرأة سمحة، والمسامحة المساهلة. رتب الدعاء عليه؛ ليدل على أن السهولة والتسامح في المعاملة سبب لاستحقاق الدعاء؛ ولكونه أهلاً للرحمة. و ((الاقضاء)) التقاضي وهو طلب قضاء الحق. الحديث الثاني عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: ((فقيل له)) هذا السؤال منه كان في القبر. يحتمل أن يكون ((فقيل)) مسنداً إلى الله تعالى، وأن يكون في القيامة لقوله بعد ذلك: ((أبايع الناس في الدنيا)). وقوله: ((فأدخله الله الجنة)) والفاء في ((فقيل)) عاطفة على مقدر، أي أتاه

⁴¹³ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي: بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار"، ص 107.

الملك ليقبض فقبضه فبعثه الله تعالى، فقال له فأجابه، فأدخله الله الجنة. وعلي التقدير الأول فقبض وأدخل القبر، فتنزع ملائكة الرحمة والعذاب فيه، ف قيل له ذلك، وينصر هذا الوجه الرواية الأخرى ((تجاوزوا عن عبي)). قوله: ((وأجازيهم)) الجوهرى: جزي عني هذا الأمر أي قضى، وتجازيت ديني علي فلان إذا تقاضيته، والمتجازي المتقاضي. فيه فضل إنظار المعسر والوضع عنه قليلاً أو كثيراً، وفضل المسامحة في الاقتضاء من الموسر، وفيه عدم احتقار أفعال الخير، فلعله يكون سبباً للسعادة والرحمة. 414

⁴¹⁴ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ): "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)"، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 7 / 2115 - 2116.



المبحث الثاني

مبدأ رفع الحرج

رفع الحرج: مركب إضافي، تتوقف معرفته على معرفة لفظية، فالرفع لغة: نقيض الخفض في كل شيء، والتبليغ، والحمل، وتقريبك الشيء، والأصل في مادة الرفع العلو، يقال: إرتفع الشيء ارتفاعًا إذا علا، ويأتي بمعنى الإزالة. يقال: رفع الشيء: إذا أزيل عن موضعه.

والحرج في اللغة: المكان الضيق الكثير الشجر، والضيق والإثم، والحرام، والأصل فيه الضيق. تقول رجل حرج وحرج إذا كان ضيق الصدر. وقال الزجاج: الحرج في اللغة أضيّق الضيق، ومعناه أنه ضيق جدًا. فرفع الحرج في اللغة: إزالة الضيق، ونفيه عن موضعه. ثم إن معنى الرفع في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي. قال ابن الأثير: الحرج في الأصل: الضيق، ويقع على الإثم والحرام.

والحرج في الإصطلاح ما فيه مشقة وضيق فوق المعتاد، فهو أخص من معناه اللغوي. ورفع الحرج: إزالة ما في التكليف الشاق من المشقة برفع التكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتخيير فيه، أو بأن يجعل له مخرج، كما سبق في الموسوعة في مصطلح (تيسير). فالحرج والمشقة مترادفان، ورفع الحرج لا يكون إلا بعد الشدة

خلافًا للتيسير. والفقهاء والأصوليون قد يطلقون عليه أيضًا " دفع الحرج " ونفي الحرج⁴¹⁵.

يقصد بالحرج: كل ما يؤدي إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس أو المال حالًا أو مآلًا. فالمراد برفع الحرج: التيسير على المكلفين بإبعاد المشقة عنهم في مخاطبتهم بتكاليف الشريعة الإسلامية. وقد دلت الأدلة على رفع الحرج من الكتاب والسنة حتى صار أصلًا مقطوعًا به في الشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه". فإذا تبين لنا قطعية هذا الأصل، وجب على المجتهد أن يراعي هذه القاعدة فيما ينظر فيه من وقائع ومستجدات، بحيث لا يفتي أو يحكم بما لا يطاق شرعًا من المشاق، كما يجب عليه أن يراعي الترخيص في الفعل أو الترك على المكلفين الذين تتحقق فيهم الأعذار والمسوغات الشرعية المبيحة لذلك، كما في الترخيص في الضروريات أو التخفيف لأصحاب الأعذار ورفع المؤاخذه عنهم.⁴¹⁶

قال الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ { (الحج: 8)، (السمحة) السهلة القابلة للإستقامة المنقادة إلى الله المسلمة أمرها إليه لا تتوجه إلى شيء من الكثافة والغلظة والجمود التي يلزم منها العصيان والسماجة

⁴¹⁵ الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)، الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر،..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، ينظر: 22 / 238.

⁴¹⁶ أ. د. عبد الله بن محمد الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم موسى: "الفقه الميسر"، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج 7 و 11 - 13: الأولى 1432/2011 م، باقي الأجزاء: الثانية، 1433 هـ - 2012 م، 13 / 19.



والطغيان وأنت الخبر مع أن المبتدأ مذكر لأن الحنيفية غلبت عليها الإسمية فصارت علماً وأن أفعل التفضيل المضاف لقصد الزيادة على من أضيف إليه يجوز فيه الإفراد والمطابقة ذكره الكرمانى وقيل: معنى الحنيفية التي تميل بالعبد إلى الله والأحنف الأميل وهو الذي تميل أصابع إحدى رجليه إلى الأخرى فكأنه قال أحب أوصاف أهله إليه أن يميل العبد بقلبه في سائر أحواله وبجوارحه إلى عبادته بحيث يعرض عما سواه ويكون معنى السماحة سهولة الإنقياد إلى رب العباد فيما أمر ونهى فيصبر على مر القضاء وحلوه ويشكر فهذه أحب أوصاف أهل الدين إليه. وقال الحراني: أصل مادة حنف بكل ترتيب تدور على الخفة واللطافة ويلزم هذا المعنى الإنتشار والضمور والميل فيلزمه الإنقياد والإستقامة. واستنبط الشافعي من الحديث قاعدة أن المشقة تجلب التسيير وإذا ضاق الأمر اتسع. إن (أحب الأديان) جمع دين وقد سبق معناه والمراد هنا ملل الأنبياء والشرائع الماضية قبل أن تبدل وتتنسخ وفي رواية للبخاري الدين بالإفراد فإن حمل على الجنس وافق ما هنا وإلا فالمراد أحب خصال الدين لأن خصالها كلها محبوبة لكن ما كان منها سمحاً أو سهلاً فهو أحب إلى الله كما يشهد له خبر أحمد الآتي " خير دينكم أيسره " (إلى الله) دين (الحنيفية) المائلة عن الباطل إلى الحق فهي المستقيمة والحنيفية ملة إبراهيم والحنيف لغة من كان على ملته .⁴¹⁷

إن الغلو في الدين من الحرج الذي ينافي مبدأ التيسير في الدين. ومعلوم أن الدين قد جاء لفرع الحرج. ذكر ابن الجوزي أن أهل التفسير ذكروا أن الحرج في القرآن على ثلاثة أوجه - :

⁴¹⁷ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): "فيض القدير شرح الجامع الصغير"، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356 هـ، 1 / 169.

أحدها: الضيق. ومنه قوله تعالى في المائدة: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، وفي الحج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

والثاني: الشك، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ، وفي الأنعام: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والثالث: الإثم، ومنه قوله تعالى في براءة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . يريد ليس عليهم إثم في تخلفهم عن الغزو. ومثله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ { 418 .

الحرج: الضيق أو أضييق الضيق.

⁴¹⁸ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م، ص 239.



حرج حرجاً: ضاق.

والحرج: الإثم.

حرج: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} (المائدة:6)، أي ضيق وفي قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف: 2)، أي ضيق، ومثله ما في قوله: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: 78).

وأما في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { (التوبة: 91)، فإن المراد به هو الإثم، ومثله في الآيات {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} (النور: 61)، ثلاث مرات و(الأحزاب: 38)، و (الفتح: 17) ثلاث مرات.

وفي قوله تعالى: {لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا { (الأحزاب: 37)، أي إثم أو ضيق وكذلك ما في (الأحزاب: 50).

وخرجاً، { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (النساء: 56)، أي ضيقاً، ومثلها ما في ()
الأنعام: 125) 419

قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:78]، فالله رءوف
رحيم، ما جعل علينا في الدين من حرج.

والحرج: الضيق، ويأتي من المكان الذي لا يجد الإنسان لنفسه مخرجاً، ولذلك
جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية أنه سأله عبيد بن عمير وجاء في
ناس من قومه وقالوا: ما الحرج؟ فقال ابن عباس: أو لستم العرب؟ فسألوه ثلاث مرات
وفي كل ذلك يقول: أو لستم العرب؟ ثم قال: ادعوا لي رجلاً من هذيل فقال: ما الحرج
فيكم؟ فقال: الحرج من الشجر ما ليس له مخرج، يعني: الشجر الملتف إذا دخلت فيه
لم تستطع الخروج منه. ومعنى الحرج هنا: أي لم يجعل الضيق في الدين. وجاء عن
النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (بعثت بالحنيفية السمحة)، والحنيفية ملة إبراهيم،
ودين الإسلام الدين الحنيف، والمسلم حنيف مائل عن الأديان الباطلة إلى الصراط
المستقيم، إلى الدين الحق الذي فيه السماحة وفيه اليسر. فالله عز وجل كان يشدد
على الأمم السابقة بعتوهم وطغيانهم، ومعصيتهم له، وبعدهم عن طاعة رسل الله
عليهم الصلاة والسلام. فلأفة الله بالمؤمنين ورحمته جعل لهم في هذا الدين اليسر

419 حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل: "مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن"،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008 م، 1 / 381.



العظيم، وجعل لهم من قواعده أن الأمر إذا ضاق اتسع، فإذا وجدت الشدة رخص الله لعباده. 420

جاء الإسلام بالأمور التحسينية للناس، ترجع إلى كل ما يجمل حالهم ويجعلها على وفاق ما تقتضيه المروءة ومكارم الأخلاق. وقد شرع الإسلام في مختلف أبواب العبادات والمعاملات، والعقوبات أحكاماً تقصد إلى هذا التحسين والتجميل، وتعود الناس أحسن العادات وترشدهم إلى أحسن المناهج وأقومها. ففي العبادات شرع الطهارة للبدن، والثوب، والمكان، وستر العورة، والإحترار عن النجاسات. والإستتار من البول. وندب إلى أخذ الزينة عند كل مسجد، وإلى التطوع بالصدقة والصلاة والصيام، وفي كل عبادة شرع مع أركانها وشروطها آداباً لها، ترجع إلى تعويد الناس أحسن العادات. وقد دل على ما قصد بهذه الأحكام من التخفيف، ورفع الحرج بما قرنه ببعضها من العلل والحكم التشريعية. كقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ ، وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم: "بعثت بالحنيفية السمحة". وفي المعاملات حرم الغش والتدليس والتغريير والإسراف والتقتير، وحرم التعامل في كل نجس وضار، ونهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه، وعن تلقي الركبان، وعن التسعير، وغير ذلك

⁴²⁰ الشيخ الطبيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريبها موقع الشبكة الإسلامية

مما يجعل معاملات الناس على أحسن منهاج. وفي أبواب الأخلاق وأمّهات الفضائل قرر الإسلام ما يهذب الفرد والمجتمع ويسير بالناس في أقوام السبل. ⁴²¹

ولكن الله سبحانه جعل في المسلمين الحنيفية السمحة، فأعطاها من المسامحة، وأعطاها من اللين ما لم يعط أمة قبلها، فرفع عنها المؤاخذه فيما تبدي في أنفسها أو تخفيه، قال تعالى: {لَلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۗ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:284]، فضاقت ذلك على المؤمنين جداً أن يحاسبوا على ما في أنفسهم وإن أخفوه! فقال الله سبحانه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ ...} [البقرة:286]. فدعا المؤمنون ربهم بذلك، فقال: (قد فعلت) أي: لا أوأخذكم إذا نسيتم، أو أخطأتم إلى آخر الآية. ومن ذلك أيضاً: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (لما سأله رجل: إني حلقت قبل أن أنحر، قال: افعل ولا حرج)، وقال آخر: رميت قبل أن فعل كذا، إفعل ولا حرج. فما سؤل يومئذ عن شيء قدم ولا آخر إلا قال: افعل ولا حرج. ⁴²²

⁴²¹ عبد الوهاب خلاف (المتوفى: 1375هـ): "علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع"، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»، ص 191

⁴²² الشيخ الطيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية" مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]. <http://www.islamweb.net>



وذكر الشاطبي أن الشارع لم يقصد إلى التكاليف بالمشاق الإعنات فيه، والدليل على ذلك أمور: أحدها: النصوص الدالة على ذلك، كقوله تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: 157]. وقوله: {لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ ... الآية [البقرة: 286]. وفي الحديث: "قال الله تعالى: قد فعلت". وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: 78]. {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28]. {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} ... الآية [المائدة: 6]. وقال تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} [البقرة: 286]. وقال سبحانه: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185]. وفي الحديث: "بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ". "وَمَا خَيْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا".⁴²³

وكان من فضل الله سبحانه أن أنعم على هذه الأمة برفع الحرج، قال لنا: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: 78]، فدين الإسلام أن تستسلم لرب العالمين، وتسلم نفسك إليه لتنتفع بذلك، أما الله عز وجل فلا تنتفعه عبادتك، ولكن خلقك إظهاراً لقوته وقدرته سبحانه؛ وليظهر أسماءه الحسنی وصفاته العلی بخلق مخلوقاته فيرحمهم ويتوب عليهم إذا تابوا، فقصدهم تفضلاً منه سبحانه وتعالى. ومن رأفته بخلقه وفضله سبحانه وتعالى أن قدر العباد على ما كلفهم، ولم يكلفهم بما لا يقدر علىه، فمثلاً أمر العباد بخمس صلوات في اليوم واللييلة، والعبد يقدر أن يصلي أكثر من

⁴²³ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ): "الموافقات"، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 2 / 211.

الصلوات الخمس، ولكن الله جعلها خمس صلوات فقط في الفريضة، وما شئت من نوافل. وفي الصيام أمرك بصوم رمضان وأنت تقدر أن تصوم رمضان وزيادة، ولكن لم يزد على ذلك إلا أن يكون كفارة أو نذر من العبد. فالله عز وجل لو شاء لجعل السنة كلها صيام، ولجعل الفطر منها أياماً معدودة، ولكن من فضله ومن كرمه لم يكلف العباد إلا ما يطيقونه بل أقل مما يطيقون.⁴²⁴

إن الله تعالى كما لم يكلف ما ليس في الوسع فما كلف ما فيه الحرج قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} .⁴²⁵

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن خفف عليهم، ونهى عن التشديد في الدين، وهذا الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما أحب أن يصوم الدهر كله، ويقوم الليل كله نهاه النبي صلوات الله وسلامه عليه وقال: "إن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه". والله عز وجل رفع عنا الحرج في الخطأ وفي النسيان، وما استكرهنا عليه. وقد جعل الله سبحانه ما كلفهم به عباده أقساماً ثلاثة: قسم يتعلق بالعقائد، وثان يتعلق بالأفعال، وثالث يتعلق بالمنهيات. ففي العقائد كلفوا أن يؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وينبني على هذا الإيمان أن يعمل رجاء جنة الله سبحانه وتعالى، وخوفاً من ناره. وجعل سبحانه وتعالى ما يفعله العباد أقساماً: قسم

⁴²⁴ الشيخ الطيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية" مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

<http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا].

⁴²⁵ أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي (المتوفى: 430هـ): "تقويم الأدلة في أصول الفقه"، المحقق: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م، ص 413.



يتعلق بأبدانهم: كالصلاة والصوم. وقسم يتعلق بأموالهم: كالزكاة. وآخر يتعلق بالأموال والأبدان، مثل: الحج. وجعل التكاليف سهلة ميسرة على العباد، وجعل في هذه الأقسام رخصاً للعباد، فإذا سافر العبد جاز له الفطر وقصر الصلاة وجمع الصلاتين في وقت إحداهما. وجعل ما نهاهم عنه رحمة بهم، فلا ينهانا إلا عن الشيء الخبيث المؤذي الذي يضر الإنسان في حياته وبعد وفاته، ومن ذلك في الكف: قسم جعله الله سبحانه إحياءً لنفوس العباد، وإصلاحاً لأبدانهم: كنهيه عن القتل، وعن أكل الخبائث والسموم. وجعل قسماً آخر من المنهيات لئلا تؤذي غيرك بأن تتلف عليهم أموالهم، أو تتلف عليهم أعضائهم، وجعل في ذلك العقوبة حتى يحيا الناس من غير أن يؤذي بعضهم بعضاً. وقسم لحفظ نسب الناس، ونسلهم وتعظيم المحارم: كالنهي عن الزنا وغير ذلك. فالمتأمل في الدين يجده كله رحمة في الأمر والنهي وليس فيها من حرج. كذلك لم يكلف الصغير قبل البلوغ وإن كان يعقل، ومن رحمته في ذلك أن يكتب له الحسنات ولا يكتب عليه الأوزار، فلا يبلغ إلا وله رصيد من الحسنات.⁴²⁶

ولذلك شرعت الرخصة وهي جواز الإقدام على الفعل مع اشتها المانع منه شرعاً، والعزيمة طلب الفعل الذي لم يشتهر فيه مانع شرعي، ثم الرخصة قد تنتهي للوجوب كأكل المضطر الميتة، وقد لا تنتهي كإفطار المسافر، وقد يباح سببها كالسفر. الرخصة مشتقة من الترخص، والترخص هو اللين، فهي من حيث الجملة من السهولة المسامحة واللين. وفسرها الإمام فخر الدين في المحصول بجواز الإقدام مع قيام المانع، وذلك مشكل؛ لأنه يلزم منه أن تكون الصلوات الخمس رخصة والحج

⁴²⁶ الشيخ الطيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية" مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]. <http://www.islamweb.net>

رخصة، لأن ذلك جميعه يجوز الإقدام عليه، وفيه مانعان؛ أحدهما ظواهر النصوص المانعة من التزامه، وهو قوله تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، وقوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، وقوله عليه الصلاة والسلام «لا ضرر ولا ضرار» ، وجميع ذلك يمنع أن تجب هذه الأمور علينا لأنه حرج وعسر وضرر، غير أن ما فيها من المصالح العاجلة والمثوبات الآجلة هو المعارض الذي لأجله خولفت ظواهر هذه النصوص. وثانيهما صورة الإنسان مكرمة معظمة لقوله تعالى «ولقد كرمتنا بني آدم»، وقوله تعالى {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين: 4) وأريد باشتهار المانع نفور الطبع الجيد السليم عند سماع قولنا أكل فلان الميتة، أو أفطر في رمضان، أو شرب الخمر للغصة، ونحو ذلك، وعلى هذا تخرج هذه النقوض عن حد الرخصة؛ فإنه لا ينفر أحد من قولنا أقيم الحد على الإنسان، ولا صلى الإنسان، ونحو ذلك، ولا يستعظم كيف اجتمع ذلك مع وصف الإنسانية كما يستعظم اجتماع الأكل مع الميتة والإفطار مع رمضان، ومع هذا الاحتراز لا يسلم الحد عن الفساد. 427

لو قصد الشارع التكليف بالمشقة لما حصل الترخيص، فالرخص الشرعية أمر مقطوع به، ومعلوم من الدين بالضرورة، وهي لرفع الحرج والمشقة الواقعة على المكلفين، كرخص القصر، والفطر والجمع بين الصلاتين. ثبت في الدين ما يمنع من التكلف والتتبع في دين الله، لقوله تعالى: { وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : "اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا"، وقد نقل

427 أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ): "شرح تنقيح الفصول"، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م، ص 86.



الإمام الشاطبي في "الموافقات" الإجماع على عدم وجود التكليف بالمشاق غير المعتادة في الشريعة. وباستقراء الأدلة الشرعية يتبين أن الدين لم يقصد إلى التكليف بالمشاق والإعنات، لقوله تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: 157)، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ {البقرة: 286}، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ {البقرة: 286} وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ {البقرة: 185}، وقوله: ﴿إِنَّمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ {الحج: 78}، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ {النساء: 28} وقوله - صلى الله عليه وسلم - "بعثت بالحنيفية السمحة"، وقول عائشة - رضي الله عنها - "ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً".⁴²⁸

وبين العلماء أن المشقة تجلب التيسير لأن الحرج مدفوع بالنص، ولكن جلبها التيسير مشروط بعدم مصادمتها نصاً، فإذا صادمت نصاً روعي دونها. .⁴²⁹

وقال تعالى: لما ذكر الوضوء ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6)، فأخبر أنه لا يريد أن يجعل علينا من حرج فيما أمرنا به وهذه نكرة مؤكدة بحرف من فهي تنفي كل حرج وأخبر أنه إنما يريد تطهيرنا وإتمام نعمته علينا فقد أخبر أنه ما جعل علينا في الدين

⁴²⁸ أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنيأوي: "الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول"،

المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، ص 95.

⁴²⁹ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا [1285هـ - 1357هـ]: "شرح القواعد الفقهية"، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد

الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، 1409هـ - 1989م، ص 157. وانظر: زين الدين بن إبراهيم بن

محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ): "الأسبأه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان"، وضع

حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999

م، ص 64.

من حرج نفيًا عاماً مؤكداً فمن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكيف بمن اعتقد أن المأمور به قد يكون فساداً وضرراً لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا ولهذا لما لم يكن فيما أمر الله ورسوله حرج علينا لم يكن الحرج من ذلك إلا من النفاق كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (النساء: 65).⁴³⁰

بحث الفقيه الملطي الحنفي عن نفي الحرج عن قدم أو آخر، وذكر ما روي عن أسامة بن شريك قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم حاجاً فكان ناس يأتونه فمن قائل يقول له: يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف: وأخرت شيئاً، وقدمت شيئاً فكان يقول: "لا حرج لا حرج إلا رجل اقترض عرض رجل مسلم وهو ظالم له فذلك الذي حرج وهلك." أكثر الفقهاء على أن من سعى قبل الطواف لا يجزئه وهو كمن لم يسع ولا نعلم لأهل الحجاز والعراق مخالفاً غير الأوزاعي فإنه قال: يجزئه ولا يعبد بعد لطواف وروى عن عطاء مثله ولكنهم اختلفوا في القارن إذا حلق قبل أن يضحى هديه قال أبو حنيفة ومالك وزفر: أن عليه الفدية لأنه حلق قبل أوانه وأكثرهم كأبي يوسف ومحمد والشافعي يقولون: لا شيء عليه في ذلك.⁴³¹

⁴³⁰ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "قاعدة في المحبة"، المحقق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ص 148، وانظر: ابن تيمية: "جامع الرسائل"، 2 / 370.

⁴³¹ يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلْطِي الحنفي (المتوفى: 803هـ): من المختصر من مشكل الآثار"، عالم الكتب - بيروت، بدون تاريخ، 1 / 184.



ومن أمثلة رفع الحرج ما ذكره الفقيه الكاساني الحنفي في شرائط الوجوب فمنها أهلية الوجوب إذ الإيجاب على غير الأهل تكليف ما ليس في الوسع، ومنها فوات الصلاة عن وقتها؛ لأن قضاء الفائت ولا فائت محال، ومنها أن يكون من جنسها مشروعاً له في وقت القضاء إذا القضاء صرف ما له إلى ما عليه؛ لأن ما عليه يقع عن نفسه فلا يقع عن غيره، ومنها أن لا يكون في القضاء حرج إذ الحرج مدفوع شرعاً، فأما وجوب الأداء في الوقت فليس من شرائط الوجوب هو الصحيح؛ لأن القضاء يجب استدراكاً للمصلحة الفائتة في الوقت وهو الثواب وفوات هذه المصلحة لا يقف على الوجوب فلا يكون وجوب الأداء شرطاً لوجوب القضاء على ما عرف في الخلافات، وإذا عرف هذا فنقول: لا قضاء على الصبي والمجنون في زمان الصبا والجنون؛ لعدم أهلية الوجوب ولا على غير المسلم؛ لأنه ليس من أهل وجوب العبادة إذ غير المسلمين غير مخاطبين بشرائع هي عبادات عند المسلمين فلا يجب عليهم بعد البلوغ والإفاقة والإسلام أيضاً؛ لأن في الإيجاب عليهم حرجاً .⁴³²

وبين الفقيه السرخسي جواز أداء الصلاة على الجنازة بالتيمم في المصر، وقد روى الحسن عن أبي حنيفة رحمهما الله تعالى أنه لا يجوز للإمام أن يصلي على الجنازة بالتيمم في المصر قال عيسى - رحمه الله تعالى - وهو الصحيح؛ لأن التيمم إنما يجوز في حال عدم الماء، فأما مع وجود الماء فلا يكون طهارةً إلا عند الضرورة وهو خوف الفوت وهذا لم يوجد في حق الإمام الذي يكون حق الصلاة على الجنازة له؛ لأن الناس ينتظرونه ولو لم يفعلوا كان له حق إعادة الصلاة عليها فلا يجزيه الأداء بالتيمم مع وجود الماء وجه ظاهر الرواية حديث ابن عباس - رضي الله عنه

⁴³² علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ): "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"،

دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م، 1 / 246.

- إذا فاجأتك جنازة وأنت على غير وضوء فتيمم وصل عليها ولأن الإمام قد يحتاج إلى ذلك كما يحتاج إليه القوم فإنه عند كثرة الزحام ربما يلحقه الحرج إذا ذهب إلى موضع الماء ليتوضأ أو لا ينتظره الناس فيصلون عليها ويدفنون الميت قبل أن يفرغ هو من الطهارة ولو انتظره الناس ربما يلحقهم الحرج في ذلك فلدفع الحرج جوزنا له الأداء بالتيمم وإنما التيمم إنما جعل طهارةً لدفع الحرج قال الله تعالى ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6] الآية وفيه معنى آخر في حق القوم وهو أن الصلاة على الجنازة دعاء وليست بصلاة على الحقيقة فإنه ليس فيها أركان الصلاة من القيام والقراءة والركوع والسجود والطهارة شرط صلاة مطلقة فكان ينبغي أن تتأدى الصلاة على الجنازة بغير طهارة بمنزلة الدعاء، ولكن لكونها صلاةً تسميةً شرطنا فيها نوع طهارة وفي هذا المعنى لا فرق بين الإمام والقوم. وعلى هذا قال لو كان جنباً في المصر تيمم وصلى عليها أيضاً بمنزلة الدعاء وذلك صحيح من الجنب إلا أنه أمره بأن يتيمم لها كما «تيمم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرد السلام» في حديث معروف بيناه في الصلاة. ⁴³³

وناقش السرخسي أيضاً الشرائط في المصلي لوجوب الجمعة فالإقامة والحرية والذكورة والصحة لحديث جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا مسافر ومملوك وصبي وامرأة ومريض فمن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد». وذكر السرخسي ما معناه أن المسافر تلحقه المشقة بدخول المصر وحضور الجمعة وربما لا يجد أحداً يحفظ رحله وربما ينقطع عن أصحابه فلدفع الحرج

⁴³³ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ): "المبسوط"، دار المعرفة - بيروت، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، 2 / 127.



أسقطها الشرع عنه والمملوك مشغول بخدمة المولى فيتضرر منه المولى بترك خدمته وشهود الجمعة وانتظاره الإمام فلدفع الضرر عنه أسقطها الشرع عنه، بخلاف الظهر فإنه يتمكن من أدائه حيث هو بنفسه فلا ينقطع عن خدمة المولى أو ذلك القدر مستثنى عنه من حق المولى إذ ليس فيه ضرر كثير عليه وتحمل الضرر اليسير لا يدل على تحمل الضرر الكثير. وعلى هذا قال أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه - : الأعمى لا يلزمه شهود الجمعة وإن وجد قائداً لأنه عاجز عن السعي بنفسه ويلحقه من الحرج ما يلحق المريض وعندهما إذا وجد قائداً تلزمه لأنه قادر على السعي وإنما لا يهتدي إلى الطريق فهو كالأضال إذا وجد من يهديه إلى الطريق غير أن هذه شرائط الوجوب لا شرائط الأداء حتى أن المسافر والمملوك والمرأة والمريض إذا شهدوا الجمعة فأدوها جازت لحديث الحسن - رضي الله تعالى عنه - «كن النساء يجمعن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال لهن لا تخرجن إلا تقلات أي غير متطيبات» ولأن سقوط فرض السعي عنهم لا لمعنى في الصلاة بل للحرج والضرر فإذا تحملوا التحقوا في الأداء بغيرهم . 434

ويشير القرافي إلى قاعدة أصولية " وهي أن نفي الحرج إثبات للجواز وثبوت الجواز لا ينافي الوجوب بل الجواز مع لوازم الوجوب فلو نفي الحرج عن الترك أبطل الوجوب . " 435

434 السرخسي: " المبسوط"، 2 / 22 - 23.

435 أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ): "الذخيرة"، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خيرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م، 3 / 250.

وناقش الخرشي مسألة التيمم وذكر وإن نسي المرء إحدى الخمس تيمم خمساً يعني أنه إذا نسي صلاةً من الخمس لا يدري ما هي فإنه يصلي خمس صلوات يتيمم لهن خمس مرات لكل صلاة تيمم وقدم ذو ماء مات ومعه جنب إلا لخوف عطش ككونه لهما وضمن قيمته يعني إذا مات صاحب الماء ومعه شخص حي محدث جنب أو غيره فإن الميت يقدم على المحدث الحي لحقبة الملك إلا أن يخاف على الحي العطش فإنه يكون حينئذ أحق من صاحبه وييمم الميت حفظاً للنفوس ويضمن قيمته للورثة أما لو كان الماء مشتركاً بين الميت والحي يقدم الحي ولو لم يخف عطشاً لترجيح جانبه بالشركة ويضمن قيمة نصيب الميت فقوله وقدم أي في مائه ولا مفهوم لقوله ومعه جنب، فلو قال: وقدم ذو ماء مات ومعه ذو مانع لكان أخصر وأشمل وقوله ككونه لهما تشبيهه في تقديم الحي لا بقيد خوف العطش وقوله: وضمن قيمته راجع لهما أي وضمن المقدم في الأولى بقيده قيمة كل الماء وفي الثانية قيمة نصيب الميت لورثته مراعى فيها الزمان والمكان والحال من كثرة النفقة وقلتها وكثرة الطلاب وإنما ضمن قيمة الماء وإن كان من المثليات التي يراعى فيها ضمان المثل لأننا لو ضمنناه مثله لضمنه موضع التحاكم وقد لا يكون له قيمة هناك أو قيمة قليلة فيكون ذلك غبناً لورثة الميت وأيضاً لو أخذ منه المثل لكان في موضع السلف وفي ذلك غاية الحرج والمشقة لأن الاحتياج إلى الماء إنما يكون في موضع يتعذر الوصول إليه غالباً في كل وقت.⁴³⁶

ويتوسع الإمام النووي في مجال رفع الحرج من الجانب الفردي ليشمل المسلمين جميعاً في مجال مناقشة فرض العين وفرض الكفاية، يقول: "للقائم بفرض

⁴³⁶ محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ): " مختصر خليل للخرشي"، دار الفكر للطباعة - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، 1 / 199 - 200.



الكفاية مزية على القائم بفرض العين من حيث إنه أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين، وقد قال إمام الحرمين في كتابه «الغياثي»: الذي أراه أن القيام بفرض الكفاية أفضل من فرض العين؛ لأنه لو ترك المتعين، اختص هو بالإثم، ولو فعله، اختص بسقوط الفرض، وفرض الكفاية لو تركه، أثم الجميع، وفرض الكفاية لو فعله، سقط الحرج عن الجميع، وفاعله ساع في صيانة الأمة عن المأثم، ولا يشك في رجحان من حل محل المسلمين أجمعين في القيام بهم من مهمات الدين".⁴³⁷

وبين العلماء الشروط المعتمدة لقاعدة رفع الحرج: فلا بد لمن ينظر في فقه النوازل من تحقيق بعض الشروط عند اعتباره قاعدة رفع الحرج فيما يعرض له من نوازل وواقعات، وهي:

- 1- أن يكون الحرج حقيقياً، وهو ما له سبب معين واقع؛ كالمرض والسفر، أو ما تحقق بوجوده مشقة خارجة عن المعتاد، ومن ثم فلا اعتبار بالحرج التوهمي وهو الذي لم يوجد السبب المرخص لأجله؛ إذ لا يصح أن يبني حكماً على سبب لم يوجد بعد، كما أن الظنون والتقدير غير المحققة راجعة إلى قسم التوهمات.
- 2- أن لا يعارض نصاً، فالمشقة والحرج إنما يعتبران في موضع لا نص فيه، وأما في حال مخالفته النص فلا يعتد بهما.
- 3- أن يكون الحرج عامّاً وهو الذي لا قدرة للإنسان على الانفكاك عنه فإذا كان في نازلة عامة في الناس فإنه يسقط. قال ابن العربي: إذا كان الحرج في نازلة عامة في الناس فإنه يسقط.

⁴³⁷ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، 10 / 226.

أما الأسباب المؤدية إلى رفع الحرج، فهي على سبيل المثال:

- 1- السفر.
- 2- المرض.
- 3- الإكراه.
- 4- النسيان.
- 5- الجهل.
- 6- العسر.
- 7- عموم البلوى.
- 8- النقص. ⁴³⁸

⁴³⁸ أ.د. عبد الله بن محمد الطيار، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم موسى: "الفقه الميسر"، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج 7 و 11 - 13: الأولى 1432 / 2011 م، باقي الأجزاء: الثانية، 1433 هـ - 2012 م، 13 / 20.



الفصل الرابع من أجل الآخرة

المبحث الأول

إبتغاء الآخرة

يقول الله تعالى في سياق قصة قارون: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ بِإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ۖ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ } (القصص: 76 - 77) .

قال الله: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ } [القصص:77]. وهذه نصيحة ذكرها الله عز وجل في القرآن لقارون، لتكون نصيحة لكل منا، والإنسان حين يعطيه الله عز وجل المال الكثير يعلم أن المال مال الله عز وجل، ويعلم أن الدنيا زائلة، وأنه سيترك هذا المال يوماً من الأيام، فإذا كان الأمر كذلك فليتصرف في هذا المال بما يرضي ربه سبحانه وتعالى، وبما يجعله له ذخراً في الآخرة، فيعمل الصالحات ولا يقال للإنسان: تصدق بجميع مالك، ولكن تصدق بشيء وأبق شيئاً لأهلك فهو خير لك. فقال له قومه: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ } [القصص:77]، أي: في هذا الذي أعطاك الله عز وجل ابتغ الدار الآخرة، فخذ من مالك وأنفق في سبيل الله سبحانه، وأنفق على قومك، وأنفق على من يجب عليك أن تتفق عليه، وابتغ بهذا المال إصلاح دنياك وإصلاح أخراك. { وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ } [القصص:77]، الإنسان يحب أن يكون له أشياء يختص بها في



الدنيا، يكون له بيت، يكون له قصر، يكون له طعام، يكون له شراب، يكون له زوجة أو زوجات، فمهما أخذت فلا حرج عليك طالما أنها مباحة لك شرعاً، ولكن قد قال الله سبحانه: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف:31]، فلا يجوز للإنسان أن يسرف، وأن يضيع ماله فيما لا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة، كل بقدر معلوم، واشرب بقدر معلوم، ولا تتجاوز الحد ففتعب نفسك وتحرم غيرك.⁴³⁹

{وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة والجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله تعالى، {وَلَا تَنَسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} قال مجاهد، وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تتجو من العذاب، لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم. وقال علي: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة . وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" الحديث مرسل، قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويؤميك ما يؤنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: "ولا تنس نصيبك من الدنيا"، قال: قوتك وقوت أهلك.⁴⁴⁰

⁴³⁹ الشيخ الطبيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

<http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]، 2 / 181.

⁴⁴⁰ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي" المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، 6 / 221.

ويقول الطبري: يقول سبحانه مخبراً عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا وقوله: { وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غداً من عقاب الله. 441

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ { [القصص:77]. وهذا كلام المؤمنين الموحدين قالوا له: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص:77] أي: هذه الكنوز والأموال التي أكرمك الله بها وأعطاك، ابتغ فيها وفي عملها وتوزيعها الدار الآخرة، فاجعل هذه الأموال للفقراء والمساكين والمحتاجين، ولأسرك وأقاربك ورحمك، ولأداء الحقوق الواجبة من زكوات، ولإجابة السائل الفقير المحتاج، واتخذها طريقاً للآخرة. قال تعالى: { وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } [القصص:77] ولم نقل لك: وزعها على الناس وانس نفسك، بل خذ حصتك منها حلالاً ليس حراماً، خذ من الحلال والطيبات ومما أباح لك الشارع. وهكذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام رغم زهده في الدنيا، فقد كان يأكل الحلوى، ويأكل أنواع اللحوم، ويلبس من الثياب ما وجد، ومرة اشترى له ثوب بمائة ناقة، وكان يستقبل به الضيوف والوفود، وكان له جوار وغلمان وزوجات ولكن كل ذلك كان نفقة لهؤلاء، وما فضل منها يكون للفقراء والمساكين وذوي الأرحام، فهو لم يحرم حلالاً، قال تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } [الأعراف:32]. وكان

441 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 19 / 524.



ينهى عن التكلف، كما قال سلمان رضي الله عنه: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نتكلف للضيف " أي: لا يتكلف لإيجاد مفقود، ولا يبخل بموجود. فقوله تعالى: { وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ } [القصص:77] أي: خذ سهمك وحصتك من الحلال تزوج وكل واشرب من غير سرف ولا تبذير، ولا تأكل حراماً، فقد أباح الله من المناكح والمآكل والمشارب والطيبات ما كان حلالاً طيباً، وما سوى ذلك فحرمه الشارع لمصلحة الإنسان نفسه، لما فيه من الضرر والأذية، ولما فيه من فساد هذا الجسم البشري. 442

فالمسلم حريص على ما ينفعه في دينه وفي تحقيق الهدف الذي خلق من أجله وهو العبودية لله -جل وعلا-، ومع ذلك لا ينس نصيبك من الدنيا، كثير من الناس بحاجة إلى هذا الأمر، تجده يضيع وقته من غير فائدة، لا في دينه ولا في دنياه، لا يشغل نفسه بما يرجع إليه بالخير لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكثير من الناس بحاجة إلى أن يقال له: لا تنس نصيبك من الآخرة، لما يرى من حال كثير من الناس من اللف وراء الدنيا، أعطوا الدنيا أكبر من حقها، وأخذوها من غير وجوهها، وصرفوها بغير مستحقها. المقصود أن الناس بحاجة ماسة إلى الحرص على ما ينفع، والهدف الأصلي الذي من أجله خلق الإنسان وأنزلت الكتب، وأرسلت الرسل تحقيق العبودية لله -جل وعلا-، فلنحرص على تحقيق هذا الهدف وما يعين على تحقيق هذا الهدف، ولذا قال -جل وعلا-: { { وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ } } [سورة القصص]

⁴⁴² محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ): " تفسير القرآن الكريم"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 357 درسا]، 5 / 155.

فاحرص على ما ينفعك في هذا وهذا، والتوازن لا بد منه، أمر مطلوب؛ لأنه لا يمكن أن يقوم الدين إلا بشيء مما يعين عليه من أمور الدنيا.⁴⁴³

وقال سبحانه وتعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ } [العنكبوت:64] الحياة الدنيا: هي الحياة التي يحيها الإنسان، لذا سميت حياة، والدار الآخرة حياة، ولكن ليست كهذه الحياة، بل هي حياة أخرى؛ ولذلك يقول تعالى عنها: { وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ } [العنكبوت:64] يعني: دار الحياة الدائمة، ودار الإقامة الدائمة التي لا تنفى ولا تزول. فقال هنا: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ } [العنكبوت:64] وعندما تقارن بين الدنيا وبين الآخرة فإنك تجد أن الدنيا لا تساوي شيئاً، قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ } [العنكبوت:64] يعني: مهما جد الناس فيها، ومهما أخذوا بالأسباب فهم في لعب إذا قاسوا ذلك بالآخرة. ويوم القيامة يتذكر الناس هذه الحياة الدنيا فيقول بعضهم لبعض: كم لبثنا فيها؟ { قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ } [الكهف:19] لم نقعد في هذه الدنيا إلا يوماً أو بعض يوم، { إِذْ يَقُولُ أَفَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ لَبِثًا أَمْ نَمُوتُ } [طه:104].⁴⁴⁴

ويقول سبحانه: { فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ }، فإذا كان العلم يراد للترزين به في الدنيا والترفع به على الأقران كان من الدنيا، والأخلاق الفاضلة إذا كانت تراد للرياسة في الدنيا وضبط مصالحها كانت من

⁴⁴³ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: 1376هـ): "شرح جوامع الأخبار"، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 10 / 11. 3

⁴⁴⁴ الشيخ الطبيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]، 3 / 200. <http://www.islamweb.net>



الدنيا، وكل من لا يؤمن بالبعث والمعاد فإنه لا يطلب فضيلة لا روحانية ولا جسمانية إلا لأجل الدنيا، ثم قال تعالى في حق هذا الفريق وما له في الآخرة من خلاق أي ليس له نصيب في نعيم الآخرة، ومثل هذه الآية قوله تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَزْنَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَزْتِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَزْنَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ } [الشورى: 20] ثم إنه تعالى لم يذكر في هذه الآية أن الذي طلبه في الدنيا هل أجيـب له أم لا؟ قال بعضهم: إن مثل هذا الإنسان ليس بأهل للإجابة لأن كون الإنسان مجاب الدعوة صفة مدح فلا تثبت إلا لمن كان ولياً لله تعالى مستحقاً للكرامة لكنه وإن لم يجب فإنه ما دام مكلفاً حياً فالله تعالى يعطيه رزقه على ما قال: { وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۗ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } [هود: 6] وقال آخرون إن مثل هذا الإنسان قد يكون مجاباً، لكن تلك الإجابة قد تكون مكرراً واستدراجاً. ⁴⁴⁵

كذلك الحال عند مقارنة الدنيا بالآخرة، ففي الدنيا يذهب الإنسان ويأتي ويقعد ويقف وينام، أما في الآخرة فإنه سيقف خمسين ألف سنة بين يدي الله تبارك وتعالى: { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } [المعارج: 4]. يقولون: يا ترى كم لبثنا في هذه الدنيا؟ عشرة أيام مثلاً! { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا } (طه: 104)، هو يوم واحد الذي لبثناه في الدنيا، لأنهم عندما يقيسون الدنيا بالآخرة يكون الفرق كبيراً جداً، فيوم القيامة وحده مقداره خمسون ألف سنة، والإنسان إذا عاش ستين سنة أو سبعين سنة أو أكثر أو أقل من ذلك، ثم أتى يقارنها بيوم مقداره ألف سنة فإنه يرى أنه كان يلعب في هذه الحياة الدنيا، وعلى سبيل المثال

⁴⁴⁵ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى:

606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 5 / 377.

عندما تقول: قارن بين الموظفين الذين يشتغلون في مصر، والموظفين الذين يشتغلون في الخارج، تجد الذي يشتغل في أمريكا يقول لك: أنا أشتغل من الصباح حتى الليل، وأرجع إلى البيت لأنام فقط، ولا أحس براحة أبداً، وأذهب إلى الشغل في اليوم الثاني، والموظف هنا في مصر يقول عن نفسه: أنا لا ألعب، بل أنا أشتغل وأتعب وأشقى، لكن عندما نقارنه بإنسان آخر يشتغل أحسن وأفضل منه ويشقى في عمله، نقول له: هذا الذي تقعله ليس عملاً إنما هو لعب.⁴⁴⁶

أما قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (البقرة: 201)، فيه وجوه أحدها: أن الحسنه في الدنيا عبارة عن الصحة، والأمن، والكفاية والولد الصالح، والزوجة الصالحة، والنصرة على الأعداء، وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق، وما أشبهه «حسنة» فقال: { إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ } [التوبة: 50] وقيل في قوله: { قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ } [التوبة: 52] أنهما الظفر والنصرة والشهادة، وأما الحسنه في الآخرة فهي الفوز بالثوب، والخلاص من العقاب، وبالجملة فقوله: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة كلمة جامعة لجميع مطالب الدنيا والآخرة، روى حماد بن سلمة عن ثابت أنهم قالوا لأنس: ادع لنا، فقال: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قالوا: زدنا فأعادها قالوا زدنا قال ما تريدون؟ قد سألت لكم خير الدنيا والآخرة ولقد صدق أنس فإنه ليس للعبد دار سوى الدنيا والآخرة فإذا سأل حسنة الدنيا وحسنة الآخرة لم يبق شيء سواه وثانيها: أن المراد بالحسنة في الدنيا

⁴⁴⁶ الشيخ الطيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]، 3 / 200. <http://www.islamweb.net>



العمل النافع وهو الإيمان والطاعة والحسنة في الآخرة اللذة الدائمة والتعظيم والتنعم بذكر الله وبالأنس به وبمحبتته وبرؤيته . 447

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ قال: نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قال: فدعا الله به فشفاه عن أنس بن مالك. قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنتين: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخرجه أبو داود. 448

يستشعر العبد يوم القيامة أنه كان في لهو ولعب، إلا الذين اتقوا الله سبحانه وتعالى، فالمؤمنون المتقون المحسنون عرفوا أن الأعمار فرصة لا تعوض، فانتهزوا ليلهم ونهارهم، كانت همهم عبادة الله عز وجل في كل حال، تجد الشخص في قيامه في نومه في عمله يعبد الله عز وجل. وعرفوا أن الأعمار غالية، وأن الدنيا لن تأتي مرة ثانية، فانتهزوا هذه الدنيا وخافوا على أعمارهم أن تضيع سدى وهباءً، فإذا بهم يعملون في هذه الدنيا بكل وسيلة وحيلة يتقربون فيها إلى الله عز وجل، بالليل يقومون

447 الرازي: " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 5 / 377.

448 علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ): "لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 1

لله سبحانه وتعالى، فإذا ناموا كانت نيتهم ليقوموا لله عز وجل، وليعبدوا الله سبحانه وتعالى، ولعل أحدهم يتمنى لو أنه لا ينام، وأنه يقدر على أن يتفرغ الليل والنهار لعبادة الله سبحانه وتعالى، حتى كان بعض السلف يقول لله من كثرة صلاته واستمتاعه بصلاته: يا رب! إن كنت جعلت لأحد يصلي في قبره فاجعني أصلي في قبري! من كثرة ما استمتع بالصلاة بين يدي الله سبحانه وتعالى، وكانوا يصومون لله سبحانه ويستمتع أحدهم بصيامه في الهواجر كما يستمتع أحدنا بإفطاره وشرب الماء البارد في اليوم الحار، وقد عرفوا الثواب العظيم من وراء ذلك، عرفوا أن الذي يصوم يوماً يبعد عن النار بمقدار سبعين خريفاً .⁴⁴⁹

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه عن أنس قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثم أتاه من الغد فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ثم أتاه من الغد فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثم أتاه من اليوم الرابع فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة فإنك إذا أعطيتهما في الدنيا ثم أعطيتهما في الآخرة فقد أفلحت. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير والذهبي في فضل العلم والبيهقي في شعب الإيمان عن الحسن في قوله { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } قال: الحسنه في

⁴⁴⁹ الشيخ الطيب أحمد حطية: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا]، 3 / 200. <http://www.islamweb.net>



الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة. وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً } قال: عافية { وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً } قال: عافية.⁴⁵⁰

وأما حال العبد فيما بينه وبين الله تعالى فهو إيثار طاعته وتجنب معصيته وهو قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} فأرشدت الآية إلى نكر واجب العبد بينه وبين الخلق وواجبه بينه وبين الحق. ولا يتم له أداء الواجب الأول إلا بعزل نفسه من الوسط والقيام بذلك لمحض النصيحة والإحسان ورعاية الأمر ولا يتم له أداء الواجب الثاني إلا بعزل الخلق من البين، والقيام له بالله إخلاصاً ومحبة وعبودية. فهذا حكم العبد فيما بينه وبين الناس وهو أن تكون مخالطته لهم تعاوناً على البر والتقوى علماً وعملاً. وهذا معنى قول الشيخ عبد القادر "كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس، ومن لم يكن كذلك لم يزل في تخبيط ولم يزل أمره فرطاً"⁴⁵¹.

وقال تعالى: { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }، فنفي عن متبع هداه امرين الضلال والشقاء قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"، ثم قرأ: { فَأَمَّا يَا تِيبُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }، والاية نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقاً فاقتضت الآية أنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها فإن المراتب اربعة هدى وشقاوة في الدنيا وهدى وشقاوة في الآخرة لكن ذكر ابن عباس رضى الله عنهما في كل دار أظهر مرتبتها فذكر

⁴⁵⁰ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ، 1 / 560.

⁴⁵¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني - جدة، بدون تاريخ، ص 15.

الضلال في الدنيا إذ هو أظهر لنا وأقرب من ذكر الضلال في الآخرة وأيضاً فضلال الدنيا أضل ضلال في الآخرة وشقاء الآخرة مستلزم للضلال فيها فنبه بكل مرتبة على الأخرى فنبه بنفي ضلال الدنيا على نفي ضلال الآخرة فإن العبد يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه قال الله تعالى في الآية الأخرى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } (طه: 124-125)، وقال في الآية الأخرى: { وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا } (الإسراء: 72)، فأخبر أن من كان في هذه الدار ضالاً فهو في الآخرة أضل .⁴⁵²

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، قال : كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه، فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يقدروا على مسألته، قال : ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك ؟ فقال كنت مع رسول الله فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت: يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال: " هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك ان أفلت منى فلن يفلت منى من بعدك . " ⁴⁵³

⁴⁵² محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، ص 35.

⁴⁵³ محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1409هـ/1989م، ص 211.



قالوا ولو كان الغنى افضل من الفقر لما حض الله رسوله على الزهد فى الدنيا والإعراض عنها وذم الحرص عليها والرغبة فيها بل كان ينبغى أن يحض عليها وعلى اكتسابها والإكثار منها كما حض على اكتساب الفضائل التى بها كمال العبد من العلم والعمل فلما حض على الزهد فيها والتقلل دل على أن الزاهدين فيها المتقللين منها أفضل الطائفتين، وأنها أهون على الله من السخلة الميتة على أهلها وان مثلها فى الآخرة كمثل ما يعلق بأصبع من أدخل أصبعه فى البحر وأنها ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وأنها سجن المؤمنين وأمر العبد أن يكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل ويعد نفسه من أهل القبور واذا أصبح فلا ينتظر المساء واذا أمسى فلا ينتظر الصباح، ونهى عن اتخاذ ما يرغب فيها ولعن عبد الدينار وعبد الدرهم ودعا عليه بالتعس والانتكاس وعدم اقالة العثرة بالانتقاش، وأخبر أنها خضرة حلوة أى تأخذ العيون بخضرتها والقلوب بحلاوتها وأمر باتقائها والحذر منها كما يتقى النساء ويحذر منهن وأخبر أن الحرص عليها وعلى الرياسة والشرف يفسد الدين كإفساد الذئبين الضاربين اذا ارسلوا فى زريبة غنم أو أشد افسادا وأخبر أنه فى الدنيا كراكب استظل تحت شجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها. وفي الصحيحين من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال: "خرجت ليلة من الليالى فإذا رسول الله يمشى وحده ليس معه انسان، قال فظننت أنه يكره أن يمشى معه أحد فجعلت أمشى فى ظل القمر فالتفت فرأى، فقال: من هذا قلت أبو ذر جعلنى الله فداك، قال: يا أبا ذر تعال فمشيت معه ساعة فقال ان الكثيرين هم المقلون يوم القيامة الا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً" وذكر الحديث .⁴⁵⁴

⁴⁵⁴ محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، ص 214 - 215.

وأخبر أن بذل العبد ما فضل عن حاجته خير له وإمساكه شر له وأنه لا يلام على الكفاف ونهى أمته أن ينظر أحدهم الى من هو فوقه فى الدنيا وأمره أن ينظر الى من هو دونه فى الدنيا وأخبر أنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة وضر مثلها مثل ما يخرج من ابن آدم عند خلائه وان كان أوله طيباً لذيذا فهذا آخره وأخبر أن عباد الله ليسوا بالمتعمين فيها فإن أمامهم دار النعيم فهم لا يرضون بنعيمهم فى الدنيا عوضاً من ذلك النعيم. وهذه فى الحقيقة حال سكان الدنيا كلهم ولكن هو شهد هذه الحال وعمى عنها بنو الدنيا ومر بهم وهم يعالجون خصا لهم قد وهى فقال: "ما أرى الأمر ألا أعجل من ذلك" وأمر بستر على بابه فنزع وقال انه يذكرنى الدنيا وأعلم الناس أنه ليس لأحد منهم حق فى سوى بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وقوت يقيم صلبه، وأخبر أن الميت يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله، وأخبر أن للمتخوض فيما شاءت نفسه من مال الله بغير حق النار يوم القيامة وأقسم أنه لا يخاف الفقر على أصحابه وانما يخاف عليهم الدنيا وتتافسهم فيها وإلهائها لهم، وأخبر أنه ليس لابن آدم من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى، وأخبر أن حسب ابن آدم من الدنيا لقيمات يقمن صلبه فإن لم يقتصر عليها فثلث بطنه لطعامه وثلثه لشرابه وثلثه لنفسه، وفى هذا الحديث الارشاد إلى صحة القلب والبدن والدين والدنيا. وأخبر أن غنى العبد فيها غنى نفسه لا كثرة عرضه وسأل الله أن يجعل رزقه فيها قوتاً وغبط من كان رزقه فيها كفافاً بعد أن هدى للإسلام، وأخبر أن من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأتها منها إلا ما كتب له وعرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً فقال لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك



وأعلمهم أن من أصبح منهم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا . 455

وأخبر أنه يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس كان في الدنيا فيقول الله عز وجل إصبغوه في النار صبغة ثم يؤتى به فيقول: يا ابن آدم هل أصبت نعيماً قط؟ هل رأيت قرّة عين قط؟ هل أصبت سروراً قط؟ فيقول: لا وعزتك. ثم يقول: ردوه إلى النار ثم يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا وأجهدّه جهداً فيقول: تبارك وتعالى إصبغوه في الجنة صبغة فيصبغ فيها ثم يؤتى به فيقول: يا ابن آدم هل رأيت ما تكره قط فيقول لا وعزتك ما رأيت شيئاً قط أكرهه. وأخبر أن نجاة أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلكة آخرها بالبخل وطول الأمل وكان يقول لبيك لا عيش الا عيش الآخرة، وأخبر أنه تعالى اذا أحب عبداً حماه الدنيا كما يحمى الانسان مريضه من الطعام والشراب. ودخل على عثمان ابن مظعون وهو في الموت فأكب عليه يقبله، ويقول: "رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك فغبطه بذلك"، وكان يقول: "الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تطيل الهموم والحزن"، وكان يقول: "من جعل الهموم كلها هماً واحداً كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أى أوديتها هلك." 456

⁴⁵⁵ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، ص 215 - 216.

⁴⁵⁶ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، ص 216 - 217.

المبحث الثاني في التنافس الحق

يقول الله سبحانه: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾
تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكَ ۗ
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ } (المطففين: 22 - 23) .

وقوله تعالى: { فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }، أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى

طاعة الله تعالى .⁴⁵⁷

هؤلاء الأبرار، الذين أخذوا منازلهم في الجنة، واتكئوا على الأرائك المعدة لهم،
وسرحوا بأبصارهم في ألوان هذا النعيم الممدود بين أيديهم إنه يطاف عليهم بالرحيق،
وهو الشراب الخالص من كل كدر، المبرأ من كل سوء، وقد ختم بخاتم من المسك،
فإذا فضّ ختامه عبقّت منه رائحة المسك، فعطرت الجو من حوله، فتتعثش النفوس
لشرابه، وتهشّ لاستقباله. { فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } أي لمثل هذا فليعمل
العاملون، ويجد المجدون، ويتنافس المتنافسون. فهذا هو الذي ينبغي أن يطلب،
ويشتد الطلب عليه، ويكثر التنافس فيه، وأما ما سواه، فهو هباء وقبض الريح⁴⁵⁸ .

⁴⁵⁷ محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي إقليميا، التتاري بلدا (المتوفى: 1316هـ): "مراح لبيد لكشف معنى القرآن

المجيد"، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1417 هـ، 2 / 613.

⁴⁵⁸ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ): "التفسير القرآني للقرآن"، دار الفكر العربي - القاهرة، بدون



فليرغب الراغبون في المبادرة إلى طاعة الله، والتنافس كالتشاح على الشيء والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه.⁴⁵⁹

{ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ } فليرتغب، { الْمُتَنَافِسُونَ } المرتغبون، وفي الحديث المرفوع: "أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤَمَّنًا شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَى ظَمَأٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ"، (ومزاجه من تسنيم)، أي: تمزج تلك الخمر للأبرار من تسنيم، هو عين في الجنة، { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ } صرفًا، وتمزج للأبرار ...⁴⁶⁰

وهؤلاء هم السابقون إلى الإيمان بالرسول وهم الذين صحبوا الرسل والأنبياء وتلقوا منهم شرائعهم، وهذا الصنف يوجد في جميع العصور من القدم، ومستمر في الأمم إلى الأمة المحمدية وليس صنفًا قد انقضى وسبق الأمة المحمدية. وأخر السابقون في الذكر عن أصحاب اليمين لتشويق السامعين إلى معرفة صنفيهم بعد أن ذكر الصنفان الآخران من الأصناف الثلاثة ترغيبًا في الاقتداء. وجملة أولئك المقربون في جنات النعيم، مستأنفة استثناءً بيانًا لأنها جواب عما يثيره قوله: والسابقون السابقون من تساؤل السامع عن أثر التنويه بهم.⁴⁶¹

ويقول ابن رجب: { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك، بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهو من تمام أداء

⁴⁵⁹ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م، 4 / 449.

⁴⁶⁰ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (المتوفى: 905هـ): "تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن"، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، 4 / 462.

⁴⁶¹ محمد الطاهر بن عاشور: "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،

النصيحة. وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مقصراً عن الدرجات العالية، فيستفيد بذلك أمرين نفيسين: الإجتهد في طلب الفضائل، والإزدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص، وينشأ من هذا أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيراً منه؛ لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل يجتهد في إصلاحها، وقد قال محمد بن واسع لابنه: أما أبوك، فلاكثر الله في المسلمين مثله .

قال الفضيل: إن كنت تحب أن يكون الناس مثلك، فما أدبت النصيحة لأخيك، كيف وأنت تحب أن يكونوا دونك؟! يشير إلى أن أداء النصيحة لهم أن يحب أن يكونوا فوقه، وهذه منزلة عالية، ودرجة رفيعة في النصح، وليس ذلك بواجب، وإنما المأمور به في الشرع أن يحب أن يكونوا مثله، ومع هذا فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية اجتهد على لحاقه، وحزن على تقصير نفسه، وتخلفه عن لحاق السابقين، لا حسداً لهم على ما آتاهم الله من فضله - عز وجل - بل منافسةً لهم، وغبطةً وحزناً على النفس بتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين.⁴⁶²

وإن علم المرء أن الله قد خصه على غيره بفضل، فأخبر به لمصلحة دينية، وكان إخباره على وجه التحدث بالنعيم، ويرى نفسه مقصراً في الشكر، كان جائزاً، فقد قال ابن مسعود: ما أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني، ولا يمنع هذا أن يحب للناس أن يشاركوه فيما خصه الله به، فقد قال ابن عباس: إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم، وقال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم ينسب إلي منه شيء، وكان عتبة الغلام إذا أراد أن يفطر يقول لبعض

⁴⁶² زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م، 1 / 334 .



إخوانه المطلعين على أعماله: أخرج إلي ماءً أو تمرات أفطر عليها؛ ليكون لك مثل أجري . 463

ويناقش محمّد الخولي مبدأ الصدق في الإسلام، والصدق في العقيدة أن تكون طبق الأصل في الوجود. ففي الوجود إله واحد فعال؛ يحكم ما يريد؛ ويبدىء ويعيد؛ فلا تعتقد له في ذلك نداءً وشريكاً وفي الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعتقد رسالته، وفي الوجود ظلم أمة أو عدالتها فاعتقد ما شهد به الوجود؛ وهكذا. والصدق في العقيدة يستدعي أولاً بحثها؛ وطلب الدليل عليها من الحسيات أو العقلية، ونفي الشبهات عنها. والصدق في الفعل أن يكون مظهره في الخارج طبق صورته في النفس، فيكون خالصاً لله؛ تبغي به المصلحة؛ لا يشوبه نفاق ولا رياء، ولا تريد الوصول به إلى غرض دنيء. فكل ما تقدم يشملُه عنوان الصدق، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يهدي إلى البر، ويرشد إلى التوسع في الخير، ذلك أنه منبت الفضائل، وجذع شجرتها، ومتفرع غصونها. وهل الإيمان بالله. والتصديق برسله ووحيه. إلا شعبة من الصدق؛ فالصادق موفق للخيرات، مقيم للمبرات، والبر طريق الجنة، بل مفتاحها الذي لا تفتح بغيره: إن الأبرار لفي نعيم. على الأرائك - الأسرة - ينظرون. تعرف في وجوههم نضرة النعيم - بهجه ورونقه - يسقون من رحيق - شراب خالص - مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . 464

⁴⁶³ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، 1 / 335.

⁴⁶⁴ محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي (المتوفى: 1349هـ): "الأدب النبوي"، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابع، 1423 هـ، ص 148 - 149 .

وعن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يقول: "أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نتصدق" حث النبي - عليه الصلاة والسلام - على الصدقة "فوافق ذلك مالاً عندي" عمر يقول: وافق ذلك مال عندي، فقلت: فرصة، أنا الآن عندي مال لعلي أسبق أبا بكر؛ لأنهم يسارعون ويسابقون { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ } [(26) سورة المطففين] يتنافسون على فعل الخير "اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً" يعني إن كان لي فرصة في العمر أسبقه فاليوم؛ لأن عندي مال "فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما أبقيت لأهلك؟)) "كأنه رآه كثير" ((ما أبقيت لأهلك؟)) قلت: مثله "يعني النصف" قال: وأتى أبو بكر بكل مال عنده، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما أبقيت لأهلك؟)) فقال: أبقيت لهم الله ورسوله" يعني ما أبقي شيئاً، وهذا أبو بكر عنده من اليقين والثقة بالله - جل وعلا - ما عنده، فمثل أبي بكر يحصل منه أن يتصدق بجميع ما عنده، لكن من مثل أبي بكر؟! يقول عمر: "فقلت: لا أسابك إلى شيء أبداً" يعني في هذه الفرصة التي عنده المال ما استطاع أن يسبقه، فكيف يسبقه إذا لم يوجد مثل هذه الفرصة؟!، وهذا الحديث رواه عبد بن حميد في مسنده، وأبو داود، وهذا لفظه، والترمذي، وقال: حديث صحيح، وقد أخطأ من تكلم فيه لأجل هشام" يعني هشام بن سعد راوي الحديث "فإن مسلماً روى له" يعني جاز القنطرة، من رواية الصحيح "وقال أبو داود: هشام بن سعد من أثبت الناس في زيد بن أسلم" وهو يروي الحديث عن زيد بن أسلم عن عمر - رضي الله عنه - 465

⁴⁶⁵ شرح المحرر في الحديث

مؤلف الأصل: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (المتوفى: 744هـ)

الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير



وليست الغبطة والمنافسة بحرام أي لعدم تعلقها بمفسدة ألبتة بل هي إما واجبة، وإما مندوبة، وإما مباحة قال - تعالى - { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } [المطففين: 26] {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [الحديد: 21] والمسابقة تقتضي خوف الفوت فالواجبة تكون في النعم الدينية الواجبة كنعمة الإيمان والصلاة المكتوبة والزكاة فيجب أن تحب أن تكون مثل القائم بذلك، وإلا كنت راضياً بالمعصية، والرضا بها حرام (والمندوبة) تكون في الفضائل والعلوم وإنفاق الأموال في الميراث. والمباحة تكون في النعم المباحة كالنكاح، والمنافسة في المباحات لا يترتب عليها إثم لكنها تنقص من الفضائل، وتتناقض الزهد والرضا بالمقضي والتوكل، وتحجب عن المقامات الرفيعة نعم هنا دقيقة ينبغي التنبيه لها، وإلا وقع الإنسان في الحسد الحرام من غير أن يشعر، وهي أن من أيسر أن ينال مثل نعمة الغير فنفسه تعتقد أنه ناقص عن صاحب تلك النعمة وأنها تحب زوال نقصها، وزواله لا يحصل إلا بمساواة ذي النعمة أو بزوالها عنه، وقد فرض يأسه عن مساواته فيها فلم يبق إلا محبته لزوالها عن الغير المتميز بها عنه؛ إذ بزوالها يزول تخلفه. ⁴⁶⁶

أورد الحافظ ابن حجر في فضل ذكر الله عز وجل: ذكر فيه حديثي أبي موسى وأبي هريرة رضي الله عنهما وهما ظاهران فيما ترجم له والمراد بالذكر هنا

دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير

[الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 64 درسا]

56/ 24

⁴⁶⁶ حاشية الشيخ قاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط (723هـ) لتصحيح بعض الأحكام وتنقيح بعض المسائل، المسماة: : «إدراج الشروق على أنوار الفروق»، على كتاب: الفروق = أنوار البروق في أنواع الفروق، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ، ومعهما: "تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية" للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (1367هـ)، وفيها اختصر الفروق ولخصه وهذبه ووضح بعض معانيه، 4 / 244 .

الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات، وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وما يلتحق بها من الحوقلة والبسمة والحسبة والاستغفار ونحو ذلك، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتفعل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارةً باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه وإن انضاف إلى النطق بالذكر بالقلب فهو أكمل فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى، ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة وغيرها ازداد كمالاً فإن صحيح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال .⁴⁶⁷

وينقل الحافظ ابن حجر عن الفخر الرازي رأيه أن المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد والذكر بالقلب التفكير في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها وفي أسرار مخلوقات الله والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقةً في الطاعات ومن ثم سمي الله الصلاة ذكراً، فقال { فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ } ونقل عن بعض العارفين قال الذكر على سبعة أنحاء فنذكر العينين بالبكاء ونذكر الأذنين بالإصغاء وذكر اللسان بالثناء وذكر اليدين بالعطاء وذكر البدن بالوفاء ونذكر القلب بالخوف والرجاء وذكر الروح بالتسليم والرضاء . ويورد ابن حجر في فضل الذكر أحاديث أخرى منها ما أخرجه المصنف في أواخر كتاب التوحيد عن أبي هريرة قال: النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في

⁴⁶⁷ ابن حجر العسقلاني: " فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، 11 / 209.



نفسى" الحديث ومنها ما أخرجه في صلاة الليل من حديث أبي هريرة أيضًا رفعه يعقد الشيطان الحديث وفيه فإن قام فذكر الله انحلت عقدة ومنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعًا لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة الحديث . 468

ومن حديث أبي ذر رفعه أحب الكلام إلى الله ما اصطفى لملائكته سبحان ربي وبحمده الحديث، ومن حديث مرفوع أنه صلى الله عليه وسلم، قال لجماعة جلسوا يذكرون الله تعالى: "أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ومن حديث سمرة رفعه أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأيهن بدأت"، ومن حديث أبي هريرة رفعه "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"، وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله" أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم وأخرج ابن حبان نحوه أيضًا من حديث معاذ بن جبل وفيه أنه السائل عن ذلك وأخرج الترمذي من حديث أنس رفعه إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه الحاكم عن الحارث بن الحارث الأشعري في حديث طويل وفيه "فأمركم أن تذكروا الله وإن مثل ذلك كمثله رجل خرج العدو في إثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى" . 469

468 ابن حجر العسقلاني: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، 11 / 209.

469 ابن حجر العسقلاني: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، 11 / 209 - 210.

وحقيقة المنافسة الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة الى الشيء النفيس، ثم أخبر تعالى عنها أنها تكاثر في الاموال والاولاد فيحب كل واحد أن يكثر بنى جنسه في ذلك ويفرح بأن يرى نفسه أكثر من غيره. مالا وولداً وأن يقال فيه ذلك وهذا من أعظم ما يلهي النفوس عن الله والدار الآخرة كما قال تعالى {الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } (التكاثر: 1- 4)، والتكاثر في كل شيء فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الامور عن الله والدار الآخرة فهو داخل في حكم هذه الآية فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو بالعلم فيجمعه تكاثراً وتفخيراً وهذا أسوأ حالا عند الله ممن يكثر بالمال والجاه فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا وصاحب المال والجاه استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها. أخبر الله سبحانه وتعالى عنها انها يفخر بعضنا بعضاً بها فيطلبها ليفخر بها على صاحبه وهذا حال كل من طلب شيئاً للمفاخرة من مال أو جاه أو قوة أو علم أو زهد والمفاخرة نوعان مذمومة ومحمودة فالمذمومة مفاخرة أهل الدنيا بها والمحمودة أن يطلب المفاخرة في الآخرة فهذه من جنس المنافسة المأمور بها وهي أن الرجل ينفس على غيره بالشيء ويغار أن يناله دونه ويأنف من ذلك ويحمى أنفه له يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب أن يصير اليه دونك والتنافس تفاعل من ذلك كأن كل واحد من المتنافسين يريد أن يسبق صاحبه اليه . 470

فيا إخواني! ، يقول ابن الجوزي، تأهبوا ليومٍ تترادف فيه العبارات، وتعظم الحسرات، فإعضُ الظالم على يديه ويقول: يا حسرتا يوم يقول لك أين من أرضيت

⁴⁷⁰ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، ص 171.



عنك بغضبي عليك، ابن آدم أين من كنت تَرَيْتَّ له وبالقبيح بارزنتي، ما هذا التذلل بين يديّ وقد كنت جباراً عنيداً، طالما ذُكِرْتَ بموقفك هذا فتناسيت، وطالما بُصِرْتَ بأمرِكَ هذا فتعاميت، ولم تزد إلا فراراً، يا حسرة العاصين، يا ذلّ مقام المتجبرين، واخيبة المضطرين، واخسارة المُسرفين.

أهل الغرام تجمَعُوا ... اليوم يوم عتابنا
نَعَقَ الغرابُ بَيْنِنَا ... فغرابنا أغرى بنا
إنّ الذين نُحِبُّهم ... قد وُكِّلوا بعدابنا
قوموا بنا بحياتكم ... نمشي إلى أحبابنا
قومٌ إذا ظفروا بنا ... جادوا بعنق رقابنا⁴⁷¹

يقول الدكتور عبد الحكيم الأنيس: "يا أخي الحبيب:
إلى متى أنت في غفلة النوم، وقد رحلَ القوم؟!
ها هم في منازلِ "الحرم" وأنت في مجاهلِ "العدم"، فإن لم تُجدَّ السيرَ فاتك
الوقوفُ بـ"عرفة"، ومن يضمن لك البقاء، إلى عام القضاء؟
أيها المُتسجِرُ أسرعْ فقد كاد الفجرُ أن يطلع.
يا نائماً عن الصلاة كادت الشمسُ أن تُشرق.
إذا ضيَّعتَ "المواقيت" فانتكَّ "اليواقيت".
أتريدُ نصيباً من "الميراث" وأنت لم تحضر "الوصية"!
أتريدُ "نثار" العروسِ وأنت لست من الحاضرين!

⁴⁷¹ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "المنثور"، بدون بيانات أخرى،

اقتسم الناس ميراث النبوة في المسجد، وأنت في الأسواق.

وسار الناس في ضوء "البدر" وأنت تنتظر "المحاق".

إن كنت عاشقاً فما هكذا الأشواق.

وإن كنت تريد "الوصال" فتعال.

هذه خيمة "الأحباب" منصوبة، والأكواب مسكوبة

فإن رمت الدخول فلزم الباب، وتامل على الأعتاب .

فعلّ البواب يرفع اسمك، فيأتيك الطلب من الأحباب" ...⁴⁷²

ومن أخبار العلماء ، ما ذكره الذهبي عن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عليّ، الصّالح،

الزّاهد، موفق الدّين ابن القدوة الإمام تقيّ الدّين ابن الواسطيّ. [المتوفى: 700 هـ].

سمع الكثير على أصحاب ابن طبرزد وكان صالحاً، منقبضاً عن الناس، مشغلاً

بنفسه، منفرداً، كثير التّلاوة، يصوم يوماً ويفطر يوماً. تُوفي في المحرم. ⁴⁷³

وما ذكره الذهبي عن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن أحمد، الشّيخ العابد، زكيّ

الدّين ابن المعريّ، البعلبكيّ. [المتوفى: 691 هـ]. وُلِد سنة تسع وستمئة، وسمع

حضوراً من الشّيخ موفق. حدث عنه محيي الدين ابن اليونيني والبرزالي. قرأت

ترجمته بخطّ شيخنا أمين الدّين مُحَمَّد بن خولان: زكيّ الدّين أبو إسحاق من أعيان

العدول والعلماء العاملين، صحب الفقيه اليونيني وقرأ عليه "المقنع"، وصحب الشّيخ

محمد ابن الشّيخ عبد الله اليونيني والشّيخ عثمان. وسمع الكثير على الشّيخ البهاء،

⁴⁷² د. عبدالحكيم الأنيّس: "أفق قد أفاق الراقدون"، الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017/7/20 ميلادي - 1438/10/25

هجري، رابط الموضوع/0/118433/http://www.alukah.net/sharia/

⁴⁷³ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "تاريخ الإسلام ووفيات

المشاهير والأعلام"، 15/ 985.



وابن راحة، ولم يتزوج قط ولا اشتغل بشيء من المكاسب، وكان قنوعًا، يقوم الليل ويصوم كثيرًا، وغالب أيامه يقرأ نصف ختمة، صحبته قريبًا من عشر سنين، كلانا في بيت واحد ولم أعلم أنه قرأ في يوم أقل من سبعمائة ختمة سوى التسبيح والأذكار. وما رأيته نام على جنبه الأيسر قط وقال في مرضه الذي مات فيه: قد عملت كما قال الله سبحانه {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} (التغابن: 16)، وقد اتقيت الله ما استطعت وما أعلم أنني فعلت كبيرة قط. ومات بالإسهال في سابع شوال، رحمه الله تعالى. ⁴⁷⁴

قال أحمد بن عطاء: سمعت عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري، يقول: كنا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول: قد مات. ثم نسمع ضحكة حتى نقول: قد جن. وقال محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس، فلما صلى العتمة قام يصلي، فاستفتح ب {الْحَمْدُ لِلَّهِ}، إلى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، فلم يزل يرددتها إلى الصبح. قال سعيد بن عبد العزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: "من عمل بلا اتباع سنة فعمله باطل".

وقال: "من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه".

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت محمد بن جعفر بن مطر، سمعت إبراهيم بن يوسف الهسنجاني يقول: رمى أحمد بن أبي الحواري بكتبه في البحر، وقال: "نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال".

⁴⁷⁴ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "تاريخ الإسلام ووفيات

المشاهير والأعلام"، 2003 م، 15 / 723.

وقال السلمي : سمعت محمد بن عبد الله الطبري يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة ، ثم حمل كتبه كلها إلى البحر ، فغرقها ، وقال : يا علم ، لم أفعل بك هذا استخفافاً ، ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك⁴⁷⁵ .

ويقول ابن الجوزي: ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق " كنعان " الأمل، ويحك، انتبه لإغتمام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟ الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه والله لأخشن من الجندل، فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعد رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في الفقر إلى الأزم، الحذار الحذار (أن تقولَ نفسُ يا حَسْرَتِي) . الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لمآبه، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندماً .⁴⁷⁶

ويضيف ابن الجوزي: الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه والله لأخشن من الجندل، فازرع في ربيع حياتك

⁴⁷⁵ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمِاز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "سير أعلام النبلاء" دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م، 9 / 474 - 475.

⁴⁷⁶ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "اللطائف"، بدون بيانات أخرى، ص 7.



قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعدت رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في القفر إلى الأزم، الحذار الحذار { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ . الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لمآبه، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندما. ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق " كنعان " الأمل، ويحك، انتبه لإغتنام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟⁴⁷⁷

ويضيف ابن الجوزي: إن الروح في ذاته جوهر لا يتجزأ أو لا يموت، وقدره جوهر لا قيمة له، وإنما آلات البدن خادمة له تعين على السفر له في زجاجة القلب. نار كالسراج، الحياة ضوءها، والدم دهنها، والحركة نورها، والشهوة حرارتها، والغضب دخانها، وقد اتخذ من مقدم الدماغ حارساً، ومن وسطه وزيراً، ومن مؤخره حافظاً، وجعل العقل استاذاً، والحس تلميذاً، وفرق الأعضاء في خدمته رجالاً وركباناً، وجعل الدنيا له ميداناً يجول فيه في صف حربه لمحاربة أعدائه، فإن غلب، قهر كسرى، وإن غلب فلا أحد. من تفكر في قرب رحيله تشاغل بالتزود، ولبئس ما صنع بائع نفسه النفسية بالأعراض الخسيسة. لما تيقظ تيقظ الأولياء لهذا السفر، خاضوا في ظلمات الطبع يقطعونها بأقدام المجاهدة، فلاح لهم نور الغيب { كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشْأُوهُ فِيهِ } (البقرة: 20)، فإذا هم على باب الوصول، الفقر حليتهم، والليل لذتهم، والخشوع صفتهم.⁴⁷⁸

⁴⁷⁷ ابن الجوزي: "اللطائف"، بدون بيانات أخرى، ص 7.

⁴⁷⁸ ابن الجوزي: "اللطائف"، بدون بيانات أخرى، ص 32.

ويقول الذهبي : الطريقة المثلى هي المحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف ، كما قال تعالى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : "لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآتي النساء ، وأكل اللحم . فمن رغب عن سنتي فليس مني" فلم يشرع لنا الرهبانية ، ولا التمزق ولا الوصال بل ولا صوم الدهر ، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة ، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه ، كما قال -تعالى- : لينفق ذو سعة من سعته وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم- . وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك ، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى . ثم العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل وجاع ، وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ، وسمع خطابا يتولد من الجوع والسهو ، لا وجود لذلك الخطاب - والله - في الخارج ، وولج الشيطان في باطنه وخرج ، فيعتقد أنه قد وصل ، وخوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان ، ويوسوس له ، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء ، ويتذكر ذنوبهم ، وينظر إلى نفسه بعين الكمال ، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي ، صاحب كرامات وتمكن ، وربما حصل له شك ، وتزلزل إيمانه . فالخلوة والجوع أبو جاد الترهيب ، وليس ذلك من شريعتنا في شيء . بلى ، السلوك الكامل هو الورع في القوت ، والورع في المنطق ، وحفظ اللسان ، وملازمة الذكر ، وترك مخالطة العامة ، والبكاء على الخطيئة ، والتلاوة بالترتيل والتدبر ، ومقت النفس وضمها في ذات الله ، والإكثار من الصوم المشروع ، ودوام التهجد ، والتواضع للمسلمين ، وصلة الرحم ، والسماحة وكثرة البشر ، والإنفاق مع الخصاصة ، وقول الحق المر برفق وتؤدة ، والأمر بالعرف ، والأخذ بالعفو ، والإعراض عن الجاهلين ، وحج البيت ، وتناول



الطيبات في الأحايين ، وكثرة الاستغفار في السحر . فهذه شمائل الأولياء ، وصفات المحمديين . أماتنا الله على محبتهم⁴⁷⁹ .

"يا من رواجه في طلب الدنيا لها إسراع، متى تحل عنها نطاق الأمل، فيكون الانقطاع؟ إذا طلبت الآخرة، تمشي رويدا، فمتى يكون الانتفاع؟ عجا كيف تشدّ الرحال في طلب الفاني وفي طريقه قطاع! العمر أمانة أتلقت شبابه في الخيانة، وكهولته في البطالة، وفي الشيخوخة تبكي ونقول: عمري قد ضاع. متى أفلح الخائن فيما اشترى أو باع؟ أنت في طلب الدنيا صحيح الجسم، وفي طلب الآخرة بك أوجاع. كم تعرج عن سبل التقوى يا أعرج الهمة، يا من يبقى في القاع. يا من على عمره ليل الغفلة طلع فجر المشيب بين الأضلاع. رافق رفاق التائبين قبل أن تتقطع مع المنقطعين {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} النمل 75" .⁴⁸⁰

"أخي الحبيب:

بادرْ وحاذرْ، إن كنت تخشى المخاطر.

وأسحرْ وباكِرْ، إن كنت تحبُّ المآثر.

يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَارِئِ: "اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ

عند آخر آيةٍ تَقْرُؤُهَا.."

إذا كانت المنازلُ تُنالُ بالأعمال، فما أشدَّ ندمَ المتقاعسين، والجُهل !

ما أشدَّ خسارةَ المعرضين... وما أجلُّ فرحةَ العاملين!

⁴⁷⁹ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ): "سير أعلام النبلاء"،

9 / 475 - 476.

⁴⁸⁰ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): "بحر الدموع"، المحقق: جمال

محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م، ص 53.

فَشُدَّ المِنْزَرَ، وأحي الليل.
 فإذا دخلتِ العشرة الأخيرة فما أقرب حلول العيد!
 وهناك إذا قبضتَ "الجائزة" نسيتَ مرارة التعب، وعشتَ في نشوة الفرح ...
 ولن تستصعب "زليخا" طريقاً يُوَدِّي إلى وصال "يوسف".
 قبلك قطع النسوة أيديهنَّ، وأنت قطعتَ عملك.
 ونزع المحرمون ثيابهم، وأنت نزعتَ قلبك.
 أتراك أمِنتَ من الأقدار، أم اصطلحتَ مع الأقدار!
 إياك أن تغتَرَّ بزيك، وتعتزَّ بقولك.
 ما ينفَعُ زي الأتقياء، إذا كان القلب من الفجَّار؟! "481

481 د. عبدالحكيم الأنيس: "أفق قد أفاق الراقدون"، الألوكة، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/sharia/0/118433/#ixzz4nPaC7i7Z>



الخاتمة

- يعد علم الحكمة الإسلامية دليلاً إلى الله سبحانه وتعالى من خلال فهم كتابه الكريم، وتطبيقه، وهو مرشد إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته، في كلماته وسنته وأعماله عليه الصلاة والسلام.
 - وهذا العلم مهم أيضاً بتاريخ أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وسائر على الطريق الذي سار عليه أصحاب الأنبياء، وخصوصاً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته الطيبين الطاهرين رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
 - وغاية علم الحكمة الإسلامية النهائية رضاء الله سبحانه وتعالى والفوز في الدار الآخرة.
 - إنه منهج تجديد، من أجل إعادة توجيه العقل الإنساني الوجهة التي فيها صلاحه ونجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة. على أساس مبادئ الوحي التي يعمل في ظلها العقل الديني، وفي ظل مبادئ الوسطية والإعتدال والتسامح التي دعى إليها الوحي.
- فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ)، وأضاف إليها الأب،: عبد الحليم بن تيمية (ت: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)]: "المسودة في أصول الفقه"، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، " المسودة في أصول الفقه"، ص 556.

2- آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (المتوفى: 1376هـ): "بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار"، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م.

3- _____: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.

4- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ): " تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.



- 5- إبن أبي عاصم، أبو بكر وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ): " السنة"، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 هـ.
- 6- إبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): "المنثور"، بدون بيانات أخرى.
- 7- —————: "بحر الدموع"، المحقق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م.
- 8- _____: "التبصرة"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- 9- _____: "اللطائف"، بدون بيانات أخرى.
- 10- _____: "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
- 11- إبن الحاج، عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير (المتوفى: 737هـ): "المدخل"، دار التراث، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 12- إبن الرفعة، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، (المتوفى: 710هـ): "كفاية النبيه في شرح التتبيه"، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م 2009 .
- 13- إبن الشاط، حاشية الشيخ قاسم بن عبد الله (723هـ) لتصحيح بعض الأحكام وتنقيح بعض المسائل، المسماة: : «إدراج الشروق على أنوار الفروق»، على كتاب: الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، لأبي العباس

شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ، ومعهما: "تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية" للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتى المالكية بمكة المكرمة (1367هـ)، وفيها اختصر الفروق ولخصه وهذبه ووضح بعض معانيه.

14- ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف (المتوفى: 515هـ): "كتاب الأفعال"، عالم الكتب، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.

15- ابن الموقت الحنفي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له (المتوفى: 879هـ): "التقرير والتحبير"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.

16- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف (المتوفى: 861هـ): "فتح القدير"، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

17- ابن بَطَّة العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي، (المتوفى: 387هـ): "الإبانة الكبرى"، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراجحة للنشر والتوزيع، الرياض، الكتاب الرابع/ نسخ - مكتبة أحمد الخضري، مقابلة - مكتبة يا باغي الخير أقبل، ج 1، 2: حقه: رضا بن نعيان معطي - الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م. ج 3، 4: حقه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي - الطبعة: الأولى، 1415هـ. ج 5: حقه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الثانية، 1418هـ. ج 6: حقه: د. يوسف بن



- عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الأولى، 1415 هـ. ج 7: حقه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر - الطبعة: الأولى، 1418 هـ. ج 8، 9: حقه: د حمد بن عبد المحسن التويجري - الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م .
- 18- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419 هـ - 1999 م.
- 19- _____: "الإستقامة"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403 هـ.
- 20- _____: " التحفة العراقية في الأعمال القلبية"، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399 هـ.
- 21- _____: " الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)"، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز - جدة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- 22- _____: " أمراض القلب وشفائها"، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399 هـ.
- 23- _____: " الحسنه والسيئة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

- 24- _____: " الرد على الشاذلي في حزيه، وما صنفه في آداب الطريق"، المحقق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الأولى 1429هـ.
- 25- _____: " الرد على المنطقيين"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- 26- _____: "الاستقامة"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403 هـ، 20 / 1.
- 27- _____: " التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع"، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م، ص 238.
- 28- _____: " التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية"، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، 1404، 227 / 2.
- 29- _____: "النبوات"، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، 613 / 2 .
- 30- _____: "بغية المرتاد في الرد على المتكلمة والقرامطة والباطنية"، المحقق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1415هـ/1995م.



- 31- _____ : "الصفدية"، المحقق : محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة : الثانية، 1406هـ.
- 32- _____ : "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، 1405 هـ - 1985 م.
- 33- _____ : "أحاديث القصاص"، المحقق: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة 1408هـ / 1988م.
- 34- _____ : "النبوات"، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.
- 35- _____ : "جامع الرسائل"، المحقق : د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة : الأولى 1422هـ - 2001م.
- 36- _____ : "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، ص 18.
- 37- _____ : "الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، 2 / 138.
- 38- _____ : "قاعدة في المحبة"، المحقق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- 39- _____ : " مجموعة الرسائل والمسائل"، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بدون تاريخ.
- 40- _____ : "مجموع الفتاوى"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
- 41- _____ : "التفسير الكبير"، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- 42- ابن جزى الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (المتوفى: 741هـ): "القوانين الفقهية"، بدون بيانات أخرى.
- 43- ابن حجر، وأحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- 44- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- 45- _____ : "الإحكام في أصول الأحكام"، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.



- 46- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): "صحيح ابن خزيمة"، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي"، المكتب الإسلامي - بيروت، بدون تاريخ.
- 47- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، ، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
- نسخة أخرى من "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ - 2004 م.
- 48- ابن زورق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، (المتوفى: 899هـ): "عدة المرید الصادق"، المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
- 49- ابن سيده، المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى: 458هـ): "المخصص"، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.
- 50- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ): " " مقاصد الشريعة الإسلامية "، المحقق: محمد الحبيب

ابن الخوجة :، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، : 1425 هـ - 2004

م.

51- _____: "التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس،

1984 هـ.

52- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي

الحنفي (المتوفى: 1252هـ): "رد المحتار على الدر المختار" دار الفكر -

بيروت، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992م.

53- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي

النعماني (المتوفى: 775هـ): "اللباب في علوم الكتاب"، المحقق: الشيخ عادل

أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت /

لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م.

54- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري

الفاصي الصوفي (المتوفى: 1224هـ): "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"،

المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة،

الطبعة: 1419 هـ.

55- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام

الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب

العزیز"، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت،

الطبعة: الأولى - 1422 هـ.



- 56- ابن قدامة المقدسي، عبدالله بن أحمد بن محمد موفق الدين (ت 620 هـ): "مخطوطة ذم الوسواس وأهله، مصدر المخطوط: المكتبة الظاهرية (2702)، تاريخ الإضافة: 2014/8/19 ميلادي - 1435/10/22 هجري، النسخ: مجهول، تاريخ النسخ: مجهول. عدد اللقطات (الأوراق): 12 ورقة. ملاحظات: مشتراه من شامل الشاهين سنة 1418 هـ. رابط الموضوع: <http://www.alukah.net/library/0/74883/#ixzz4hr8H2BnL>.
- 57- ابن قدامة المقدسي، شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد (المتوفى: 682 هـ): "الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
- 58- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751 هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م.
- 59- _____: "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ.
- 60- _____: "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء"، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

- 61- _____ : " إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق:
محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،
1411هـ - 1991م.
- 62- _____ : " إغاثة اللفان من مصايد الشيطان"، المحقق:
محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون
تاريخ.
- 63- _____ : "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
بدون تاريخ.
- 64- _____ : "الصواعق المرسله في الرد على الجهمية
والمعطله"، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض،
المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- 65- _____ : "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403هـ/1983م.
- 66- _____ : "المنار المنيف في الصحيح والضعيف"،
المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة:
الأولى، 1390هـ/1970م.
- 67- _____ : "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م.
- 68- _____ : "طريق الهجرتين وباب السعادتين"، دار
السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ.



- 69- _____: "زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415 هـ / 1994 م.
- 70- _____: "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ / 1989 م.
- 71- _____: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني - جدة، بدون تاريخ.
- 72- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ): " تفسير القرآن العظيم"، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.
- نسخة أخرى: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
- 73- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273 هـ): " سنن ابن ماجه"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- 74- _____: "سنن ابن ماجه"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

- 75- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ): "المبدع في شرح المقنع"، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
- 76- ابن مَنَدَه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (المتوفى: 395هـ): "الإيمان"، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406هـ.
- 77- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ): "لسان العرب"، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- 78- ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف (المتوفى: 970هـ): "البحر الرائق شرح كنز الدقائق"، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138 هـ)، وبالhashية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.
- 79- أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب (المتوفى: 436هـ): "المعتمد في أصول الفقه"، المحقق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1403هـ.
- 80- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (المتوفى: 745هـ): "البحر المحيط في التفسير"، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.



- 81- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ): سنن أبي داود، كتاب السنة، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بدون تاريخ.
نسخة أخرى: السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.
نسخة أخرى: الطيالسي، أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود البصري (المتوفى: 204هـ): "مسند أبي داود الطيالسي"، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.
- 82- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف (المتوفى: 1394هـ): "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي، بدون بيانات أخرى .
- 83- أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، (المتوفى: 386هـ): "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد"، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م.
- 84- أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ): "مستخرج أبي عوانة"، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- 85- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ): "الفروق اللغوية"، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، بدون تاريخ.

- 86- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله، الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- 87- _____: "أصول السنة"، دار المنار - الخرج - السعودية، الطبعة: الأولى، 1411هـ.
- 88- _____: "الزهد"، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- 89- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: "معجم اللغة العربية المعاصرة"، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- 90- أمير بادشاه الحنفي، محمد أمين بن محمود البخاري المعروف (المتوفى: 972 هـ): "تيسير التحرير"، مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932 م)، وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403 هـ - 1983 م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م).
- 91- الأجرئي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (المتوفى: 360هـ): "الشرعية"، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.



- 92- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: 321هـ): "جمهرة اللغة"، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.
- 93- الأمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (المتوفى: 631هـ): "الإحكام في أصول الأحكام"، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، بدون تاريخ.
- 94- الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (المتوفى: ق 12هـ): "دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون"، تعريب: حسن فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- 95- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): "تهذيب اللغة"، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- 96- _____: "الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي"، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، بدون تاريخ.
- 97- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ): "نهاية السؤل شرح منهاج الوصول"، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ - 1999م .
- 98- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ.

- 99- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400 هـ.
- 100- _____: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 - 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- 101- الأمير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التنويرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ"، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
- 102- الأمير، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنباوي الأزهري، (المتوفى: 1232هـ): "ثمر الثمام شرح «غاية الأحكام في آداب الفهم والإفهام»"، المحقق: عبد الله سليمان العتيق، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- 103- الأنيس، د. عبد الحكيم: "أفق قد أفاق الراقدون"، الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017/7/20 ميلادي - 1438/10/25 هجري، رابط الموضوع: <http://www.alukah.net/sharia/0/118433/#ixzz4nPac7i7Z>
- 104- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعي (المتوفى: 905هـ): "تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن"، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
- 105- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =



صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

106- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر المالكي (المتوفى: 403 هـ): "التقريب والإرشاد (الصغير)"، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م.

107- البرماوي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: 831 هـ): "اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.

108- البعلبي، محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين (المتوفى: 778 هـ): "مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية"، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية.

109- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: 510 هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.

- 110- _____ : المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر -
عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،
الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
- 111- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي
(المتوفى: 685هـ): "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن
المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 112- البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي
الخراساني، (المتوفى: 458هـ): "الأسماء والصفات"، حققه وخرج أحاديثه
وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي
الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،
1413 هـ - 1993 م.
- 113- _____ : "شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه
وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه
وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند،
مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،
الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م
- 114- _____ : "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت،
1413 هـ.
- 115- _____ : "القضاء والقدر"، المحقق: محمد بن عبد الله
آل عامر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ -
2000 م.



- 116- _____: " مناقب الشافعي "، المحقق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1390 هـ - 1970.
- 117- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- 118- الجاوي، محمد بن عمر نووي البننتي إقليميا، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ): "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد"، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1417 هـ.
- 119- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: 370هـ): "الفصول في الأصول"، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994م.
- 120- الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد: "مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، 2003 - 2008 م .
- 121- الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (المتوفى: 227هـ): "التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا"، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

122- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ، أبو المعالي،
ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ): "البرهان في أصول
الفقه"، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.

123- الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد: "شرح مختصر
التحرير للفتوح"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ
الحازمي، <http://alhazme.net>، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم
الدرس - 77 درساً.

124- _____: "شرح نظم الورقات"، مصدر الكتاب: دروس
صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، <http://alhazme.net>، المتاب
مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 45 درساً.

125- _____: "مختصر التحرير للفتوح"، مصدر الكتاب:
دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، <http://alhazme.net>،
الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 77 درساً.

126- الحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى
الحسيني ، تقي الدين الشافعي (المتوفى: 829هـ): "كفاية الأخيار في حل غاية
الإختصار"، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دار
الخير - دمشق، الطبعة: الأولى، 1994م.

127- الحطاب الرعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن
عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف (المتوفى: 954هـ): "مواهب الجليل
في شرح مختصر خليل"، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992 م .



- 128- الحفناوي، محمد إبراهيم: "دراسات أصولية في القرآن الكريم"، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية - القاهرة، : 1422 هـ - 2002 م.
- 129- الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي (المتوفى : 1377هـ): " معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول"، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة : الأولى ، 1410 هـ - 1990 م.
- 130- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف (المتوفى: 741هـ): "لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- 131- الخضير، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد : " شرح المحرر في الحديث"، مؤلف الأصل: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (المتوفى: 744هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 64 درساً.
- 132- _____: "شرح الموطأ"، للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 187 درساً.
- 133- _____: "شرح جوامع الأخبار"، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، وهو شرح لجوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: 1376هـ): دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 10 دروس.

- 134- الخرخشي، محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ):
"شرح مختصر خليل للخرشي"، دار الفكر للطباعة - بيروت، بدون طبعة
وبدون تاريخ .
- 135- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي
(المتوفى: 463هـ): "الفييه و المتفقه"، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن
يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.
- 136- الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي (المتوفى:
977هـ): "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم
الخبير"، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: 1285 هـ.
- 137- الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد 1390هـ): "التفسير القرآني
للقرآن"، دار الفكر العربي - القاهرة، بدون تاريخ.
- 138- الخلوئي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، المولى أبو
الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.
- 139- الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد،
التميمي، أبو حاتم، البُستي (المتوفى: 354هـ): "الإحسان في تقريب صحيح
ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739
هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،
بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
- 140- الدبوسي، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الحنفي (المتوفى:
430هـ): "تقويم الأدلة في أصول الفقه"، المحقق: خليل محيي الدين الميس،
دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م .



- 141- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي (المتوفى: 1230هـ):
 "حاشية الدسوقي على الشرح الكبير"، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ .
- 142- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائم (المتوفى: 748هـ): "سير أعلام النبلاء"، دار الحديث - القاهرة/ الطبعة: 1427هـ-2006م .
- 143- _____: "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، المحقق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م .
- 144- الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب خطيب الري (المتوفى: 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ، بدون تاريخ.
- 145- الرُّبَيْدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ): "تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ.
- 146- الزحيلي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى: "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م.
- 147- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ): "المحيط في أصول الفقه"، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.

- 148- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ): "تفسير بحر العلوم"، بدون بيانات نشر.
- 149- الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد [1285هـ - 1357هـ]: "شرح القواعد الفقهية"، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة: الثانية، 1409هـ - 1989م.
- 150- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري: "شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
- 151- الزمزمي، محمد المنتصر بالله بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ): "تفسير القرآن الكريم"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 357 درسا].
- 152- الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الحنفي (المتوفى: 743هـ): "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشَّلبِيّ"، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشَّلبِيّ (المتوفى: 1021هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط2).
- 153- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب: "الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة 785هـ))"، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ - 1995م.



- 154- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (المتوفى: 483هـ): "المبسوط"، دار المعرفة - بيروت، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
- 155- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ): "بحر العلوم"، بدون بيانات أخرى.
- 156- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.
- 157- الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (المتوفى: 344هـ): "أصول الشاشي"، دار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ.
- 158- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): "الرسالة"، المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
- 159- _____: "اختلاف الحديث (مطبوع ملحقاً بالأمر للشافعي)"، دار المعرفة - بيروت، 1410هـ/1990م.
- 160- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (المتوفى: 790هـ): "الإعتصام"، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 .

- 161- _____ : "الموافقات"، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
- 162- الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ): "تفسير الشعراوي - الخواطر"، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات نشر.
- 163- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : 1393هـ): " البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
- 164- الشنقيطي، محمّد الخَصِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني (المتوفى: 1354هـ): "كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري"، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
- 165- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ): "إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول"، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.
- 166- الصالح، أ. د. محمد بن أحمد: " الإسلام وسماحته ودعوته للحوار"، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات .
- 167- الصاوي المالكي، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير (المتوفى: 1241هـ): "بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك)"، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ.



168- الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي ، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : 716هـ): " شرح مختصر الروضة"، المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، 1407 هـ / 1987 م.

169- الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الحنفي (المتوفى: 650هـ): " العباب الزاخر واللباب الفاخر"، بدون بيانات أخرى.

170- الطبري، أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: 310هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

171- الطيّار ، أ. د. عبد الله بن محمد ، أ. د. عبد الله بن محمد المطلق، د. محمد بن إبراهيم الموسى: "الفقه الميسر"، مَدَارُ الوَطْن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ج 7 و 11 - 13: الأولى 1432 / 2011 م، باقي الأجزاء: الثانية، 1433 هـ - 2012 م.

172- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (743هـ): "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)"، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

173- العطار، حسن بن محمد بن محمود الشافعي (المتوفى: 1250هـ): "حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع"، دار الكتب العلمية، بدون طبعة وبدون تاريخ .

- 174- العليمي، مجير الدين بن محمد المقدسي الحنبلي (المتوفى: 927 هـ):
"فتح الرحمن في تفسير القرآن"، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين
طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون
الإسلامية)، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- 175- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505 هـ):
"معارج القدس في مدارج معرفة النفس"، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة:
الثانية، 1975 م.
- 176- الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر
الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158 هـ): "موسوعة كشاف اصطلاحات
الفنون والعلوم"، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي
دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة
الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى -
1996 م.
- 177- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي
المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923 هـ): "إرشاد الساري لشرح
صحيح البخاري"، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323
هـ.
- 178- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن
المالكي الشهير (المتوفى: 684 هـ): "الذخيرة"، المحقق: جزء 1، 8، 13:
محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو
خبزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م.



- 179- _____ : "شرح تنقيح الفصول"، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م.
- 180- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- 181- القَوَّجِي ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ): "فتح البيان في مقاصد القرآن"، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
- 182- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (المتوفى: 587هـ): "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م .
- 183- الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي القنَّي مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967 م.
- 184- الكسِّي، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر ويقال له: الكشي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ): "المنتخب من مسند عبد بن حميد"، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1423 هـ - 2002 م.

- 185- الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، الحنفي (المتوفى: 1094هـ): "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.
- 186- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): "الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999.
- 187- الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتنّي (المتوفى: 986هـ): ،مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار"، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م.
- 188- اللخمي، علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف (المتوفى: 478 هـ): "التبصرة"، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
- 189- اللويحق، عبد الرحمن بن معلا: "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية"، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412 هـ - 1992م.
- 190- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ): "تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)"، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.



- 191- المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمِي المالكي (المتوفى: 536هـ): "شرح التلقين"، المحقق: سماحة الشيخ محمّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2008 م.
- 192- المالكي، محمد بن أحمد ميارة: "الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)"، المحقق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، سنة النشر: 1429هـ - 2008م.
- 193- المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (المتوفى: 1414هـ): "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م.
- 194- المباركفوري، أبو العلام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: 1353هـ): "الأحوزي بشرح جامع الترمذي"، دار الكتب العلمية - بيروت، دون تاريخ.
- 195- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (المتوفى: 864هـ): "شرح الورقات في أصول الفقه"، قدّم له وحققه وعلّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة، صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة، جامعة القدس، فلسطين، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- 196- المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: 294هـ): "السنة"، المحقق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ.

- 197- المظهري، محمد ثناء الله: "التفسير المظهري"، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - باكستان، الطبعة: 1412 هـ.
- 198- المأطي، يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الحنفي (المتوفى: 803هـ): من المختصر من مشكل الآثار"، عالم الكتب - بيروت، بدون تاريخ .
- 199- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): "التوقيف على مهمات التعاريف"، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.
- 200- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)، الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر،..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- 201- المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف: "الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول"، المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
- 202- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: 303هـ): "الكبرى"، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.



203- _____: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)،

بيت الافكار الدولية، الأردن، بدون تاريخ.

204- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين

(المتوفى: 710هـ): "تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)"، حققه

وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،

دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

205- النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين

الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ): "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد

القيرواني"، دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415 هـ - 1995 م.

206- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ):

"الأذكار"، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414 هـ - 1994 م.

نسخة أخرى: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد،

1408 هـ.

207- _____: "بستان العارفين"، دار الريان للتراث، بدون

بيانات أخرى.

208- _____: "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، تحقيق: زهير

الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة،

1412 هـ / 1991 م.

209- النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (المتوفى: 319هـ):

"كتاب تفسير القرآن"، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي،

حقيقه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية،
الطبعة: الأولى 1423 هـ، 2002 م.

210- الهري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي
الشافعي: " حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، إشراف ومراجعة:
الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان،
الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

211- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري،
الشافعي (المتوفى: 468هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق:
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد
محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس،
قدمه وقرضه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.

212- بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن
حسين الغيتابي الحنفي (المتوفى: 855هـ): "عمدة القاري شرح صحيح
البخاري"، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

213- جمال الدين القاسمي، محمد بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق،
(المتوفى: 1332هـ): "محاسن التأويل"، المحقق: محمد باسل عيون السود،
دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

214- حسين، د. رواء محمود: " العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة
الاسلامية، ط1، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 1434 هـ - 2013
م. على الرابط الآتي: <http://www.nashiri.net/ebooks.html>



215- _____ : "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة

الإسلامية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2014. على الرابط الآتي:

<http://www.nashiri.net/ebooks.html>

216- _____ : "الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم (PDF)"،

موقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2014/9/9 ميلادي - 1435/11/14

هجري، رابط الموضوع _____

<http://www.alukah.net/library/0/75741/#ixzz4oEe2ejUk>

217- _____ : "حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن

الكريم"، الألوكة، تاريخ الإضافة، 2014/9/9 ميلادي - 1435/11/14

هجري، على الرابط الآتي: .

[/http://www.alukah.net/sharia/0/75741](http://www.alukah.net/sharia/0/75741)

218- _____ : "مدخل إلى علم الحكمة النبوية"، موقع الألوكة،

تاريخ الإضافة: 2015/5/31 ميلادي - 1436/8/12 هجري، على الرابط

الآتي: [/http://www.alukah.net/sharia/0/87226](http://www.alukah.net/sharia/0/87226)

219- _____ : "سيد الناس يوم القيامة"، تاريخ الإضافة:

2015/11/25 ميلادي - 1437/2/12 هجري، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/sharia/0/95047/#ixzz4oGq0nAlz>

220- _____ : "ما الحقيقة؟ إجابة في ضوء علم الحكمة

الإسلامية"، مدونة (خزائن الحكمة)، بتاريخ 30 / 12 / 2014 م.

- 221- حطية، الشيخ الطيب أحمد: "تفسير الشيخ أحمد حطية"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آلياً.
- 222- حكمت، بن بشير بن ياسين، أ. د.: "الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور"، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- 223- خلاف، عبد الوهاب (المتوفى: 1375هـ): "أصول الفقه و خلاصة تاريخ التشريع"، مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»، بدون تاريخ.
- 224- شرح سنن ابن ماجه، مجموع من 3 شروح: لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (1315 هـ): شرح سنن ابن ماجه، مجموع من 3 شروح، مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت 911 هـ)، "إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت 1296 هـ) "ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي.
- 225- صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل (المتوفى: 265هـ): "الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة - الاسكندرية، الطبعة: الثانية، 1404هـ.
- 226- صالح بن عبد الله بن حميد، الشيخ إمام وخطيب الحرم المكي (مشرفاً) مع عدد من المختصين: "نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم"، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.
- 227- صبح، علي علي: "التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف"، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى: 1423 هـ - 2002م.

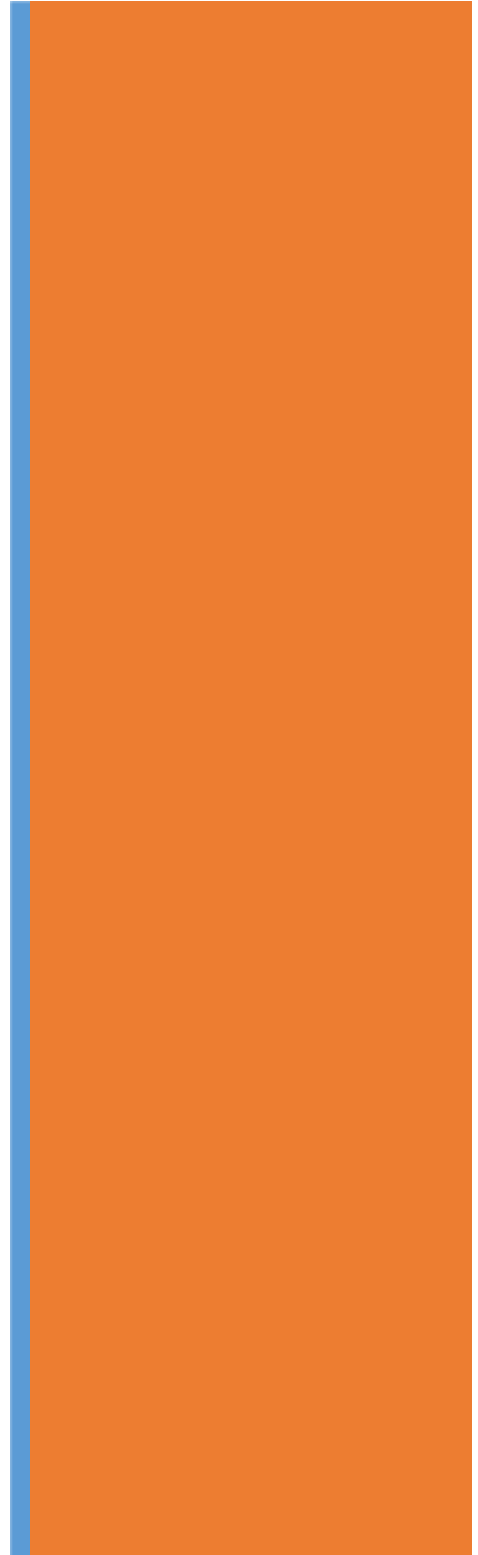


- 228- عبد الرزاق بن همام بن نافع ، أبو بكر عبد الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ): " تفسير عبد الرزاق"، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة 1419هـ.
- 229- علاء الدين البخاري الحنفي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، (المتوفى: 730هـ): "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي"، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 230- عlish، محمد بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ): "منح الجليل شرح مختصر خليل"، دار الفكر - بيروت، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م.
- 231- عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): " مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ.
- 232- _____: "شَرْحُ صَاحِبِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمِّي إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ"، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- 233- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): "موطأ الإمام مالك"، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406 هـ - 1985 م.

- 234- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ): تفسير مجاهد، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410 هـ - 1989 م.
- 235- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): "القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.
- 236- محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخولي (المتوفى: 1349هـ): "الأدب النبوي"، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابع، 1423 هـ.
- 237- محمد بن محمد المختار الشنقيطي: "تفسير سورة النور"، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 6 دروس]، 6 / 7.
- 238- معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ): "الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)"، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ.
- 239- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: "المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ.



- 240- _____ : "صحيح مسلم"، ط1، دار المغنبي، 1419 هـ -
1998 م.
- 241- مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن الأزدي البلخي (المتوفى:
150هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، ط1،
دار إحياء التراث، بيروت، 1423 هـ.
- 242- ناصر بن سليمان العمر: "الوسطية في ضوء القرآن الكريم"، الكتاب
منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- 243- نجاح الحلي، الحاجة: "فقه العبادات على المذهب الحنفي"، بدون
بيانات أخرى.
- 244- نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى:
920هـ): "الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم
الفرقانية"، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -
1999 م.
- 245- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالوفاء، من تيم ربيعة، البصري ثم
الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ): "تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق:
الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1425 هـ -
2004 م.



هذا الكتاب منشور في

